THE BOOK WAS DRENCHED

# رواية

# ملك النور

تعريب

الكاتب الروائى الشهير المرحوم

طانيوس عبده





نجيب متري

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

١٩٢٨

# كلمة النـاشر

نقدم الى القراء الرواية الثانية « مَلِك النُّوَر » وهى إحـدى الروايتين اللتين اتفقت مطبعة المعارف عليهما مع الكاتب الروائى الشهير المرحوم طانيوس عبده قُبيل وفاته أما الأولى فهى رواية « ابنة المركيز » وقد صدرت من مطبعتنا أخيراً

ورواية « مَلِك النُّوَر » هذه هى أغرب الروايات حوادث وأخباراً وأرقها أسلوباً وانشاء وقد حدثت وقائعها فى بلاد الهند الكثيرة الغرائب والمدهشات ويطلع القارئ فى سياق فصولها على كثير من عادات القوم ومعتقداتهم وأسرار كهنتهم ومعابدهم وغير ذلك مما يستوقف النظر والفكر

نجيب متری
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها

رواية

# مَلِك النَّور

## القسم الأول

# كنز الاله سيوا

تبدأ حوادث هذه الرواية فى كلكوتا عاصمة الهند سنة ١٧٥٧ فقد كان السير روبرت ويلدن سائراً على جواده عند بزوغ الفجر من شاندر ناجور الى كالكوتا وهو من أشراف نورمانديا ولا يزال فى مقتبل الشباب وكان يسير بين الأشجار والحقول وهو يناجي نفسه فيقول :

إن الشريف لا يحنث بما وعد وقد وعدت تلك المنكودة الحسناء اللادى سيسلى زوجة اللورد سبيرتهون حاكم الهند أن أخلصها من أخيه السير جاك الأحدب

وقد أتى هذا الأحدب الشقى أمس الى كلكوتا يحمل نبأ موت ليونيل الصغير ابن اللورد الحاكم

غير أن اللادى كتبت الىَّ أيضاً فى اليوم نفسه وها أنا الآن على أتم التأهب

وفيما هو سائر رأى أمامه رجلين كان أحدهما يحمل طفلة على كتفيه وكانا يلتفتان من حين الى حين الى الوراء فقال السير روبرت فى نفسه ترى ألعلهما يحتاجان الىّ

وقد دفع جواده حتى وصل اليهما وسمع أحدهما يقول لرفيقه :

لقد تعبت من حمل توسى وحبذا لو كان هذا الفارس يضَعها أمامه على جواده الى أن نبلغ كلكوتا

فأجابه رفيقه وهو فتى لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره اسكت ياناثانيل فانك ستبقى مدى حياتك جباناً مستكدياً دون قلب . هات طفلتك فأنا احملها ولا نحتاج الى هذا الرجل

فقال له السير روبرت أراك شديدّ الكبرياء أيها الفتى

قال نعم ويحق لى أن أتكبر

وقد حاول أن يستمر فى سيره فأوقفه السير روبرت وقال له

أرى أنك من طائفة النوَر الرحّل وأنك لم تقل لى هـذا القول إلاّ لحقدكم علينا ولكنى لست ضابطاً فى الجيش ولا عضواً فى مجلس اللوردية أى انى لست من الذين طردوكم من لندرا وما زال رفيقك قد تعب من حمل بنته فلماذا لا أحملها على جوادى وهو لا يتعب من حملها

ثم التفت الى الرجل الكهل وقال له هات بنتك وقل لى أين أضعها حين أصل الى كلكوتا

قال تفضل يا سيدي وضعها فى الحانة الكائنة عند باب العاصمة فان صاحبها يعرفنى ويعرف بنتى

فأخذها فوضعها أمامه على الجواد وابتعد عنهما فقال الفتى لرفيقه لقد أخطأتْ يا ناثائيل بما فعلت

قال الحق أنه اذا رضى أن يكفل بنتى و يتولى تربيتها يكون قد أحسن الىَّ غاية الاحسان

قال كيف ذلك أتتخلى عن بنتك

— بملء الارتياح فانها سيئة الطِباع تزهقنى ببكائها من الصبح الى المساء وانى أصبحت مضطراً بعد موت أمها الى أن أصحبها معى أين ذهبت وفوق ذلك فقد حاولت أمس أن تخنق ذلك الكلب الصغير وهو كل موردِ رزقى كما تعلم

— لا تنس انى سأغدو يوماً ملك النوَر

— ماذا تعنى

أعنى انى فى هذا اليوم أطردك أقبح طرد فانك شر الآباء ولا يليق بالطائفة أن تكون منها

فضحك ناثائيل وقال انى اذا لم أصلح أن أكون رئيس عائلة فلى صفات طالما شكرتنى عليها الطائفة

— نعم اعلم أنك من كبار اللصوص وانك كنت تستعين بكلبك فتنهب مخازن الجوهرات فى لندرا ولكننا الآن فى الهند وأحب أن أعلم ماذا تريد أن تصنع فى كلكوتا

— انى آت اليها لأعلم اذا كانت الجوهرات موفورة فى مخازنها كما كانت فى مخازن لندرا

فنظر اليه الفتى نظر المحتقر وقال أما أنا فلى غرض آخر من القدوم الى كلكوتا

– ما هو غرضك

هذا سر لا أبوح به ولكنى أخبرك كى لا ترهقنى بالأسئلة انى قادم اليها للبحث عن كنز

فظهر الاندهاش العظيم على وجه الكهل ووضع الفتى سبابته على فمه فقال له

انى اذا اكتشفت هذا الكنز يصبح أفقر فقير فى طائفتنا أغنى من لرد فى انكلترا ولا تعود بعد ذلك محتاجاً الى كابك

– اذا كان ذلك فسأحاول أن أحب بنتى

ولبثا يسيران و يتحادثان الى أن وصلا الى كلكوتا وعند ذلك ودعه الفتى فقال له الكهل الى أين أنت ذاهب يا جان

قال الى حيث أبحث عن كنزى

– هل أراك فى كلكوتا

– ربما التقينا هذه الليلة فى محلتنا ثم افترقا فذهب الكهل الى الحانة ليرى بنته وذهب جان فى طريق المرفأ

كانت طائفة النوَر تدعو هذا الفتى جان دى فرانس فما زال سائراً حتى وصل الى المرفأ وهناك وجد كثيراً من الجنود وعمال الميناء مجتمعين حول راقصة هندية ورجل هندى كان يعزف بقيثارة فدنا جان منهما وتفرس بوجه الهندى فقال فى نفسه نعم هذا هو

وعند ذلك أطلق مدفع من الثكنة إشارة الى افتتاح المرفأ فتفرق الجميع وذهب جان مسرعاً فدار فى زقاق ضيق حتى انتهى الى كوخ مبنى بالقصب فاضطجع على الأرض بجانب ذلك الكوخ وأطبق عينيه يوهم أنه نائم

و بعد هنيهة أقبل الهندى والراقصة ورأى الهندى جان بجانب الباب فرفسه برجله وقال له باللغة الهندية قم من هنا أيها الكلب الدنس فان مكان هذا الكوخ كان مقدساً

ولكن جان فتح إحدى عينيه ثم أغمضها فقالت الراقصة أنه سكران فدعه وشأنه ثم دخلت مع الرحل الى الكوخ وجعلا يتحدثان

أما جان فانه ابتسم ابتسام الظافر فقد كان حديثهما يصل اليه وكان عارفاً بدقائق اللغة الهندية كأبنائها

* * *

قبل ذلك بساعة كان فريق من الضباط الانكليز مجتمعين فى خمارة عند باب كلكوتا وهم يتحدثون عن اللورد حاكم الهند و يعجبون لما يرون منه من دلائل الهم والتفكير الدائم فقال لهم أحد الضباط لا تعجبوا أيها الرفاق فقد قيل أنه اختصم مع امرأته ونفاها الى قصر له فى ايكوسيا وانه يكره مولودها الأخير منذ ولادته

وكان بين الحاضرين طبيب انكليزى يدعى بولتون فاعترضهم قائلاً لكم أيها السادة أن تقولوا ما تشاؤون عن اللورد اسبرتهون وعن

ظلمه وتغاضيه عن واجباته فى هذه البلاد وأما اذا ذكرتم زوجته اللادى فلا تذكروها إلا بالاحترام فهى الملاك الذى يمثل الطهارة والفضيلة وكرم الأخلاق فى الأرض

فقال الضابط أهى حسناء مع هذه الفضائل

– أن لها جمالاً يفتك النساك

– اذا كان ذلك فحدثنا بما تعلمه عن هذين الزوجين

– ماذا تريدون أن تعلموا

– لماذا أرسل اللورد امرأته الى ايكوسيا

– لأن أخاه الأصغر السير جاك الذى جاء أمس الى كلكوتا قد وشى بها الى أخيه وحمله على الشك بولادة ولديه وقد مات ولده الصغير وهو لو مات ولده الآخر أيضاً لما حزن

– كيف ذلك أمات ولده الصغير

– أن أخاه جاء بهذا النبأ

وعند ذلك دخل رجل يحمل بين يديه طفلة فصاح الجميع قائلين هو ذا السير روبرت ويلدن

ودخل السير روبرت لخيامهم وقال لهم انظروا ما كان صيدى فى هذا الصباح أرأيتم أجمل من هذه الطفلة

وقال الطبيب أظن أنها ابنة أحد أولئك النوَر الذين يطوفون فى شوارع كلكوتا

قال هو ذاك فاسقونى كأساً من الشمبانيا

فصب له الطبيب كأساً وقال له من أين أنت قادم

قال من غابات بردوان حيث كنت أصيد الفيل

— وقد عدت الى كلكوتا لتصيد النمر أليس كذلك

— هو ذاك

وقد جلسوا يشربون ويتحدثون الى أن جاءهم رسول من الحاكم يدعوهم للذهاب الى التمرينات فانصرفوا مسرعين وخلا السير روبرت بالطبيب فقال له انى ما أتيت الى كلكوتا للصيد كما توهمت

قال نعم فانى لا أجهل علاقتك باللادى سسلى امرأة الحاكم وفرط احترامك إياها وانك حاقد أشد الحقد على السير جاك فهل علمت أن ليونيل الصغير ابن اللورد قد مات

قال نعم ولكنى هنا فلا يستطيع السير جاك قتل الولد الآخر

وعند ذلك دخل ناثانيال والد الطفلة فلما رأته بنته تعلقت بالسير روبرت فقال لها

كيف هذا يا إبنتى ألعلك خفت من أبيك

فأجابته قائلة وهى تبكى نعم فلا أريد أن أعود اليه

— لماذا

— لأنه يضربنى

فنظر اليه السير روبرت نظرة منكرة وقال له ويحك أيها الرجل اتضرب بنتك . أمثل هذا الملاك يضربونه

قال نعم أضربها لأنها تضرب كلبي وهو سبب رزقي وفوق ذلك فقد باتت حملاً ثقيلاً عليَّ بعد موت أمها

فتمعن هنيهة وقال له أتريد أن تتخلى عنها لي . ثم قال للطفلة أتريدين أن تبقى معي يا ابنتي فاني أعلمك القراءة في كتاب فيه صور واشترى لك دمية تلعبين بها

فطوقت عنقه بيديها الصغيرتين وقالت نعم نعم أبقى معك

فأخرج السير روبرت من جيبه كيساً مملوءاً بالذهب فدفعه الى النورى وقال له بملء الاحتقار

خذ هذا الكيس وانصرف فانك لا تستحق أن تكون أباً وسأتولى تربيتها

فأخذ النورى الكيس وخرج وهو يلاعب كلبه مسروراً من هذا الاتفاق

***

في اليوم التالى أعد اللورد الحاكم حفلة صيد دعا اليها فريقاً من الضباط وأعيان الانكليز فكان بعضهم يركبون الفيلة وبعضهم يركبون الجياد وكان اللورد الحاكم راكباً على فيل أبيض وبجانبه الطبيب بولتون والسير روبرت على جوادين وهما يسيران جنباً الى جنب ويتحدثان فقال له الطبيب

اذن لقد عزمت على مبارزة السير جاك

قال دون شك

– متى

– حين نعود من الصيد

– ولكن أتظنه يرضى بالمبارزة

– سأرغمه على القبول متى صفعته أمام ضباط أخيه

– احذر فان السير جاك سافل شرير فقد يشيع أنك عاشق امرأة أخيه

– أن أخاه لا يصدق قوله

– بل أنه يثق بكل ما يقوله وعندى أنه خير لك أن تترك الصيد وتعود الى السير جاك فتقتله وتهرب فان لأخيه هنا مطلق السلطان

– سارى فى اقتراحك

وفيما كان الموكب يسير إذ علا صياح الهنود الذين يتقدمونه فوقفت الافيال تضرب الأرض بأرجلها وأخذت الجياد تصهل وقد بدت عليها علائم الرعب ثم رأوا نمراً هائلاً اخترق دائرة الأفيال ووثب الى الفرس الذى كان يركبه السير روبرت فأطلقوا عليه نحو عشرين رصاصة دون أن يصيبوه ونشبت براثن النمر فى صدر الجواد فانقلب صريعًا الى الأرض

ولكن السير روبرت كان قد وثب عنه فبينما كان النمر مشتغلاً بنهش الجواد صوب السير روبرت غدارته الى أذن ذلك النمر وأطلقها فاخترق الرصاص دماغه وانقلب ميتًا

وعند ذلك ظهرت نمرة أشد هولاً من النمر فقتلت اثنين من الهنود

تعرضا لها ووثبت الى الفيل الأبيض الذى كان يركبه الحاكم فأطلق عليها طلقين من غدارته فلم تسقط وجعلت تمزق جلد الفيل ببراثنها وهو يحاول أن يقبض عليها بخرطومه فلا يستطيع

وقد أطلق الحاكم النار عليها أيضاً فلم تسقط وجعلت تصعد على الفيل حتى شعر اللورد بأنفاسها النارية تحرق وجهه فصاح السير روبرت بالهنود قائلاً ويحكم لماذا لا تطلقون النار

فقال له الطبيب أنهم لا يفعلون حذراً من أن يصيبوا الفيل الأبيض فانهم من الشيعة التى تعبد الأفيال البيض

واستمرت النمرة فى صعودها حتى وصلت الى اللورد ولم يعد يستطيع استخدام سلاحه وما شكك الحضور أنها افترسته

وعند ذلك رأوا فتى قد انقض على النمرة ولم تكن غير هنيهة حتى سقط واياها على الأرض ثم نهض وقد صاح صيحة انتصار فانه أغمد خنجره فى عنقها وألقاها تتخبط بدمها فلم يكد السير روبرت يتبين وجه الفتى حتى صاح مندهشاً وقال

هذا هو الفتى النورى الذى لقيته مع والد الطفلة

وعند ذلك أحدق الضباط الهنود بذلك الفتى وتدانى اللورد الى النزول عن الفيل فأدنى الفتى منه وقال له

من أنت وهل أنت من الهنود

قال انى نورى وأدعى جان دى فرانس.

قال أن من كان له بسالتك فلا يخلق به أن يعيش عيش المتشردين

فهل تريد ان تكون فى خدمتى فأضمن لك مستقبلك

فنظر اليه جان نظرة انكار وقال أرى أنك لم تحسن تقدير خدمتى أيها اللورد فانى من النبلاء وان نسبى يتصل بالكونت دى غرانفيل فلا أخدم أحداً

فاصفر وجه اللورد وأخرج كيسه من جيبه وناوله إياه فأبى جان أن يمد يده اليه وقال ليبق كيسك فى جيبك فما أنا من طلاب الصدقة

ثم أدار له ظهره فخرج من الدائرة وتوارى بين الادغال

فقال اللورد مغضباً لقد تجاسر هذا الوقح على رفض مكافأتى

فقال له السير روبرت بلهجة المتهكم ولكنه أنقذ حياتك يا مولاى فواحدة بواحدة

فعض اللورد شفته وقال لرفاقه هلموا بنا أيها الأسياد فاننا لا نزال بعيدين عن مركز الصيد

فهمس السير روبرت بأذن الطبيب قائلاً أما أنا فسأرجع الى كلكوتا حين نصل الى أول عطفة فانى أريد أن أصطاد الرجل قبل أن أصطاد النمر

قال اذن اركب جوادى فسأركب أنا أحد هذه الافيال.

* * *

كانت أخت جان دي فرانس تلقب بملكة النور وكان جان على حداثة سنه مطلق النفوذ على الطائفة ليس لأنه أخو الملكة بل لأنه كان أشد رجال الطائفة ذكاء وأبعدهم همة وأحذقهم فكراً وأرقاهم نفساً فكانوا

يحبونه ويحترمونه ولا يخالفون له أمراً كأنما أعطى حقيقة سلطان الملوك

فلما ترك اللورد كما تقدم مشى بين الادغال الى أن وصل الى مكان اكتظت فيه الأشجار فوجد هناك رجلاً هائل الخلقة كأنه من الجبابرة وهو نورى من طائفة جان كانوا يلقبونه بشمشون لشدة قوته

وكان هذا الرجل مضطجعاً على العشب فلما رأى جان نهض مسرعاً ووقف بين يديه بملء الاحترام فقال له جان متى أتيت يا شمشون

قال منذ ساعة أيها الرئيس

— ألم يرك أحد حين خرجت من محلة الطائفة

— كلا

— هل أتيت بمركبة النقل

— انها هنا وراء الشجرة

— حسناً فاعلم الآن اننا سننقل على هذه المركبة من الذهب والحجارة الكريمة ما لا يوجد بعضه فى خزائن الملوك فانى كنت أبحث عن هذا الكنز فى الليل والنهار

— هل وجدت مكانه يا سيدى

— نعم فان هؤلاء الحكام يحسبون انهم تمكنوا من الشعب فانهم سادوا عليهم ولكنهم لا يطيعونهم إلا مكرهين وهم لا يحلمون إلا بالاستقلال ولكن لا بد لهم من المال الكثير ولذلك فقد اجتمعت كلمة هذا الشعب بجملته على حشد الأموال فجعل الغنى والفقير والتاجر والعامل يضع كل منهم ما يتيسر له اقتصاده فى صناديق خاصة بالمعابد كتب

عليها صناديق الاحسان فيطوف كل يوم أحد كهنتهم فيجمع هذه الأموال و يأخذها فى كل أسبوع فيذهب فى ظلام الليل الى غابة . وهناك يجد كاهنا آخر فى انتظاره فيأخذ منه الأموال و يقول له اذهب واحذر أن تلتفت الى الوراء

فقال له شمشون وهذا الكاهن الى أين يذهب بالمال

قال يذهب به الى كاهن ثالث فيأخذه منه الى مكان سرى لايعرفه سواه . وهذا السر لا يعرفه فى جميع الهند غير ثلاثة من البراهمة وامرأة تحرس الكنز فى الليل والنهار وسأعرف هذا السر بعد ساعة

— كيف ذلك

— لقد عرفت أن أحد الكهنة سيأتى فى هذه الليلة بما جمعه من المال

— كيف عرفت

— ان هذا الرجل الذى سيأتى الآن يتنكر فى النهار بشكل عازف بالقيثارة و يطوف مع احدى الراقصات فى شوارع كلكوتا حتى اذا أقبل الليل خلع تنكره وعاد الى حقيقته فهو من أعظم الزعماء وأحد العارفين بسر الكنز وقد سمعته فى صباح اليوم يحدث الراقصة بهذا الشأن فعلمت من الحديث انه سيأتى فى هذه الليلة الى نبع الآلهة اموردافالى وهو على قيد بضع خطوات من هنا

— ولكن أى شأن لى أنا فى هذه المهمة

— انك سترى هذا الرجل حين يأتى فتتبعه وتسير ورائى على بعد مائة خطوة

وعند ذلك سمع جان وقع خطوات فقال لشمشون همساً أنك تعلم بأنى أقلد صوت عصفور الليل فابق الآن هنا الى أن تسمعنى أقلد ذلك الصوت فتأتى الى جهة مصدره

وقد مشى جان فوق الأعشاب الى أن وصل الى بقعة لا شجر فيها فنظر الى تلك الجهات التى كان ينيرها ضوء القمر فرأى شبحاً أبيض واقفاً بعيداً تحت شجرة كبيرة فقال فى نفسه لا شك انه شبح الكاهن الذى ينتظر

وقد سار من ورائه حتى وصل الى تلك الشجرة واختبأ وراءها فلم تكن غير هنيهة حتى رأى العازف بالقيثارة قد وصل وسمع الكاهن صاحب الثوب الأبيض يسأله قائلاً بماذا أتيت أيها الأخ

فأجابه قائلاً بكيسين من الذهب

قال هاتهما واذهب وانى أسأل آلهة الهند أن يرافقوك فى طريقك

فأعطاه الكيسين ثم انحنى الى الأرض فقبل طرف ثوبه الأبيض

فقال له الكاهن اذهب والويل لك من غضب الآلهة اذا التفت الى الوراء فانصرف الرجل ممتثلاً دون أن يلتفت

أما الكاهن فقد لبث فى موقفه الى أن توارى الرجل فانصرف عائداً ومشى جان فى أثره مستهدياً اليه بثوبه الأبيض فان القمر كان على وشك المغيب

وكان الكاهن يسير مسرعاً الى جهة الخرابات فما شكك جان أن

الكنز مدفون تحت خرائب هيكل سيوا وما زال فى أثره حتى وصل اليها وراه جان قد ولجها . ثم رأى لهبا ظهر لحظة وانطفأ فسار جان ودخل الى تلك الخرابات فأدرك الكاهن وهو جالس بين أدغال متكدسة من الأعشاب اليابسة وقد أخذ قطعتين من الخشب الجاف وحك الواحدة بالأخرى حكاً متصلاً حتى خرج منهما اللهب فألقاهما بين الأعشاب اليابسة وحسب جان انها ستلتهب من فورها ولكن اللهب الذى ظهر من الخشبتين توارى فى الحال وساد الظلام

وعند ذلك اضطجع الكاهن فوق الأعشاب على وجهه وصاح قائلاً

أيتها العذراء حارسة الكنز هل أنت ساهرة

فسمع جان صوتاً من جوف الأرض لم يتبينه أما الكاهن فانه ألقى الكيسين فوق الأعشاب الواحد تلو الآخر وخرج من تلك الخرابات

وقد حبس جان أنفاسه كى لا يسمع الكاهن صوت خفوق قلبه حين مر به دون أن يراه وجعل جان يقول فى نفسه

ما زالت الأعشاب لم تحترق فلا شك انها تستر مدخل الدهليز وان الخشبتين اللتين ألقاهما الكاهن انما هما اشارة متفق عليها

وقد صبر نحو ربع ساعة وخطر له أن ينبه شمشون بالصفير ولكنه خشى أن ينبه اليه الأفكار ثم ذهب الى تلك الأعشاب بعد أن وثق من انصراف الكاهن وجعل يزيحها عن مواضعها فانكشف له ثقب ضيق ولكنه يتسع لمرور إنسان فيه

وكان هذا الثقب مدخل دهليز فى جوف الأرض وهـذا الدهليز كثير الانحناء يشبه السلم فقبض جان على خنجره ودخل من ذلك النقب وجعل ينزل فى الدهليز حتى انتهى الى أرض رطبة مستوية

وقد رأى عند ذلك نوراً عظيماً يشبه أنوار المشاعل وسمع صوت امرأة تغنى باللغة الهندية فتقول :

انا ابنة ساتديفا حارسة الكنز

قضى على الكهنة أن أعيش كل حياتى فى جوف الأرض وان أعيش بجانب ذهب وجواهر لافائدة لى منها

قضوا على أن لا أرى وجه السماء وأشعة الشمس وان لا أشم عطر الأزهار

انى صبية جميلة وحين كنت فوق الأرض كان الفتيان يلتفون حولى و يلقبوننى بآلهة الجمال

قضى على الكهنة أن أعيش بتولا وان لا أسمع كلمات الحب

***

وقد رأى جان أرضاً متسعة فوقها قبة من أرض الهيكل وفى وسط تلك الأرض نار لم تكن تنطفىء فى الليل والنهار

ثم رأى على نور تلك النيران فتاة لم تقع العيون على أبدع منها كانت تغنى وترقص حول النار فلم تنتبه لسقوط جان فوقف هنيهة شبه مأخوذ امام هذه الفتاة ثم دنا منها فوضع يده على كتفها وقال لها

انا هو الرجل الذى تنتظرينه فان الاله سيوا الذى تحرسين كنزه قد أشفق عليك واجاب ملتمسك

ولم يكن جان أقل جمالاً منها فلما رأته وسمعت كلامه صاحت صيحة فرح ثم طوقت عنقه بذراعيها وقالت له لنهرب لنهرب

قال نعم لنهرب يا ابنة الفردوس الى سيوا الذى أرسانى ولكن لنأخذ معنا هذا الكنز الذى تحرسينه

فتراجعت الفتاة منذعرة وقالت إذن ما أنت رسول الاله سيوا ما زات تريد سرقة الكنز . . اهرب أيها المنكود . . كيف أتيت الى هنا ومن أرشدك الى طريق الكنز . اهرب أيها التاعس قبل أن يفاجئك الكهنة و يقتلوك

وكان جان قد رأى تلك الدنانير الوهاجة والجواهر البراقة فقال لها أحبك

فعادت الى معانقته وقالت له إذن لنهرب معاً فانى أصحبك الى حيث تشاء ولكن دع هذا الكنز فى مكانه فان الاله سيوا يصعقنا اذا سرقناه

فهز جان كتفيه وقال لها انى أذهب بك الى أوربا وهى بلادى وليس للآله سيوا شىء من السلطان هناك فنعيش أهنأ عيش بفضل هذا المال .

قالت كلا فان غضب سيوا ينزل بالناس أين كانوا فاكتف بى فانك

ستجد من كنوز حبي ما لا تعادله كنوز الأرض

ثم تعلقت به وجعلتْ ترقص وترقصه وهي تغني وتقول كلا لم يقض سيوا على ابنة الهيكل أن تعيش تحت الأرض . انهـا ستري النجوم وتستنشق أريج الزهر وتدوس رجلاها الصغيرتان على الأعشاب وتمس شفتيها بمياه الينابيع .

ان ابنة الهيكل لا تحتاج الى الذهب واللآلئ فقد ظفرت بكنز الكنوز وهو الحب . لقد جاء الفتى الجميل الذي يحبني ويملأ فراغ قلبي من الحب كما تملأ الاناء أشعة الشمس

وكانت تغني وهي ترقص رقصاً سريعاً وهو يجاريها ويقول في نفسه انها لا تلبث أن يستولى عليها التعب فاستولى على الكنز

غير أن التعب أدركه قبل أن يدركها فقد كانت متعودة على هذا الرقص وقد أسكره صوتها الجميل ونظراتها الساحرة فاسترسل الى مراقصتها كما تشاء حتى انتهكت قواه وجلس على الأرض وهو يلهث من التعب فدخلت الى غرفة في المغارة وجاءت بكاس ذهبية كان فيها سائل أصفر يشبه الخمر الاسبانية المعتقة فقالت له اشرب ما في هـذه الكاس تعد اليك قواك .

فشرب كل ما في الكاس جرعة واحدة ولكن هذا الشرب لم يكد يستقر في جوفه حتى شعر أن جسمه ينتفض من البرد كانه ملتف برداء

من الثلج ثم شعر أن أعضاءه قد تشنجت وأن لسانه قد انعقد ثم أطبقت عيناه وانقلب الى الأرض دون حراك

وعند ذلك برقت عينا الفتاة من الفرح وقالت لقد أنقذته اذ لم يبق سبيل الى فراره فقد آن وقت مجيء الكهنة وسأخفيه و بعد انصرافهم أرد اليه الحياة ونهرب معاً

وقد أخذت يديه وحاولت جره ولكنها لم تكد تفعل حتى أفلتته وصاحت صيحة ذعر فقد فتح باب خفي فى المغارة ودخل منه كاهنان يحملان مشعلين فلما رئيا جان على الأرض صاح واحد منهما قائلاً

ما هذا أيوجد فى الأرض من يجرأ على اكتشاف هذا السر الذى لا يعرفه سوانا . انى باسم الهنا المعبود و باسم اخواننا المضطهدين و بلادنا المغتصبة ودموعنا السائلة نحكم على هذا الجرىء بالموت

فصاحت الفتاة صيحة رعب اذ رأت الخنجر يلمع فى يد كاهن سيوا

***

ولنعد الآن الى سراى اللورد الحاكم فقد كان ولده الصغير وهو لا يتجاوز الثالثة من عمره نائماً فى سرير احدى ردهات القصر و بجانبه عبدان يحمل كل منهما مروحة فيطرد بها الذباب عن ذلك الطفل

وكان السير جاك أخو اللورد الحاكم وولده وهو فى الرابعة عشرة من عمره جالسين على مقعد فى تلك الردهة غير بعيد عن السرير فكان

السير جاك ينظر الى ابن أخيه الصغير نظرات ملؤها الحقد ثم ينظر الى ولده و يقول له

أى احسان أحسن به هــذا الطفل الشقى فأعدت له الاقدار هذا المستقبل الزاهر أما أنت مثله جميل الوجه زكى الفؤاد ألا يجول فى عروقك وعروقه دم واحد يا جيمس

فأجابه ولده نعم يا أبي ولكنه ابن أخيك البكر

– هو ذاك غير أن أخى شديد الهوس بصيد الحيوانات الضارية فما يمنع أن يقتله نمر أو أسد

– وهبه قتل فان ولده روجر يبقى حيًا وهو فى أتم عافية كما ترى

– ألم يكن أخوه ليونيل فى أتم عافية أيضًا ومع ذلك فقد مات بين يدي حاضنته

– واذا مات أخوه روجر

– تصبح أنت وريث لقب اللوردية اذا مات أخى قبلى

– ان الأطفال الذين لم يخلقوا فى الهنــد لا يعيشون اذ لا يطيقون احتمال مناخها الحار

– نعم ولكن الخطر على الأطفال هنا لا يقتصر على الحميات فقد يموتون أيضًا من عضاض الأفاعى وغيرها من الحشرات السامة

وفيما هما يتحدثان سمعا صوت ناى يعزف فى الطريق تحت الردهة

فقاما وأطلا فرأيا رجلا يلاعب الافاعى فى الطريق والناس من حوله يتفرجون

وقد وقفا يتفرجان الى أن شعر السير جاك بيد لمست كتفه فالتفت فرأى السير روبرت فيلدن فقال أهلا بك أيها الصديق فما شرفنى بقدومك

فتأبط السير روبرت ذراعه وقال له اذا كانت راقت لك هذه الفرجة فأنزل الى الطريق ترها عن كثب

وقد تبادل الأب وابنه نظرة سريعة خفيت على السير روبرت ثم نزل الابن الى الطريق ودخل السير جاك بزائره الى احدى القاعات وقال له عهدى بك انك كنت فى حفلة الصيد مع أخى فهل قتلت نمراً أم جئتنى بنبأ من هذا الاخ العزيز

قال الحق انى قتلت نمراً ولكنى سئمت من صيد النمور وجئت أبحث عن حيوان أشد فظاعة منها

ـ ما هذا الحيوان

ـ هو حيوان هائل من طبعه مهاجمة أعراض النساء

فقطب السير جاك حاجبيه ومضى السير روبرت فى حديثه فقال وهو حيوان يمشى على قدميه كالانسان ولكن ليس له شىء من صفات الانسان ومع ذلك فانه يلقب بلقب الأشراف ويدعى السير جاك اسبرتهون

فوقف السير جاك وقد وضع يده على قبضة حسامه وأخرج السير روبرت غدارة فصوبها اليه وقال

أنك اذا لم تصغ إلىّ بملء السكينة ألهبت دماغك فأعلم انى لا أريد قتلك بالغدارة كما تستحق بل أريد قتلك بمبارزة كأنك من الأشراف فقد وعدت ضحيتك اللادى سسلى أن أقتلك أو أموت من يدك

فاستولى الخوف على السير جاك وقال له

واذا أبيت أن أبارزك

ـ إذن فأعلم أنه لا يوجد ضابط انكليزى فى هذه البلاد لايعرفك حق العرفان وكلهم يحتقرونك ويودون لك الموت لتنجو الانسانية من شرورك فلا يوجد هنا من يحميك غير أخيك

ولكن أخاك الآن فى الصيد وهو لا يعود قبل الليل فاذا امتنعت عن مبارزتى صفعتك أمام جميع الناس ثم قتلتك بالرصاص كما يقتلون الضوارى

فاصفر وجه السير جاك وهاج تأثره من الغضب فقال له ليكن ما تريد ولنتبارز الآن

فمد السير روبرت يده الى جهة البحر وقال له

أنظر الى هذه السفينة البيضاء فقد اتفقت معها على السفر وهى مسافرة بعد ساعة

وانه يوجد بجانبها قارب وضعت فيه غدارتين وسنذهب اليه ونبعد به عن السفينة فاذا قتلتنى فافعل بجثتى ما تشاء واذا قتلتك جعلت جثتك طعماً لسمك البحار فانك لا تستحق أن تدفن فى الأرض كما يدفن الناس

ـ ولكنى أحب أن أرى ولدى على الأقل

فأدرك السير روبرت أنه يحاول الفرار فقبض على ذراعه بعنف وخرج به بالرغم عنه من القصر

⁂

بينما كان السير جاك يسير مع خصمه الى البحر كان ولد السير جمس قد ذهب للفرجة على الافاعى

وقد ابتعد جميع المتفرجين احتراماً له حين قدومه حتى أن ملاعب الأفاعى نفسه تهيب وامتنع عن ملاعبتها

فأمره أن يعود الى عمله ثم دنا منه وهو يلاعب حية صغيرة فهمس فى أذنه قائلاً

أتبيعنى هذه الحية بخمسة جنيهات

فسقط الناى من يده لفرط اندهاشه من هذا الثمن فقال له أرضيت. اسرع بالجواب فانى مستعجل

قال رضيت يا مولاى

ثم أسرع فأخرج من حرابه علبة صغيرة وضع فيها الأفعى وأقفلها وناوله إياها

فأخذها جمس ونقده الثمن وعاد الى ردهة القصر حيث كان ابن عمه الطفل الصغير نائماً فى سريره

وكانا العبدان اللذان يطردان الذباب بالمراوح عن سريره قد تركا السرير وذهبا الى آخر الردهة ليتفرجا على الحاوى فوقف جمس وقفة

المتردد وقد بحث عن أبيه فلم يجده فلم يطل تردده ومشى الى السرير فأزاح الغطاء عن الطفل وفتح العلبة فوثبت الأفعى الى السرير فغطاهما بالغطاء وانصرف دون أن يراه العبدان

فلما عاد العبدان الى السرير كان ذلك المركيز الصغير ابن اللورد الحاكم قد فارق الحياة وكان جمس خرج من القصر باحثاً عن أبيه

***

و بعد ذلك بنصف ساعة دوى طلقان ناريان فى البحر ظهر دخانهما من قارب

أما ذلك القارب فانه دنا من سفينة بيضاء حتى التصق بهـا وكان شراعها منصوباً فخرجت من فورها من الميناء

## القسم الثانى

# حى بميت

كان فارسان يسيران بين الحقول وقد اقفرت لهبوط الظلام فكان الاثنان ينظران الى كل الجهات عساهما يريان قبساً يسترشدان به فقد ضلا عن الطريق وكان هذان الفارسان اللورد أسبرتهون حاكم الهند والطبيب بولتون فقال اللورد

اقدر لنا أن نهيم كل الليل فى هذه البرارى

فأجابه الطبيب قائلاً هذا الذى أخشاه

قال انى سأموت من الجوع والعطش وان جوادى سيقتله التعب فأين نحن الآن

— لا أعلم ولكنى أظن أننا نبعد عشر مراحل عن كلكوتا ولكن أنظر ألا ترى شبحاً أسود يتحرك

— نعم ولكنه شجرة يحركها الهواء إذ لا يوجد انسان بهذه الضخامة

وعند ذلك سمعا صوت هذا الشبح يقول . جان . جان . أين أنت أيها الرئيس

فقال الطبيب لقد نجونا فانى أعرف صاحب هــذا الصوت فهو شمشون الجبار

وكان شمشون قد تبع سيده كما تقدم فى الجزء السابق حين ذهب الى الكنز وأمره أن ينتظره فانتظر كل الليل ثم أشرق الصباح ثم أذنت الشمس بالمغيب فكاد يجن من خوفه عليه اذ خشى أن يكون الكهنة قد فتكوا به

وقد جعل يهيم فى تلك البرارى باحثا عن سيده وهو يقف من حين الى حين فيناديه بصوته الجهورى فلا يجيبه غير الصدى الى أن اتفق مرور اللورد والطبيب فدنا منه الطبيب وقال له

ماذا أصابك يا شمشون ومن الذى تناديه

قال إنى أنادى جان دى فرانس شقيق ملكتنا

وكان شمشون قد عرف الطبيب اذ كان مديناً له بجميل لا ينساه فقد لقيه مرة فى احد شوارع كلكوتا مصاباً بطعنة خنجر فى بطنه كادت تؤدى بحياته فعالجه وشفاه فقال له ألا يوجد هنا مدينه قريبة

قال لا يوجد غير كلكوتا وهى تبعد خمس مراحل

- ألا يوجد مكان للمبيت

- لا يوجد غير مضار بنا وهى تحت هذه القمة التى تراها وستجدان فيها خير مبيت

فقال له اللورد اذن سر بنا اليها وسنكافئك

ولم يكن شمشون يعلم انه يخاطب حاكم الهند فقال له لكن لا بد لى من البحث عن جان دى فرانس

فقال له بولتون انه لا بد أن يكون رجع الى المضارب
قال لقد أصبت يا سيدى الطبيب فان هذا الخاطر لم يخطر لى
ثم مشى أمامهما فسارا فى أثره يتحدثان بصوت منخفض
فقال له اللورد

انى أعجب بهؤلاء النوَر فان لهم نفوس الملوك وحالات المساكين
ألا تذكر ما كان من هذا الفتى الذى أنقذنى من النمر

— هذا هو الذى يبحث عنه شمشون

— نعم نعم لقد ذكرت الآن فهو يدعى جان دى فرانس فما هذا الاسم الذى لقب نفسه به

— انه يدعى بأنه من النبلاء

فهز اللورد رأسه ضاحكا وقال

أيكون نبيلاً ومتسولاً فى حين واحد ولكنك اذكرتنى بمناسبة الحديث عن هذه الطائفة حكاية جرت لى فى لندرا منذ ثلاثة أو أربعة أعوام وسأقصها عليك كى لا تشعر بطول المسافة

— انى مصغ اليك يا مولاى

— تصور أيها العزيز انى أحببت مدة اسبوع نورية كانت تحسبنى من النوَر فقد خطر لى مرة أن أذهب الى المكان الذى يسمونه ساحة الملك

— انى أعرف هذا المكان فقد اختبأت فيه مدة ستة اشهر لهربى من المدائنين

- وقد تنكرت بالملابس العامة وذهبت لأرى ما تفعل هذه الطبقة من الناس فى هذا المكان الشهير

واتفق أن الزحام كان قليلاً فى تلك الليلة وكان هناك اثنان من طائفة النور يتحدثان بشأن حفلة قريبة سيعقد فيها زواج ولية عهد النور بولى عهد الدوق دى بولون

وقد تبين لى من حديث الرجلين ان الخطيبين لم يتعارفا بعد وان هذا الزواج سياسى براد به التوفيق بين طائفتى النور فى لندرا وباريس وان الخطيب سيأتى من فرنسا الى لندرا ليعقد زواجه فيها وان الحفلة ستكون فى ساحة الملك ليلة قدوم الخطيب

فسألت أحد الرجلين قائلا هل العروس حسناء

قال لقد بلغ من جمالها ان أجمل سيدات لندرا لا تعد من وصائفها

فهاج قوله رغبتى فى رؤياها وقلت له أين يمكن مشاهدة هذه الفتاة

قال انها تذهب فى كل ليلة الى مضارب النور المخيمين تحت جسر لندرا فتلقى عليهم أوامرها

فاكتفيت بهذا الجواب وبرحت الساحة على رجاء أن أرى تلك النوريه

وفى اليوم التالى اختبأت فى مركبتى وتمكنت من رؤياها فاذا بها فوق ذلك الوصف

وكان يصحبنى خادم ذكى الفؤاد فكان من ذكائه انه جعلنى ابن

الدوق دى بولون أى خطيب تلك النورية وخلوت بها فى أحد الفنادق وقد بالغت فى ملاطفتها حتى غفرت لى انى أدعى اللورد اسبرتهون وأقمت معها أسبوعاً واحببتها حتى انى أردت أن أتوسط لطائفتها لدى اللورد المحافظ فلا ينفيها من لندرا

ولكن رجال هذه الطائفة كانوا قد امعنوا بشرورهم حتى رجعت عن الوساطة حذراً من الفشل ونفيت الطائفة فسافرت ملكتها معها

— ماذا كانت تدعى هذه الحسناء

— سينتيا

— اما رأيتها بعد ذلك العهد

— كلا

— من يعلم فقد تكون فى هذه المضارب التى نذهب اليها الآن

فارتعش اللورد ولم يجب بشىء ورأيا عند ذلك أنواراً تضىء فقال شمتون لقد وصلنا وهذه هى مضاربنا

وكانت هذه المضارب مؤلفة من خمس خيام كبيرة ومركبتين ضخمتين كان يوجد فيهما كثير من الآلات المختلفة وأربع بقرات وقطيع من الماعز والخراف كانت موجودة فى دائرة تبلغ مساحتها مائة متر وهى مسورة بالقصب الهندى

وكانت النار مشبوبة فى ساحة فى وسط الخيام وعليها دست كبير كانت عجوزتان جالستين من حوله تطبخان فيه جدياً للعشاء وامامهما

خمسة من النوَر مضطجعون على الأرض وكلبان كبيران ينظران الى قوائم الجدى البارزة من الدست ويهران وقد نفد صبرهما من الجوع وشغلا برائحة الطعام الشهية عن شم رائحة القادمين فلم يستقبلاهم بالنباح

وكان يجري فى الجهة اليسرى من المضرب حادثة أخرى وهى ان جميع رجال الطائفة وغلمانها كانوا واقفين بانتظام وقد ركز امامهم لوح كبير من الخشب ووقف رجل مسنداً ظهره الى هذا اللوح باسطاً ذراعيه عليه فكان يشبه بجملته شكل صليب

وقد برز رجل من صف الواقفين فوقف على مسافة عشر خطوات من اللوح وعند قدميه كثير من الخناجر الحادة الطرف فكان يأخذ الخنجر و يرمى به اللوح فيشك به على قيد أصبع من وجه الرجل المصلوب ثم يأخذ غيره و يرمى به وهكذا على التوالى الى أن يشك الخناجر حول المصلوب وذراعيه دون أن يصيبه بأذى فيصفق له الحاضرون اعجاباً بفوزه و يأتى سواه فيفعل هــذا الفعل فانهم كانوا يتمرنون على استعمال السلاح بهذا الشكل ففى كل يوم يصلب واحد منهم فيرميه الباقون بالخناجر على ما تقدم

وقد وقف اللورد والطبيب يتفرجان على هذا التمرين الخطر دون أن ينتبه لهم رجال القبيلة لانهما كهم بما كانوا فيه

أما شمشون فانه اختلط بهم وجعل يبحث عن جان دى فرانس فلم يره الى أن انتبه له واحد منهم فقال له

أهذا أنت ياشمشون فمتى أتيت

قال الآن فهل رأيت جان دى فرانس

قال كلا فانه فى كلكوتا منذ يومين

فتنهد شمشون وظهرت عليه علائم اليأس وعند ذلك رمى أحد اللاعبين آخر خنجر فأسرع سواه وقال

لقد جاء دورى

فصاح شمشون صيحة فرح فقد كان هذا القادم جان نفسه وأسرع اليه فقال له

من أين أتيت أيها الرئيس

قال لا أعلم وأظن انى أتيت من عالم القبور ولكن اسكت الآن سنتحدث فيما بعد

ثم أخذ الخنجر ورمى به اللوح فاخترق الخشب على قيد شعرة من أذن المصلوب

وكان جان أكثرهم تمرينًا وأحذقهم رماية فشك ثمانية خناجر حول رأس الرجل فأصبحت شبه تلك الدائرة التى يرسمها المصورون من نور حول رؤوس القديسين

ولما فرغ من ذلك ذهب الى المصلوب فانتزع الخناجر من حول رأسه وقال لرفاقه

لقد جاء دورى الآن فانى غبت يومين عن المضرب

ثم وقف فى موقف ذلك المصلوب وأمرهم أن يبدأوا التمرين به فانبرى واحد من الحضور ورماه بأربعة خناجر أصاب بها المرمى ووقعت بجانب رأس جان فى اللوح

ثم رمى الخنجر الخامس فأصاب قبضة أحد الخناجر المغروسة وهى من العاج فزلف عنها وأصاب كتف جان

وقد صاح الجميع صيحة رعب ولكن جان لم يتحرك من موضعه وتمتم بضع كلمات بصوت منخفض

ورأى الطبيب بلتون ما كان وأيقن أنه مصاب بجرح بالغ فشق الزحام بعنف ووصل اليه

أما النور فلم يندهلوا حين رأوا الطبيب فقد رأوه مراراً فى سراى الحاكم حين كانوا يلعبون فيها هذه الألعاب

أما الطبيب فانه أسرع الى أبعادهم عن جان ومزق قميصه وحاول أن يفحص الجرح

ولكن جان اصفر وجهه ووهت رجلاه فطوقه الطبيب بذراعيه كى لا يسقط ونظر الى الجرح فرأى أن رأس الخنجر قد كسر ودخلت قطعته فى كتفه فقال لهم

اسرعوا بحمله الى خيمته فانى لا أستطيع معالجته هنا

فركضوا اليه يحاولون حمله ولكنه أبعدهم عنه وقال لهم دعونى فانى أستطيع الوصول الى الخيمة وحدى

وقد دخل الى أقرب الخيم منه وتبعه النوَر فجلس على حصير وخلع قميصه بينما كان بالتون يخرج عدة الجراحة و يعد المعدات اللازمة لضمد الجرح

ثم أمر جميع النوَر أن يخرجوا من الخيمة وركع بجانب جان وجعل يخرج قطعة الخنجر من كتفه

وكانت العملية مؤلمة جداً غير أن حان لم يصح صيحة ألم و بلغ من تجلده أنه لم يظهر على وجهه شيء يدل على التألم كأنما الطبيب كان يعمل بتمثال من الخشب

فلما نزع القطعة وأتم ضمد الجرح قال له وهو يمسح الآلة الحق يا بني انى لم أجد أشد صبراً منك وانى أحمد الله الذى قدر لى المرور بكم فى هذه الساعة فأخدمك خدمة فوق ما تتصورها فلو عالجك أحد هؤلاء الدجالين لشوهك وجعلك أشل اليد

وانى أرجو أن تطيب بعد يومين ولكن لا بد لك أن تلزم الفراش فى خلالهما

قال أ ألزم الفراش كل هذا العهد الطويل

قال هذا لا بد منه يا بنى

فتمتم قائلاً ولكن لا بد لى من الكنز أيضًا

ولم يسمع الطبيب قوله فقال له

سأعودك فى الغد

فكان الحاكم واقفاً الى تلك الساعة وقفة المتفرج فدنا من جان وسأله قائلاً

كم يبلغ عمرك أيها الفتى

قال ستة عشر عاماً

فقال الطبيب فى نفسه

أيكون عمره ستة عشر عاماً وتكون له جرأة الأسود وارادة القدر ومطامع سياسى نمساوى . انه لا يمر به عشرة أعوام حتى يصبح زعيم كل طائفته

ثم وضع يده على رأسه وقال له بلهجة المشفق

انك تتألم اليس كذلك

فأطبق جان عينيه وقال كثيراً

— ولكنك مع ذلك لا تشكو

— ان الشكوى جديرة بالنساء والأطفال ولكنى شديد الظمأ فأغيثونى بشربة ماء

فأعد له الطبيب كأساً من شراب الليمون فسقاه اياه ثم قال له

نم الآن يا بنى فان النوم يفيدك أعظم فائدة

فأطبق عينيه وهو يقول أشكرك يا سيدى الطبيب

وبعد هنيهة نام نوماً هادئاً فالتفت الطبيب الى الحاكم وقال له ان التعب أنهك جوادينا والمسافة من هنا الى كلكوتا تبلغ ثلاث ساعات

آلا ترى ان نقل ضيافتهم وننام هنا بقية هذا الليل

قال كما تشاء

وعند ذلك فتح سجن الخيمة ودخل شمشون وحاول أن يدنو من جان فمنعه الطبيب قائلاً انه نائم فلا تزعجه

قال ان ملكتنا تريد أن تراكما

فابتسم الطبيب ونظر الى الحاكم فقال له اللورد حسناً فهلم بنا الى جلالتها

ثم ذهب الاثنان الى خيمة مزخرفة خارجة عن دائرة المضرب ورأيا رجلين عند بابها كأنهما يحرسانها فى الليل والنهار فضحك الحاكم وقال أى فرق بينها و بين الملوك فان لها ما لهم من الحاشية والحراس

وكان القمر يتلألأ فى كبد السماء فلما وصلا الى الخيمة خرج منها غلام لا يتجاوز عمره ثلاثة أعوام وهو جميل الوجه يشبه ابن اللورد أتم الشبه فارتعش الحاكم حين رآه وفتح شمشون باب الخيمة وقال لهما تفضلا بالدخول

وقد دخل الحاكم قبل رفيقه فوقف حائراً مبهوتاً اذ رأى امرأة فى الخامسة والعشرين من العمر لها جمال يفتن الألباب وهى مضطجعة فوق حصير على الطريقة الشرقية فنظرت الى الحاكم وقالت له

هل عرفتنى أيها اللورد

فقال بلهجة المنذهل أميرة النوَر

قالت بل ملكتهم سينثيا

ثم أشارت الى شمشون أن يخرج فقال لها اللورد أ أنت هنا

قالت نعم وستكون ضيفنا هذه الليلة

وعند ذلك دخل الغلام الى الخيمة فقال اللورد للطبيب أرجوك أيها الصديق أن تدعنا وحدنا

فخرج الطبيب وهو يقول فى نفسه لقد كنت أتوقع هذا اللقاء

و بعد خروجه دنا الحاكم منها وقال لها

لقد كنت مخطئًا اليك يا سينثيا ولكنى مستعد لاصلاح خطأى

قالت انى لا أسألك شيئًا أيها اللورد لا لى ولا لولدك هذا

– ماذا تقولين أهذا الغلام ولدى

– أنظر اليه فهو مثالك مجسما

فأخذه اللورد بين يديه فجعل يقبله بلهف ثم قال لها حسنا يا سينثيا ان ولدك سيكون غنيًا قادراً فان لى مالاً كثيراً بحيث أستطيع أن أهب منه مقداراً عظيما دون أن أحجف بحق ولدى الشرعى فاعهدي الى بولدى فانى أربيه خير تربية واجعله من الأشراف

قالت كلا فانه سيكون نوريًا مثل أمه ولا تستطيع أن تسلبنى اياه اذ تضطر الى الاعتراف بزواجك من نورية وهى فضيحة يجتنبها الأشراف

قال ولكن لماذا تؤثرين عيش التشرد فهل تريدين أن تعودى الى لندرا فانى أقيمك فى قصر وتعيشين أرفه عيش

قالت كلا فانى اوثر أن اكون ملكة فى خيمتى الحقيرة على أن اكون عبدة فى قصرك الفخم

– ولكن دعيني أنفع هذا الغلام بشيء
– كلا أيها اللورد ولكن لى ما التمسه منك
– ماذا تريدين
– أريد أن تحمى طائفتنا التى يحميها الجميع
– أهذا كل ما تريدينه
– نعم والآن استودعك الله أيها اللورد فقد أمرت أن يحسنوا ضيافتك وضيافة رفيقك جهد الامكان

ثم أشارت اليه أن ينصرف بجلال الملكات فنظر اليها نظرة اعجاب وقبل ذلك الطفل الذى لا يستطيع أن يعترف به وخرج فلقى الطبيب فقال له

تعال فانى لا أريد أن أبقى دقيقة فى هذا المضرب واذا مات حوادانا فى الطريق سرنا الى كلكوتا مشياً على الأقدام

***

كان شمشون الجبار جالساً عند فراش جان كالكلب الأمين فلم يغمض له جفن فى تلك الليلة ولبث ساهراً يصغى الى صوت تنفسات جان التى كانت تدل على أنه شديد التعب

ثم سمعه يتنهد واشتد صوت تنفسه فوقف شمشون قلقاً مضطرباً

وفتح جان عينيه فقال

انى ظمآن

فافرغ له فى كاس شرابا كان قد أعده له الطبيب فشربه بجملته وقال ر باه كم أتوجع ومع ذلك فلا بد لى من الحصول على الكنز قبل أن ينقله البراهمة من مكانه

فقال له شمشون ألعلك وجدت الكنز

قال نعم وهو أعظم مراراً من كنوز جميع ملوك الأرض

قال ولكن لماذا لم تدعنى اليك يا سيدى

قال اصغ الى تعلم السبب

ثم قص عليه كل ما جرى له فى حوف الأرض تحت خرابات الهيكل مع الفتاة حارسة الكنز وكيف أنها راقصته حتى أعياه التعب فسقته شرابا يشبه الخمر الاسبانية

وهو لم يعد يعلم شيئا بعد أن أضاع رشده من هذا الشراب ولكنه حين استفاق لم يجد نفسه فى تلك المغارة بل وجد نفسه ملقيا فى الهواء الطلق تحت شجرة من تلك الأشجار الهندية المشهورة بسموم أوراقها وظلها فان من يستظل تحتها يموت لا محالة

وهذا النوع من الأشجار معروف فى جميع الهند فلما رأى جان أنه كان نائما تحت تلك الشجرة الهائلة عجب كيف أنه لم يمت وقال فى نفسه

لا شك أن الذين ألقونى هنا باتوا يعتقدون الآن أنى أصبحت من عالم الأرواح

وقد ذكر جان عند ذلك أن شرائع البراهمة تحرم سفك دم الانسان

ولكنها لا تحرم قتله بالاختناق وأنهم يكرهون النوَر كرهاً عظيماً و يخشون أن يتدنسوا بهم وهذا هو السبب الذى حملهم على أن يلقوه تحت الشجرة السامة

هذا الذى خيل لجان أنه حدث فبينما كان يروى لشمشون ظنونه سمع وقع حوافر جواد فقال له

اذهب وانظر ما هذا فان جميع رجالنا قد سكروا وناموا حسب عادتهم وأخاف أن يكون الهنود قد غاروا علينا

فخرج شمشون وقال جان فى نفسه

انى سأذهب هذه الليلة لاختطاف الكنز وسأصحب معى شمشون ولا أبالى بجرحى ولو قتلنى

و بعد هنيهة عاد شمشون الى الخيمة يصحبه ذلك الفارس الذى سمع وقع حوافر جواده فدهش جان حين رأى أن هذا الفارس انما هو الطبيب بالتون

وكان العرق يسيل من وجه الطبيب وهو يحمل تحت وشاحه شيئاً لم يتبينه جان فقال له الطبيب

انى لم أبت هنا وذهبت الى كلكوتا ثم عدت مسرعاً منها اليك لاحدثك بشأن خطير

فأشار جان الى شمشون أن يخرج وقال له الطبيب والاضطراب باد فى عينيه

هل نحن وحدنا الآن ؟

قال كما ترى

– أواثق انه لا يسمع حديثنا أحد

– كل الثقة فقل يا سيدى ما تشاء

فنظر اليه الطبيب نظرة الفاحص وقال له

قل لى يا بنى هل أنت من أهل المطامع

– أن لى مطامع أبناء الملوك

– وهذه الأطماع أهى لخدمتك وخدمة قبيلتك

– ثق انه متى أصبحت ملكا على طائفة النوَر لا يعودون يرسفون بقيود الذل ولا يطردون عن الأبواب طرد الكلاب

– إذن أصغ الى يا بنى وافترض انهم أخذوا من طائفتكم غلاماً يتراوح عمره بين الثالثة والرابعة وانهم جعلوهُ ابن لورد عظيم وان هذا الغلام الذى ولدته أمه النورية فى البرارى سيجلس يوماً فى مجلس أعيان المملكة ويجادل فى شؤونها زملاءه اللوردية العظام

فقال له جان ألعلك تهزأ بى يا سيدى وأنت تعلم ان هذا الافتراض محال

– ولكن هب ان هذا الافتراض أصبح حقيقة

فبرقت عيناه كنجمين يضيئان فى سماء مظلمة وقال انه اذا حدث ذلك فانى أسفك دمى فى سبيل خدمة هذا الغلام واتمنى له أن يكون أعظم عظيم فى بلاد الانكليز

– إذن فاعلم انى قادم اليك لأخبرك ان هذا الافتراض الذى افترضناه ممكن الحدوث

– كفى بربك يا سيدى فانك تضل صوابى

فأخرج الطبيب من تحت وشاحه ذلك الشيء الذى كان يخفيه ووضعه على الفراش وكان ملتفاً بقطعة من القماش فازاح القماش وظهرت من تحته جثة طفل فصاح جان قائلاً

ويلاه ما هذا . . ابن أختى سينتيا

فهز الطبيب رأسه وقال كلا ليست هذه جثة ابن أختك فانه فى أتم عافية ولكن الشبه عظيم حتى انك خدعت به لأول وهلة كما ستخدع انكلترا بجملتها . أتعلم من هو والد ابن أختك

قال نعم فان أختى لا تكتم عنى شيئاً من أمورها فان الذى خدعها يدعى اللورد اسبرتهون وهو الآن حاكم الهند

– إذن فاعلم أن هذا الغلام الميت الذى تراه الان كان يدعى فى صباح هذا اليوم المركيز روجر دى اسبرتهون أتعلم ماذا يدعى الآن ؟ أنه يجب أن يدعى أميرى ابن سينتيا المتوفى بلسع أفعى

– لله مما اسمعه أتريد أن تستبدل ابن اللورد بابن أختى

– هو ذاك واللورد ابو الولدين

– ولكن أختى قد تموت من حزنها

– كلا فان عزاءها على فراقه أنها ستغدو أم لورد

– أنك تغوينى

– بل انى أريد أن أحقق أمانيك وأجعل ابن أختك من عظماء الأرض

فوثب جان من سريره وقال

ليكن ما تريد وليعاقبنى الله اذا كنت أسىء بما أفعل فأعطنى هذه الجثة وانتظرنى خارج المضارب فلا يستطيع أحد سواى الدخول الى خيمة أختى حيث ينام طفلها

فدفع اليه الجثة وخرج وهو يقول

لقد كنت أعلم يقيناً أن جان دى فرانس سيكون معنا وعلى ذلك فان موت ابن اللورد سيكون مكتوماً لا يعلم به إلا أنا واللورد وجان

***

بزغت الشمس وصحت سنيتيا من رقادها وهى تبتسم فقد كانت حلمت أن ابنها بات له مستقبل زاهر وطال حلمها كل ليلهـا فلما فتحت عينيها وجدت أخاها جالساً عند فراشها وهو يبتسم فقالت له

لقد حلمت حلماً سعيداً يا أخى

قال ماذا حلمت يا أختى العزيزة

قالت حلمت أن ولدى اميرى قد اشتد وقوى وصار رجلاً يشبه بجماله الآلهة

– سيصح حلمك يا سنيتيا

– ولكن العجيب أنه لم يكن يلبس كما يلبس رجال قبيلتنا بل كان

يلبس ملابس مذهبة وهو يتقلد حساماً مثل النبلاء و يلقبونه بصاحب السعادة

ثم نهضت من فراشها وذهبت الى مهد ولدها فلم تكد تراه حتى تراجعت مذعورة وصاحت صيحة هائلة فقالت ر باه أن ولدى مات

وكان جان يتوقع ما حدث فأسرع الى جثـة ابن اللورد فحملها وقال لأخته

أنظرى اليه جيداً فما هو ولدك

ثم كشف عن ذراع الطفل وقال لها

أنك تعلمين أن ولدك كان موشوماً بعلامة طائفتنا فهل تجدين أثراً لهذا الوشم

ولكن الأم لا تحتاج الى مثل هذه العلامات لمعرفة ولدها فقد عرفته حين تمعنت فى وجهه وقالت

نعم أنه ليس ولدى ولكن أين ولدى

قال أن ابنك نائم الآن فى مهد من الحرير والعبيد يروحون حوله بالمراوح كى لا يزعجه الحر

– ماذا تعنى

– أعنى أن ابن اللورد الحاكم مات فحل ابنك محله وهو الآن يدعى المركيز روجر دى اسبرتهون

فسقطت على ركبتيها واهية القوى وأخذت بالبكاء فقال لها جان ما هذا البكاء فان ولدك سيغدو سيداً عظيماً من كبار النبلاء وسيكون لورداً عظيماً يحضر جلسات مجلس الأعيان و يجالس الملك

– ولكنه عندى شبه ميت إذ لا أراه

– كلا فاننا سنلزمه لزوم ظله ونحميه من كل طارىء ونعتز به فنخلع عن رقابنا نير الذل والهوان ونشاركه فى مجده

ولكنها لم تنتبه لشىء من أقواله واسترسلت الى البكاء وهى تقول أريد ولدى . . ردوا الى ولدى

فنظر اليها جان تلك النظرات النافذة التى كان يستهوى بها قلوب رجال قبيلته وقال لها

انى اذا أرجعت اليك ولدك يأتى يوم تندمين فيه الندم الشديد وتبكين بدموع من دم

فاطرقت برأسها وجعلت تبكى وهى صامتة فقال لها

لقد قلت لك اننا سنتبعه فى كل مكان فاذا احتاج الى دمائنا سفكناها فى سبيله واذا أعوزه المال أعطيناه كنوزنا ينفق منها ما يشاء

فحسبت أن أخاها قد جن وقالت له كنوزنا

قال نعم فسيكون لنا فى هذا المساء كنز لا تعادله كنوز الأرض وسيكون المستقبل لنا ولولدك

***

والآن لنبسط للقراء كيف كانت نجاة جان من قبضة البراهمة بعد أن تركناه مخدراً على الأرض وخنجر الكاهن مشهر فوق صدره وقد قضى عليه بالموت لتجاسره على الدخول الى المغارة واكتشاف أسرار الكنز .

ان الفتاة الهندية حين رأت هدا الخطر المحدق به صاحت بالكاهن قائلة

ماذا تفعل أيها المنكود ألا تعلم ان الاله الذى نعبده يحرم علينا سفك الدماء

قال يجب أن يموت

قالت انه يموت ولكن دون أن نسفك دمه

– إذن كيف يموت

– أحمله مع رفيقك وألقياه تحت شجرة سامة فلا يشرق عليه الصباح حتي يموت

– لقد أصبت يا ناتا فانك على حداثة سنك لك حكمة الشيوخ وسنفعل ما أشرت به

قالت ان موته سيكون محتما وقد تدركه النمور فتفترسه قبل الصباح

وقد وافق الكاهنان على ذلك ودخلا الى مكان فى المغارة فأتيا بخشبة فحملاه عليها وانصرفا

ولكن الفتاة كانت قد اغتنمت فرصة بحثهما عن الخشبة فأسرعت الى زجاجة صغيرة وأفرغتها فى فم جان فلما ذهب الكاهنان به برقت عيناها من الفرح وجعلت تحدث نفسها فتقول

نعم ان الشجرة السامة تقتل من ينام تحتها ولكن ابنة الكهنة التى قضى عليها أن تعيش فى جوف الأرض لا تريد أن يموت هذا الفتى

الجميل الذى حرك عوامل قلبها ولذلك سقيته ترياقا يقيه الموت من كل السموم وسيعود الىّ

نعم انه سيعود فقد شعرت ان صدره يخفق خفوق صدرى وسيذكرنى حين يفيق و يعود الىّ فنهرب معاً الى حيث يشاء

وقد نامت فلما صحت علمت من مقدار الخشب الذى التهمته النار ان زمن عودة الكهنة قد حان

وقد أقبلوا بعد هنيهة فتجلدت احفاء لاضطرابها وسألتهم أين وضعوه

قالوا اننا وضعناه تحت شجرة سامة ولكننا لم نجده حين عودتنا فلا شك أن النمور اختطفته

ثم تركوها وانصرفوا فكادت تجن من خوفها عليه وجعلت تضرع الى الاله سيوا أن يحميه و يقيه

وفيما هى تصلى وتبتهل رأت جان داخل المغارة فصاحت صيحة فرح لا توصف وهجمت عليه فعانقته وهى تقول لم يكن عندى شك أيها الحبيب انك ستعود الىّ فدفعها عنه وهو يقول ارجعى أيتها الشقية فقد أردت قتلى بالسم والقيتنى تحت الشحرة السامة

فضمت يديها وقالت كلا أيها الحبيب بل انى أنقذتك من خناجر الكهنة لأنى أحبك

فضحك جان وقال

لا أعلم اذا كنت تحبيننى ولكن الذى أعلمه انى محتاج الى هذا الكنز

قالت ان ذلك لا يكون فانى لا أسرق أموال إلهى قال انى أريد الكنز

قالت بل انك لا تأخذ منه شيئاً فخذنى الى حيث تشاء وسأكون عبدة لك ولكن لندع كنز الإله

وقد عادت الى عناقه فصدها عنه بعنف وقال لها ان الوقت لا يتسع الآن للغرام فهل تريدين أن تتبعينى

– نعم

– ونأخذ معنا الكنز

– كلا كلا

– إذن اصبرى

ثم وضع أصبعيه فى فمه وصفر صفيراً خاصاً فلم تكن غير هنيهة حتى سقط من فم المغارة شمشون الجبار وناثنيال والد الطفلة التى تبناها السير روبرت

وكان الاثنان مسلحين وهما يحملان كيسين كبيرين من الجلد فقال لهما قيدا هذه الحسناء وكماها كى لا تصيح

وبعد أن امتثلا وضعا ما كان فى المغارة من الجواهر والذهب فى الكيسين وخرجا يتقدمهما جان فوضعوا الكيسين على مركبة وعادوا جميعهم الى المضارب وقد فاز جان بالكنز

## القسم الثالث

# مس الن

مضى سبعة عشر عاماً على الحوادث التى بسطناها ربى فى خلالها ابن النورية أى ابن أخت جان دى فرانس فى قصر اللورد أبيه وكان يدعى المركيز روجر دى اسبرتهون وهو فتى فى العشرين من العمر وله جمال تام وأدب أتم . وقد بقى سر مولده مكتوماً عن جميع الناس ما خلا أباه وأمه وخاله والطبيب بلتون

وكان ابن عمه السير جمس قد اعتزل الخدمة فى الجيش وأقام فى قصرهم القديم فى اسبرتهون وهو فى الثلاثين من العمر وله نظرات تدل على الحقد وشفتان رقيقتان تدلان على انه مفطور على الخبث

ففى يوم من أيام الربيع كان المركيز روجر سائراً على جواده يصحبه خادمه لزيارة ابن عمه السير جمس

وما زال سائراً حتى وصل الى الغابة المؤدية الى منزل ابن عمه فانتبه لصهيل جواد كان يسير فى تلك الغابة بفارسه فقال من عسى أن يكون هذا الفارس ألعله ابن عمى قادم لزيارتى

ولكنه لم يلبث ان تبين خطأه بعد بضع خطوات فقال ترى من هو هذا الفارس

فقال له خادمه أظنه يا سيدى ذلك المندى الذى اشترى أرض اللورد جاك جريجور منذ أسبوعين

قال لقد سمعت شيئاً من أخبار هذا الرجل فقد قيل انه أتى بثروة عظيمة

ثم واصل الاثنان سيرهما ولما توغلا فى الغابة اعترضت المركيز امرأة نورية تبلغ نحو الأربعين من العمر فقال لها ماذا تريدين

قالت أود لو أذنت لى أن أرى طالعك فانى أعرف بأسرار المستقبل

فضحك المركيز وقال أحق انك تعرفين

قالت نعم

قال لا أرى فى سماء مستقبلى شيئاً من الغيوم فانى فى العشرين من عمرى ولى ثروة يبلغ ريعها الملايين وانا من لوردية انكلترا وقائد فرقة الملك

قالت ان الاخطار قد تهدد الملوك انفسهم فدعنى أرى باطن كفك

فبسط لها يده وهو يبتسم فنظرت فيه وقالت

أرى ان خطراً عظيماً يحدق بك وخير لك أن لا تذهب للصيد غداً

— كيف عرفت انى سأصيد غداً

— ألم أقل لك انى أعرف المستقبل

— وأى خطر على من صيد الثعالب

— ان من يصيد الثعلب قد يلقى فى طريقه دباً كاسراً

— ولكن الوحوش الكاسرة لا أثر لها هنا

– أنصحك أن تثق بما أقوله لك وان لا تذهب غداً للصيد

– حسناً فسوف أرى والآن فهل بقي لك ما تتنبأين لى عنه

فعادت الى فحص يده وقالت له أنك من العشاق يا سيدى

فارتعش وقال ذلك ممكن فهل أنا مخطىء أيضاً فى هذا الحب

فهزت رأسها وقالت أنك قد تندم لحبك هذا

– وأنت ما زلت تعلمين كل شيء فقولى لى هل تحبنى التى أحبها

– سأجيبك فى فرصة أخرى إذ يوجد فى يدك خط لم يكتمل بعد والآن أستودعك الله وأسأله أن يحرسك

فرمى لها المركيز دينارين وواصل سيره وهو يقول ترى لماذا أندم لحبى مس ألن

ثم قال لخادمه أتعرف هذه المرأة

قال نعم فهى نورية ترتزق من هذا التدجيل فاطمئن يا سيدى فان تكهناتها لا تصدق

⁂

كان السير جمس فى إحدى قاعات قصره فدخل اليه خادمه وقال له أن ابن عمك يا مولاى قادم لزيارتك

قال كيف عرفت ذلك

قال رأيته من الشرفة قادماً بجواده عند مخرج الغابة

– أتعلم يا ويلسن أن ابن عمى كتب لى رسالة

– نعم وقد دعاك فيها الى صيد الثعالب

- وقد رفضت الدعوة لثقتي أنه سيزورني و يلح على فاقبل
- اذا كان ذلك فلماذا رفضت فى البدء
- لأنه اذا حدثت نكبة غداً فى الصيد فلا يظنون انى أنا أعددتها لاغتيال ابن عمى كى أرثه
- أتتوقع يا مولاى حدوث نكبة غداً
- نعم
- كيف ذلك
- أن من يصيد الثعلب قد يلقى دبًا
- ولكن لا يوجد هنا وحوش ضارية
- سيوجد وحش فى الغد بلون الجواد الذى يركبه ابن عمى العزيز
- أنه لا يركب غير جواده نيشون الأسود كما تعلم
- حسنًا وان لهذا الوحش ولعًا بالهجوم على الجياد السود

فنظر اليه الخادم نظرة المنذهل دون أن يفهم فقال له سأكشف لك هذا المعمى والآن فلنتهيأ لاستقبال رئيس أسرتنا

فخرج الخادم وجعل السير جيمس يقول انى لا أزال أعجب كيف أنه سلم من الأفعى فقد وضعته فى سريره حين كان له من العمر ثلاثة أعوام

وبعد هنيهة دخل المركيز فبالغ السير جيمس بالاحتفاء به فأقام عنده ساعة وقد ألح عليه كثيراً حتى رضى بحضور حفلة الصيد ثم افترقا فشيعه الى الباب الخارجي

وبعد انصرافه نادى خادمه وقال له تعال الآن أخبرك بما عزمت عليه . أتذكر انى كنت فى الشتاء الماضى أذهب الى هايد بارك

– أنك كنت تذهب كل يوم يا مولاى

– ذلك أنه كان يوجد عند باب هذه الحديقة الكبرى رجل يروض الوحوش الضارية فلبثت بضعة أيام أحضر هذه الألعاب الى أن دعوت يوماً مروض الوحوش وقلت له كم تكسب فى يومك

قال عشرة شلنات تقريباً

قلت أتريد ان تكسب ثلاثين

قال دون شك فماذا تريد أن أصنع

قلت أريد أن تلاعب الوحوش أمامى وحدى فى كل يوم

فاتفقنا على ذلك وجعل يلاعب وحوشه مدة ثلاثة أشهر كل ليلة من انتصاف الليل الى الساعة الثانية بعده

وكانت الطريقة التى اخترتها هى أن يلبس براثن دب كاسر عنده أحذية من الجلد كى لا يستطيع الايذاء بها ثم يخرجه الى ساحة اللعب فيجد هناك رجلا يلبس ملابس الفرسان وهو يمتطىء جواداً أسود فيسير بجواده حول هذا الدب ويجلده بسوطه جلداً أليماً

وقد لبث الدب يصبر على الأذى مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع جعلت عيناه تتوهجان من الغضب حين يرى الفارس وجواده الأسود

ولبثنا على هـذا التمرين ستة أشهر وفى كل يوم يرى الدب الجواد

الأسود و يشعر بالسياط تمزق جلده الى أن خطر لى أن أجر به آخر تجربة فأتيت بتمثال من الخشب ألبسته ملابس الفرسان وأركبته على جواد أسود ووضعته فى ساحة اللعب ثم أمرت مروض الوحوش فنزع أحذية الجلد من براثن الدب وفتح له باب القفص فلما رأى الجواد وفارسه هجم عليهما هجوماً هائلاً ولم تكن غير هنيهة حتى بقر بطن الجواد وحطم التمثال الخشبي و بات الدب ممرناً أتم التمرين

فقال له الخادم أين هو الدب الآن

قال لقد جاء به مروضه أمس الى الغابة التى سنصيد فيها غداً

قال ولكن هـذه الحفلة سيحضرها كثيرون وملابس الأشراف متشابهة و يوجد بين جيادهم بعض جياد سوداء

قال لقد احتطت لهذا الأمر ولكن المركيز سيصل الى موقف الدب قبل سواه

- كيف ذلك يا سيدى

- ذلك منوط بك فماذا يكون من الجواد اذا وضع تحت سرجه صنارة صيد وغرست فى لحمه

أنه يهيج فى الحال و يجمح بفارسه

- كلا أنه لا يهيج فى الحال بل بعد ساعة

- كيف ذلك

- ذلك أن تلف الصنارة بشمع ويخاط أسفلها بالسرج فمتى سار

الجواد ساعة أذابت الحرارة الشمع ودخلت الصنارة الى لحم الجواد

والآن فانك ستذهب فى هـذا المساء الى قصر ابن عمى فتنام هناك مع الجياد وكلاب الصيد واذا كنت حاذقاً تمكنت من وضع الصنارة تحت السرج

قال اطمئن فسيكون ما أردت

قال وأنا متى ورثت ملايين ابن عمى ولقبه اعرف كيف اكافئك

***

وهنا لا بد لنا أن نذكر شيئاً بالايجاز عن أبطال هـذه الرواية الذين تركناهم فى الهند منذ سبعة عشر عاماً وقد عادوا كلهم اليها الآن فان اللورد اسبرتهون اعتزل منصبه فى الهند وعاد الى لندرا فمات فيها منذ عام وهو يعتقد أنه ليس له غير ولد واحـد من امرأته غير الشرعية أى ابن النورية

وجان دى فرانس عاد مع طائفته الى لندرا تصحبه أخته أم المركيز

وقد جاء بتلك الأموال العظيمة التى أخذها من هيكل سيوا وأقام فى لندرا متنكراً باسم الناباب عثمان

وناتا الهندية التى كانت حارسة الكنز أطلق الكهنة سراحها فحقدت حقداً عظيماً على جان وجعلت تطوف أوربا باحثة عنه للانتقام

والسير روبرت قتل أخا اللورد بمبارزة وعاد الى لندرا مع الطفلة التى اشتراها من أبيها ناثانيال النوري فرباها وأوهم الناس أنها ابنة أخ له

متوف فى الهند وهى الآن فى مقتبل الشباب تدعى مس الن ولها جمال نادر واللادى سسيل امرأة اللورد اسبرتهون الشرعية عادت من ايكوسيا الى لندرا يصحبها ولدها ليونيل ابن اللورد الأصغر ولكنها أوهمت جميع الناس أن ولدها قد مات حذراً عليه من بطش أخى زوجها بعد أن وثقت أنه يريد قتله وكتمت عن ولدها نفسه سر والده فهو يعتقد أنه ابن أحد الضباط وان اللادى سسيل كملته صغيراً وربته عندها

والطبيب بولتون عاد أيضاً الى لندرا وهو مع السير روبرت من أصدقاء المركيز روجر

وكان المركيز روجر وليونيل ابن اللورد الشرعى يحبان مس الن وكلاهما لا يعلمان أنهما اخوان ويجهلان أنهما يحبان امرأة واحدة

ففى الليلة التى تقدمت حفلة الصيد كان نحو أربعين مدعواً جالسين على مائدة المركيز روحر بينهم مس الن تضىء اضاءة البدر بين النجوم

وكان الجميع يتسابقون الى اكرامها ويطمعون بنيل ابتسامة منها ولكنها لم تكن تبتسم فى تلك الليلة بل كانت منقبضة الصدر حتى لقد خيل للمركيز أنه رأى دمعة سقطت من عينها

ولما فرغوا من الطعام جىء بالخمرة الفرنساوية وحان دور شرب الانخاب فوقف المركيز وكاسه فى يده وقال

أيها اللوردية والسادة انى أشرب نخب مس الن الحسناء

فشكرته الفتاة بابتسامة وقالت

وأنا أشرب نخب الكولونيل روجر

فأجابها روجر ان الكولونيل روجر يضع فرقته تحت أمرك

فابتسمت وقالت ماعدا قائدها فيما أظن

قال بل الفرقة وقائدها

قالت احذر مما تقول فلو أعطيت هذه السيادة هنيهة لالتمست من الكولونيل التماساً

قال مرى بما تشائين

– أتفعل ما أطلبه اليك

– دون شك

– إذن انى أسألك مركز ضابط فى فرقتك فضحك وقال أ أنت التى تتولين هذا المنصب

قالت بل لفتى يتولى عمى حمايته وأنا أحبه حب أخ وهو ليونيل فارز

قال أن أخى كان يدعى بهذا الاسم حين مات وهو فى سن الرضاع وقد عينت هذا الفتى كما تريدين وسأجعله من أصدقائى

فعادت الى شرب نخبه وشاركها الجميع فى شرب هذا النخب و بعد ذلك نهضوا عن المائدة وقال لهم المركيز لا تنسوا أيها الأسياد اننا سنركب الجياد فى الساعة التاسعة من صباح غد وأما السيدات فانهن يتبعننا فى المركبات

فقالت مس الن أما أنا فامتطى جواداً

فقال لها المركيز اذا كان ذلك فانى أعد لك جواداً لا يوجد جواد يماثله فى ايكوسيا

فمدت له يدها شاكرة فقبل يدها وقال فى نفسه لم يعد لى طاقة على الصبر وسأبوح لها غداً بغرامى

فى صباح اليوم التالى ركب الجميع جيادهم وانطلقوا بها الى الغابة فكانت مس الن تسير بجانب المركيز ووراءهما ابن عمه السير جيمس وخادمه ويلسن

فلما وصلوا الى مكان الصيد ذاب الشمع وشعر جواد المركيز بوخز الصنارة فجعل يهيج ويحاول الركض والمركيز يمنعه كى لا يفارق مس الن الى أن قال لها هذه أول مرة رأيت فيها جوادى على هذه الشدة

قالت أطلق له العنان فانى اتبعك

فأرخى له عنانه فانطلق كالسهم وتمكنت الفتاة من ادراكه فقد كان جواده شديداً وكذلك السير جيمس وخادمه فقد كانا لا يبعدان عنه أكثر من مائة خطوة خلافاً لبقية الفرسان فقد كانت جيادهم ضعيفة فلم تتمكن من اللحاق

أما المركيز فقد شعر أن جموح جواده غير طبيعى وحاول مراراً أن يكبح جماحه فلم يستطع

الى أن وصل الى قمة عالية وهناك صاحت الفتاة صيحة منكرة وغطت وجهها من الذعر فانها رأت وحشاً هائلاً قد انقض من أعلا القمة انقضاض الصاعقة وهجم على جواد المركيز فبقر بطنه وألقاه على الأرض مع فارسه

وقد حاول الوحش أن يبطش بالمركيز وعند ذلك سمع صفير تلاه صوت رجل يقول : تون . تون

فالتفت الدب الى مصدر الصوت وظهر رجل هائل الخلقة من بين الأشجار فجعل الدب ينظر اليه بعينيه الصغيرتين نظر المنذهل فقال له الرجل تعال

فمشى الدب خطوتين اليه كأنما صوت الرجل سحره فقال له نم هنا فامتثل طائعاً وجعل يلحس قدمى الرجل

وقد جرت هذه الحادثة بدقيقة تمكن المركيز في خلالها من النهوض إذ لم يكن أصيب إلا برضوض بسيطة

أما الرجل فانه ابتسم للمركيز وقال له أرجو يا سيدى أن لا تكون أصبت بأذى

قل كلا ولكن وحشك كاد يفترسنى

قال أنك واهم يا سيدى فهذا الوحش ليس لى

— ماذا تقول

— أقول الحق فقد كان لى ولكنى بعته منذ ثلاثة أعوام فلما سمع صوتى الآن عرفنى

وكان السير جيمس وخادمه رأيا هذا المشهد من بعيد فقال الخادم أن مروض الوحوش قد خاننا ولا أجد خيراً من الهرب

قال لقد أصبت فلنذهب

وكانت مس الن قد اطمأنت خلافاً لجوادها فقد كان يرتعد فأمر الرجلْ الدب أن يصعد الى القمة فامتثل وعاد المركيز الى محادثته فقال له تقول أن هذا الوحش ليس لك

قال نعم فقد بعته حين اعتزلت مهنتى

– لمن بعته

– لرجل يدعى سيمون وهو يروض الوحوش

فقالت مس الن وكيف اتفق وجود هذا الوحش هنا

قال لا أعلم

– وأنت كيف اتفق وجودك هنا

– انى هنا بأمر الرئيس

– من هو هذا الرئيس

– هو الذى أسفك فى سبيل خدمته كل دمى

– ماذا يدعى

فمد يده مشيراً الى جهة الغابة وقال هـذا هو فالتفت المركيز وصاح صيحة دهش أما الفتاة فانها كادت أن تسقط عن جوادها حين رأته

وقد أقبل هـذا الذى يدعونه بالرئيس فقال للذى أنقذ المركيز لقد أحسنت يا شمشون فانك أصدق المخلصين

كان هذا الرجل جان دى فرانس الذى كان يعرفه أهل لندرا باسم النا باب عثمان

وقد انحنى المركيز امامه مسلماً وقال انى نجوت من الموت بأعجوبة ويظهر انك كنت سبب نجاتى

قال هو ذاك

فحاول المركيز أن يشكره ولكنه قاطعه باشارة وقال له أنظر الى هذه القمة فان صاحب الدب كان مختبئاً فيها لينتظر قدومك فلما رآك أطلق عليك الوحش ولكنه كان يوجد رجل مختبئاً وراءه فاغمد خنجره بين كتفيه وأسرع فى أثر الدب وغدارته فى يده فلو لم يعرف صوت صاحبه القديم لأطلق عليه النار وقتله أفهمت الآن

قال كلا فلم أفهم السبب الذى حمل هذا الرجل على أن يطلق وحشه على

– انه لم يكن غير آلة فى يد سواه

– الى أعداء يريدون قتلى

– ان من كان له صباك ونبلك وثروتك لا يخلو من اعداء ورجائى أن تأذن لى بأن لا أصرح باكثر من هذا

– ولكن أرجو أن تقول لى على الأقل من الذى كان مختبئاً وراء مروض الوحوش وقتله

– هو أنا

– أنت

— نعم والآن أرجوك يا سيدى أن تأذن لى بالانصراف فانى أرى رفاقك قادمين وقد تأخروا عن انقاذك ولكنهم سيعطونك جواداً تعود عليه فاستودعك الله

ثم نظر الى جواد مس ألن وقال لها ان حزام جوادك قد ارتخى يا سيدتى فائذنى لى أن أشده

وقد دنا منها فشد الحزام وقال لها همساً :

ياتوسى النورية ان الرئيس يأمرك أن تذهبى بعد ثمانية أيام فى الساعة العاشرة من المساء الى ديتفورد وان تنتظريه هناك وحدك

ثم ودع المركيز وانصرف فتبعه شمشون يصحبه الدب

وعند ذلك التفت المركيز الى مس ألن فرآها مصفرة الوجه تضطرب فحسب ان اضطرابها من حادثته وقال لها ما هذا الاضطراب

قالت انى اضطرب من خوفى عليك

قال أعرفت هذا الرجل الذى أنقذنى

قالت كلا

وقد أطرقت برأسها الى الأرض كأنها تريد اخفاء مخاوفها وعند ذلك انقطع الحديث بينهما لقدوم رفاق الصيد

* * *

أما عثمان أو حان دى فرانس فانه عاد من فوره الى لندرا وذهب الى بائع المجوهرات وقال له أسعدت صباحاً ياناثانيل فوقف الرجل اجلالاً

له وحياه باسم الرئيس فقال له عثمان كيف مصير الأعمال

قال انها فى خير حال

فابتسم وقال له إذن أنت غير آسف على الزمن القديم حين كنت ترتزق من سرقة كلبك

قال كلا أيها الرئيس ولكن

— ولكن ماذا

— ولكنى يخطر لى أحياناً بعد هذه السعادة انى وحدى

— تزوج

— كلا ليس هذا الذى أعنيه فقد مت مرة بالزواج ولايشتهى الموت من ذاقه ولكنى نادم لأنى بعت بنتى وانها من دمى وانى أحن اليها

— إذن أنت تريد أن تراها

— واأسفاه كيف السبيل الى ذلك وأنا لا أعلم ما جرى لها ولا أعرف اسم الرجل الذى أخذها منى

— ان لندرا كبيرة غير أن من يبحث يجد

— أحق ما تقول يا سيدى

— انك علمت بالتجربة انى حين أتولى أمراً لا أخيب

— انها تبلغ الآن الحادية والعشرين من عمرها اذا كانت لا تزال باقية فى قيد الحياة وقد كانت تشبه أمها فهى لا بد أن تكون من أجمل الفتيات فاذا اشتغلت معى راجت تجارتى أعظم رواج

– لقد عرفت الآن معنى حنوك الأبوى ولكنى سأجد بنتك فهل هى موسومة بعلامة طائفتنا

– دون شك فقد وسمتها حين ولادتها

– أليس لها علامة أخرى

– نعم فقد عضها الكلب فى حداثتها ولا بد أن يكون أثر هذا العض باقيًا بين الابهام والسبابة

– حسنًا فسأبحث عن بنتك ولكنى اشترط شرطًا

– ما هو

– هو انى حين أرشدك اليها واقول لك هذه هى بنتك تطلب بها

– هذا لا ريب فيه

فودعه وانصرف

وفى اليوم التالى دخل ايوبيل فى فرقة المركيز وقد أحسن استقباله وعينه ضابطًا وجاءت أمه من الريف فأقامت متنكرة فى لندرا فلم يكن يعرف أمرها غير السير روبرت

وأما السير جيمس ابن عم المركيز فقد كان أسفه عظيماً لخيبة مساعيه فصبر حتى اطمأن وأيقن أن ابن عمه لم يعلم شيئًا من حقيقة أمره فعاد الى الكيد له وأغرى رجلاً مشهوراً بالمبارزة ورشاه بالمال كى يبارز المركيز. ولم يقتصر على ذلك بل انه اشترى حسامًا مقلداً من نورى وهو سيف ينكسر لأول صدمة وأهداه الى ابن عمه المركيز

وكان عثمان قد عرف بأمر المبارزة وعلم من النورى سر السيف فذهب الى المركيز وسأله أن يجعله من شهوده ففعل

وفى اليوم المعين للمبارزة أبدل سيف الرجل بسيف المركيز المقلد وجرت المبارزة فدارت الدائرة على الرجل فأخبره عثمان بحكاية السيف المقلد ولكنه كتم عنه مكيدة ابن عمه فشكره المركيز شكراً حميما اذ انقذه مرة ثانية من الموت ولكنه كان شديد الاضطراب إذ أيقن الآن أن له عدواً هائلاً ولكنه لم يعرف هذا العدو فان عثمان أبى أن يخبره عنه مدعياً انه لم يعرفه بعد

غير انه قال له اطمئن فاذا كان لك عدو فلك كثير من الاصدقاء وان عيونهم لا تنام

فلم يكن هذا الكلام الا ليزيد هواجس المركيز فانه لم يفهم سبب هذه الصداقة ولا ذاك العداء

بعد حادثة الوحش بثمانية أيام كان عثمان يسير مسرعًا على ضفة نهر التيمس الى أن دخل الى مكان معين فالتفت الى ما حواليه ليرى اذا كان يتبعه أحد فلما لم يجد ما يريبه صفر صفيراً خاصاً بفمه ثم اتشح بردائه ووقف ينتظر

وبعد هنيهة سمع صوت المجاذيف فالتفت فرأى قاربا يدنو مسرعًا الى الشاطىء

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة من المساء وظلام الليل مشتد الحلك فنظر الى القارب محدقاً وقال

أهذا أنت يا شمشون

قال نعم أيها الرئيس

فوثب عثمان الى القارب ونظر فى ساعته فقال

لقد دنا الوقت فاسرع يا شمشون وسر بى الى دربيتورد

وبينما كان القارب يسير كان عثمان يحدث نفسه فيقول سوف نرى يا مس ألن ما يكون

وقد كان الهواء شديداً والتيار سريع الجريان فاندفع القارب بملء السرعة

وكان الضباب شديداً متلبداً حتى أن المصابيح التى كانت مضاءة على ضفتى النهر لم تكن ترى لشدة تلبد الضباب

ومع ذلك فان شمشون كان يسير بقاربه بملء المهارة ويدفعه بين السفن الكبرى دون أن يخشى الاصطدام

وبعد ساعة وصل الى المكان الذى كان ذاهباً اليه فنظر عثمان الى منزل معتزل تحيط به الأشجار على الضفة اليمنى فلم يجد فيه أثراً للنور فقطب حاجبيه وقال فى نفسه

ترى أجسرت مس ألن على مخالفة أمرى فلم تحضر

ثم أمر شمشون أن يرسو عند ذلك الشاطىء وخرج من القارب فقال لشمشون

أبعد قليلا ولا تعد الا حين أناديك بالصفير

وقد مشى الى ذلك المنزل وسار بضع خطوات تحت جدرانه المظلمة وهو يقول

لا بد لنا أن تكون مس ألن منا

وفيما هو على ذلك رأى فجأة نوراً قد لمع من وراء إحدى النوافذ ثم فتحت النافذة فدنا منها وسمع صوتا يقول له من أنت

قال أنا هو الذى تنتظرينه

قالت ان النافذة مفتوحة فادخل

فتسلق الجدار الى النافذة ووثب منها الى الغرفة التى كانت فيها وهى غرفة مفروشة بالحرير ومزينة بالأزهار وغير ذلك من التزيين الدقيق الذى لا يفهم أسراره غير النساء

وعلى الجدران رسوم مصورة باليد كتب تحتها اسم ألن دلالة على انها هى التى صورتها

وبين هذه الرسوم رسم السير روبرت مما يدل على أن الفتاة كانت فى منزلها الصيفى

وان تربية الفتاة فى بلاد الانكليز تختلف كثيراً عن تربيتها فى سائر البلدان فان ذويها يمنحونها الحرية المطلقة فتركب الجياد وتسير وحدها فى الشوارع وتتنزه فى القوارب دون أن يصحبها أحد اذا شاءت

ولذلك كانت مس ألن متمتعة بكل ما تتوق اليه نفوس العذارى من الحرية

وكان السير روبرت قد ذهب منذ يومين الى ايكوسيا فى بعض الشؤون وترك مس ألن فى لندرا مع مربيتها القديمة

ولكنها كانت تأتى فى كل مساء الى منزلهم الصيفى فتبيت فيه وعند الصباح تركب قاربًا وتعود الى اندرا

وقد وقف عثمان أمامها وبدأت هى الحديث فقالت

لقد أحببت أن أراك يا سيدى لأنى لا أزال أفكر الى الآن دون أن أدرك معنى ما قلته لى فى حفلة الصيد منذ ثمانية أيام

قال إذن أنت تريدين أن أوضح لك معناه

فأجابته بجفاء قائلة

نعم ولا أريد أن تطيل انتظارى

فجلس على كرسى أمامها وقال لها

إذن اعلمى أيتها العزيزة توبسى انى قادم اليك لأعقد معك محالفة

فوقفت عند ما سمعت كلمة توبسى وقد توهجت عيناها واصفرت شفتاها كأنها رأت أفعى فاجأتها وقالت له

انى ادعى مس ألن فالدن يا سيدى وأمنعك عن أن تدعونى بغيراسمي

فابتسم عثمان ابتسام المتهكم وقال لها

ليكن ما تريدين فقد قلت لك انى أتيت لعقد محالفة

فنظرت اليه نظرة المحتقر وقالت

مع من تريد أن أتحالف

قال مع قوم فقراء لا يحسدونك لثروتك وألقابك أى مع طائفة اميرى النورية يا مس ألن

فضحكت ضحكا مغتصباً وقالت

أأنا أتحالف مع النور أنك تقص عليّ حكاية شرقية

قال نعم وهى حكاية هندية فان ملك النوَر يحبك كثيراً يا مس ألن ويريد أن تكونى سعيدة فى عائلتك الجديدة

فقالت له بلهجة المتهكم أحق ما تقول

قال نعم وقد خشى أن تتمادى فى اطماعك فأرسلنى اليك كى أسديك نصيحة وهى نصيحة أخ صادق فائذنى لى أن افترض هنيهة أنك تدعين توبسى وانه ابنة ناثانيل النوَرى

قالت أتم حديثك فانك ترى انى مصممة على أن أسمعه بجملته

قال واذا صح هـذا الافتراض فان أصحابك يسرهم أن يعقد هذا الزواج الذى يعده لك السير روبرت فالدن

— مع السير ليونيول

— نعم وهو يحبك بملء جوارحه

— ولكن اذا خطر لى أن أطمع بأحسن من هذا الزواج وأردت أن أكون يوماً مركيزة

— أتريدين الزواج بالمركيز دى اسبرتهون

فقطبت حاجبيها لهذه المفاجأة وقالت

لنفترض أن هذا الاسم يوافقنى

– ولكن لا يوافق رجال الطائفة على الاطلاق وليس من فائدتك أن يكونوا من أعدائك

فاتقدت عيناها ببارق من الغضب وقالت

أيطمع أولئك الذين تدعوهم أصحابى أن يحكموا على قلبى ومستقبلى ويزوجونى بما يشاءون

– كلا فانهم يتركون لك الخيـار فلك أن تتزوجى بمن تريدينه ما خلا المركيز

– واذا أردت أن أكون مركيزة وان اتشح بوشاح اللوردية فماذا يكون

فوقف عثمان وقال

يكون أن ملك النوَر ورعاياه يشهرون عليك حربًا عوانًا لا رحمة فيها ولا اشفاق

فنظرت اليه بعينين تتوهجان من الغضب وثارت فى قلبها الأحقاد فقالت

حسنًا فان توبسى النورية تقبل هـذه الحرب وانى أقاتل جموعكم وحدى غير هيابة من ملككم ورعاياه فقد ذكرت الآن أيام حداثتى وذكرت نبرات صوتك التى وصلت الى مسمعي كالصدى البعيد وعرفتك حق العرفان فأنت هو جان دى فرانس

فكتف عثمان يديه وجعل ينظر اليها بملء السكينة ومضت فى حديثها فقالت

نعم أنت هو جان دى فرانس أى أنك نورى مثلى وابن الطائفة الممقوتة التى قدر لى نكد الطالع أن أكون منها وأنا خلقت لأكون من بنات الملوك

نعم انى أكره هذه الطائفة كرهاً لا تصفه الأقلام فقد ضربت فيها وأهنت وتعذبت وان ذلك الوحش الضارى الذى كان يقول أنه أبى كان يضربنى دون ذنب وقد أغرى كلبه بي فدعاه يعضنى عضاً شوه يدى

نعم انى اكره هـذه الطائفة والالتجاء اليها واكرهك أنت يا جان دى فرانس لأنى أعلم أنك رئيس هـذه الطائفة . ارجع أيها اللص . الى الوراء أيها السفاك المتشرد فان هذه الثروة التى تتمتع بها إنما هى من السرقة والآثام وسفك الدماء

فكان جان يسمع حديثها وهو يبتسم حتى اذا أتمته قال لها

إحذرى فانى قادر أن أجعلك تندمين

قالت أخرج من هنا أيها المتشرد فانى لا أخافك

ولكنه لبث واقفاً فى مكانه فهاج غضبها وأخذت سوطاً كان على مقعد بجانبها فضربته به على كتفه

أما جان فانه لم يهجم عليها و يعصرها بين ذراعيه بل أنه رجع خطوة الى الوراء وقال لها بصوت أجش

أنك ستبكين دماً لهذه الضربة . الى اللقاء يا توبسى

ثم مشى الى النافذة فوثب منها وتوارى عن الانظار

# القسم الرابع

## افتضـــاح السر

بعد ذلك بيومين بينما كانت مس أان جالسة فى غرفتها دخلت اليها خادمة بعلبة متقنة الصنع ومفتاحها فيها فسألتها قائلة من أتى بهذه العلبة

قالت رجل لا أعرفه يا سيدتى فقد أعطانى إياها وانصرف

وكان يرد اليها اكثر الأحيان هدايا لا تعرف أصحابها ولكنها كانت هدايا بسيطة خلافاً لهذه العلبة فقد كانت من الذهب وهى مرصعة بالحجارة الكريمة فخطر لها فى البدء أن ترسلها الى البوليس ثم أرادت أن تعرف ما يوجد فيها فأمرت الخادمة بالانصراف وفتحتها فوجدت فيها أكليلاً من الماس موضوعاً على وسادة من الحرير الأزرق وبجانبه ورقة مطوية ففتحتها بيد تضطرب وقرأت فيها جملة واحدة وهى :

« من أراد قدر »

فمزقت الورقة مغضبة وقالت وأنا أيضاً أريد أن أعرف من هذا الفتى الوقح الذى أرسل الىّ هذه الهدية

وقد أخذت تفحص تلك العلبة الجميلة فصاحت صيحة فرح إذ قرأت عليها اسم الجوهرى الذى باعها وعنوانه فأمرت باعداد مركبتها ثم أخذت العلبة وذهبت بها الى الجوهرى فقالت له ألم تخرج هذه العلبة من مخزنك

قال نعم

قالت من الذى اشتراها منك

فنظر فى دفتره وقال لقد اشتراها منى الجوهرى ناثانيل ومخزنه فى استراند نمرة ١٠

فارتعشت حين ذكرت هـذا الاسم إذ ذكرت به اسم أبيها ولكنها قالت فى نفسها أية علاقة لأبى وهو من اللصوص بهذا الجوهرى الغنى الذى يقيم فى أعظم شوارع لندرا ثم ذهبت اليـه ودخلت الى مخزنه فاستقبلها فتى فقالت له هل أنت الموسيو ناثانيل

قال كلا يا سيدتى وسأدعوه لك

وبعد هنيهة أقبل ناثانيل فارتعشت إذ عرفت به أباها ولكنها أسرعت الى ضبط نفسها فان النساء أشد من الرجال فى هذه المواقف

أما أبوها فانه انحنى أمامها وقال لها ماذا تأمرين يا سيدتى قالت لا شىء ولكنى أريد أن أسألك عن هذه العلبة

فبرقت عيناه إذ عرف أنها بنته وقد أدهشه جمالها حتى خيل له أنه يحلم فقال

رباه ماذا أرى أأنت هى توبسى . أنك غدوت أجمل من الملكات

فقالت له بلهجة ملؤها العظمة أنك واهم فما أنا هى التى تدعوها بهذا الاسم

وقالت له خادمتها التى كانت تصحبها أتجسر أيها الوقح أن تخاطب ابنة السير روبرت فالدن بهذه اللهجة

قال أنها بنتي ومتى كان الأب يجامل بنته

ثم دنا منها وحاول أن يعانقها فتراجعت عنه بأنفة وقالت له

احذر أن تدنو مني

قال لقد قلت لك أنك بنتي وسأثبت قولي بالبرهان

وقد حاولت أن تخرج من ذلك المخزن غير أن أباها تصدى لها عند العتبة وجعل يتكلم بصوت مرتفع حتى احتشد الناس عند باب مخزنه فخاطبهم قائلاً

نعم نعم أنها بنتي . أنظروا أيها الناس ألا ترون هذه السيدة الحسناء . أنها بنتي وقد سرقوها مني

فتقدمت خادمتها وحاولت أن تشق الزحام كي تدع سيدتها تمر فاعترضها أحد الحضور فدفعها الى داخل المخزن وقال لها دعي هذا الرجل يتكلم

وقال آخر أنها بنته كما يقول وقد سرقت منه

فقال ناثانيل نعم أنها بنتي وسأبرهن على ذلك

فصاح الجميع قائلين هلموا الى البوليس

فأشارت مس ألن الى الحضور وقالت نعم سأذهب الى البوليس واثبت أن هذا الرجل منافق محتال

قال بل أنت تكذبين

قالت أيها الناس اني أدعى مس ألن فلدن وأنا ابنة أخي السير روبرت فالدن وقد ولدت في لندرا

وكانت تقول هذا القول بلهجة تدل على صدقها فانقسم الحضور الى قسمين قسم تشيع لها وقسم تشيع لأبيها

وعند ذلك رأت أحـد ضباط البحرية فأشارت اليه أن يدنو منها وقالت له أتريد يا سيدى أن اتأبط ذراعك وتصحبنى الى ادارة البوليس فانى ضحية مكيدة لا محالة

قال بملء الارتياح . ثم أخذ بذراعها وسار واياها فتبعهما أبوها وجمهور من المتفرجين

وقد وصلوا الى الادارة ودخلوا الى مدير البوليس فسمع قول الاثنين ثم قال لناتائيل

كيف تستطيع ان تثبت أنها تدعى تو بسى وانها بنتك قال بالبرهان

قال انى أتمنى لك أن تجد هذا البرهان فانك ادا أقنعتنا ردت بنتك اليك وأما اذا لم تقنعنا تكون أهنت سيدة من أشراف الانكليز فتعاقب حسب النظام بغرامة قدرها مائة جنيه وتجلد خمسين جلدة فى مكان عام

فارتعد وجعل العرق يسيل من وجهه فقال له المدير ألا تزال مصراً على دعواك

فظهرت عليه علائم التردد وقالت مس ألن

اذا أراد هـذا الرجل ان يرجع عن دعواه فانى أغفر له والتمس من المدير أن يعفو عنه

فهاج ناتائيل لما سمعه وقال كلا لا أرجع عن دعواى

فقال له المدير إذن هات برهانك

قال انى نورى الأصل ومن عادة طائفتنا أنهم يسمون ابناءهم حين يولدون بعلامة خاصة بهم

قال ما هى هذه العلامة

قال انها رسم زاوية نرسمه على الكتف الأيسر ثم نسمه فلا يزول أثره مدى الحياة

فقالت مس ألن تخاطب المدير أنك اذا وعدتنى يا سيدى بان هذا الرجل يعاقب بأشد ما يقضى به القانون رضيت ان اكشف عن كتفى

قال أن العقاب ينفذ فيه لا محالة اذا كان من الكاذبين

فنادت إحدى النساء وأعطتها رداءها فجعلته شبه ستار بينها و بين الحاضرين ثم كشفت عن صدرها وخلعت أعلى ثوبها فظهر كتفها أمام المدير وناتانيل وشاهدين أما أبوها فقد جمد الدم فى عروقه إذ لم ير على كتفها أثراً من هذه العلامة وعاد المدير الى مجلسه وهو يقول أن هذا الرجل منافق

ثم أمر اثنين من رجاله فقبضا عليه وهو لا يكاد أن يعى من شدة خوفه وخرجت مس ألن فلم تكد تتجاوز الباب حتى رأت رجلا بملابس البحارة فعرفت من عينيه أنه جان وقالت فى نفسها

لقد عرفت الآن السبب فى ما كان فانه أراد أن ينتقم لضربة السوط ثم مرت به وقد نظرت اليه نظرة المنتصر وعادت الى منزلها

*
* *

أن من عادة المحاكم الانكليزية البطء فى القضايا الكبرى والجنايات العظيمة ولكنها لا تمهل فى القضايا الصغرى ولا سيما قضايا البوليس وقد جرت على هذه القاعدة فى محاكمة والد مس ألن

ثم ان السير روبرت راعه ذلك الخطر الذي كان محدقاً بربيبته وكان قد أعد عدته لاتقائه من زمن بعيد فانه حين اشترى توبسى من أبيها كان له بنت أخ يتيمة فى الريف ماتت ولها عمر توبسى فأخذ أوراق ولادتها وكتم أمر موتها فى لندرا وأوهم الناس أن توبسى هى بنت أخيه فكانت تلك الأوراق تثبت مدعاه

ثم أنه كان يعرف رجلا من النوَر صناعته الوشم وكان له عليه فضل فأخذ منه دواء محا به أثر الوشم عن كتف توبسى

فلما علم بما جرى لها مع أبيها ذهب الى مجلس العموم أى مجلس النواب وهو عضو فيه فبسط شكواه وقال ان الأشراف بجملتهم قد أهينوا لاهانته فكان ذلك باعثاً الى التعجيل بمقاضاة ناثانيل فحاكموه وحكم عليه القاضى بأقصى درجات العقوبة وهى الغرامة والجلد فى محل عام

فلما كان يوم التنفيذ ازدحم الناس فى ساحة العقاب وذهبت مس ألن على جوادها الى تلك الساحة قبل موعد التنفيذ بنصف ساعة

وكانوا قد بسطوا النطع فوق دكة عالية ووقف الجلاد عليها فلما رأت هذا المنظر الرهيب اصفر وجهها ونسيت كل ما أساء اليها به أبوها فى حداثتها

ثم أن السير روبرت كان قد وعدها بأن يلتمس له العفو ولم يف بوعده فجاءت الى ساحة العقاب على رجاء أن تلتمس له العفو بنفسها حين يأتى به الجنود

وكان الناس يتقاطرون من كل جهة وقد غصت بهم الساحة على رحبها واشتد جزع مس ألن فأرادت أن تشغل نفسها ورأت رجلا هنديا يعزف بالناى وامرأة هندية ترقص على عزفه فدنت منهما كى تتلهى بهذا المشهد وسمعت المرأة تنشد أناشيد هندية وهى ترقص

فكانت هـذه المرأة بارعة فى الجمال وهى ترقص رقصاً عجيباً شغل مس ألن عما هى فيه

أما الهندية فانها ما زالت ترقص حتى انهكها التعب فجلست متربعة على الأرض على الطريقة الشرقية وأخذ الناس يلقون لها المنسات وغيرها من النقود الصغيرة

ولكنها لم تكن تعبأ بشىء من ذلك بل جعلت تنظر الى السماء وقد شخصت اليها بحيث باتت شبه المأخوذة وجعلت تتحدث باللغة الانكليزية كأنها تناجى نفسها فتقول

أنا دابى ناتا ابنة الكهنة وحارسة كنز الاله سيوا وأنا التى حكموا علىّ أن أعيش كل عمرى فى جوف الأرض لحراسة الكنز وانارته بالنيران المقدسة وأى كنز هو فان الذهب كان متكدساً كحب الرمال واللآلى كأعشاب الحقول فكنت أحرس هذا الكنز وأقول أقدر لعينى أن

لا ترى نور الشمس ولقلبي أن لا يعرف الحب . وفيما أنا على ذلك تجاسر رجل من الجنس الأبيض على الدخول الي ومحادثتي بكلمات الحب

فوضع رفيقها الهندي يده على كتفها يحاول منعها عن الكلام ولكن مس ألن أعطته جنيهين وأمرته أن يدعها تتكلم فمضت في حديثها فقالت

انه كان جميلا وكنت أحبه ولكن هذا الرجل كان خائنًا فانه لم يكن يريد حبي بل كان يريد اختلاس كنز الاله سيوا

فقالت لها مس ألن

وماذا فعل هذا الرجل أسرق الكنز ؟

قالت نعم

— كيف كان هذا الرجل

— اني حين عرفته كان لا يزال غلامًا فان هذه الحادثة جرت منذ سبعة عشر عامًا

— أحق ما تقولين

— نعم فقد كانت عيناه تبرقان كالنجوم وشفتاه كالقرمز وأسنانه بيضاء كاللآلئ وشعره أشد سوادًا من الفحم

— أكنت تحبينه ؟

— نعم بقدر ما أبغضه الآن فاني ما اجتزت البحار وما برحت بلاد الشمس الى بلاد الظلام الا لعلمي انه في أوربا ولكن أوربا كبيرة ولذلك فاني أبحث عنه منذ عشرة أعوام دون أن أراه

وكانت مس ألن تسمع حديثها وقد خامرها ريب بسارق الكنز وخطر لها خاطر بشأنه فقالت لها

ماذا تصنعين اذا وجدته

فجردت الهندية خنجراً وقالت

انى طليت رأس هذا الخنجر بالسم فمن أصيب به لا يشفى

— أين تقيمين فى لندرا

فذهلت الهندية وقالت لها لماذا تسألينني هذا السؤال

— لأنى أظن بأنى عرفت السارق

فنهضت الهندية مسرعة وأمسكت بلجام جواد مس ألن وقالت لها بربك دليني عليه ودعيني أراه لحظة واحدة أكن عبدة لك ما حييت واذا أردت قتلي بعد ذلك فقد وهبتك دمى

— قولى أين تقيمين

— فى فندق القرن الذهبى فى وينغ

— حسناً فسأراك

وقد حاولت مس ألن أن تنصرف ولكن الهندية حانت منها التفاتة الى الناس المزدحمين فصاحت صيحة منكرة وقالت لمس ألن

انظرى الى هذا الرجل فان له نظراته

وقد دلتها على رجل كان يشق الزحام و يسير الى مكان النطع فرأت مس ألن رجلا بملابس البحارة وهو الرجل نفسه الذى رأته يوم

خروجها من ادارة البوليس فقالت فى نفسها

انى لم اكن مخطئة بظنونى فانه جان دى فرانس

ثم همست فى أذن الهندية قائلة

هذا هو بعينه وقد عرفته حق العرفان

فتركتها وهجمت تريد الوصول اليه فمنعتها شدة الزحام عن أن تخطو خطوة واحدة الى الامام فجعلت تصيح قائلة

دعونى أمر فهذا هو سارق الكنز

ولم يكترث الناس لصياحها إذ حسبوها مجنونة ولبثوا شاخصين الى النطع فصاحت مس ألن صيحة رعب وغطت وجهها بيديها ولم تستطع أن تتقدم خطوة فقد تلاصق الناس حتى باتوا كالبنيان المرصوص

أما ناثانيل فقد جردوه من ملابسه العليا بحيث أصبح عارى الظهر وربطوه الى عمود وأخذ الجلاد السوط وانهال عليه بالجلد فصاح فى الجلدة الأولى وانّ فى الثانية واهتز فى الثالثة حتى أوشك أن يكسر العمود وفى العاشرة تمزق جلده وسالت منه الدماء فكان يصيح صياحاً يقطع القلوب من الاشفاق

وكانت كل ضربة تنفذ الى قلب مس ألن نفاذ السهم فقد نسيت كل شىء فى تلك الساعة الرهيبة ولم تعد تذكر الا أن هذا الرجل الذى يتعذب انما هو أبوها

وفى الجلدة العشرين انقطع صياحه وعاد الى الانين وفى الثلاثين

أغمى عليه وانقلب رأسه الى كتفه فأمر المدير بالكف عن الجلد ولم تعد مس ألن تستطيع الوقوف فاقفلت بجوادها راجعة الى جهة التيمس

وقد نشقوا ناثانيل من المنبهات وعالجوا صدغيه بالخل حتى استفاق فعاد الجلاد الى ضربه فأغمى عليه مرة ثانية فأمر المدير بمواصلة الضرب إذ لم يكن باقياً غير عشر جلدات

فلما جلد آخر جلدة استفاق من أغمائه وحلوا وثاقه فضم قبضتيه وهدد بها الناس كأنهم هم الذين جلدوه فهاج ثائرهم ونقموا عليه لأنه لم يكن من عامة الشعب بل كان معدوداً من الأغنياء

فلما أمره المدير أن يذهب الى منزله ورأى ما كان من هياج الناس خاف منهم اكثر مما خاف من السياط وخشى أن يجهزوا عليه على الطريقة الاميركية فركع امام المدير وقال له

أرجوك أن تأمر بارجاعى الى السجن

قال كلا فان ذلك غير ممكن

وقد تركه الجلاد ونزل عن الدكة وتجمهر الناس حوله كالذئاب ينتظرون الفريسة وعند ذلك سمع صوت يقول افسحوا افسحوا

فصاح ناثانيل صيحة فرح إذ رأى رجال قبيلته اقبلوا لنجدته و بينهم شمشون وجان

فكان جان يحمل فأساً طويلاً فكان يلوح به والناس يبتعدون عنه الى ان حمل شمشون ناثانيل الى مركبة كانت تنتظر فوضعه فيها وصعد اليها مع جان فسارت بهم وقال جان لناثانيل

لا تجزع فسأنتقم لك

وفى ذلك اليوم تنكرت مس ألن بزى صبيان البحارة وذهبت الى فندق القرن الذهبي فجاءت بالهندية فأرشدتها الى منزل جان وقالت لها

هذا هو منزل سارق الكنز وهو قوى شديد فلا تهاجميه مهاجمة فانك لا تقوين عليه بل اكمنى له كى تغتاليه اغتيالاً

قالت ذلك من شأنى وانى لا أرجع عما قيدت به نفسى

فسأكون لك عبدة متى ظفرت بهذا الأثيم

فانصرفت مس ألن وهى واثقة من فوز الهندية فقد علمت أنها مجنونة وان جنونها مقصور على الانتقام من ذلك الذى عبث بقلبها وسرق كنز إلهها

***

كان الانكليز فى ذلك العهد أصحاب السيادة على قسم عظيم من البلاد الأمريكية قبل تحريرها واستقلالها

وكان الأمريكيون قد كثر تمردهم واستفحل أمرهم وثاروا على الانكليز ثورتهم الكبرى فلم يجدوا بداً من ارسال قوة الى تلك البلاد لقمع ثورتهم

وكان الملك قد انتدب المركيز روجر لهذه المهمة فتأهب للرحيل وأعدت الدولة السفن لنقل الجند فسافر المركيز فى طليعة جيش كثيف وصحبه ليونيل أخوه والسير جيمس ابن عمه

وقد علم جان أن السير جيمس لم يتطوع فى فرقة ابن عمه المركيز

إلا على نيــة اغتياله فانه كان قد اعتزل الجندية لجبنه فخاف جان على المركيز خوفًا شديداً وجمع أربعين من رجاله الأشداء وأخبرهم بعزمه على اللحاق بالمركيز الى اميركا فوافقوه على رأيه وأمرهم أن يذهبوا الى باخرة كان قد استأجرها فذهبوا اليها و بقى هو فى المنزل مع شمشون لاعداد بعض المعدات

حتى اذا فرغ من معداته خرج وفى أثره شمشون كي يذهبا الى السفينة ولكنه لم يتجاوز عتبة الباب حتى شعر بطعنة فى بطنه وسمع صوتًا يقول

هذه يد الاله سيوا التى طعنتك أيها الأثيم

وقد سقط جان بين يدى شمشون وهو يقول

انى أخاف أن يكون الجرح قاتلاً فأسرع بى الى السفينة فانى أريد اصدار بعض الأوامر

وكانت التى طعنته هـذه الطعنة الهندية نفسها ولم يتمكن شمشون من ادراكها لانشغاله بجان فحمل سيده الى السفينة واركنت الهندية الى الفرار تصحبها مس ألن وهى متنكرة بشكل غلام بحار

وقد عادت مس ألن وهى تتنهد تنهد الارتياح لوثوقها من موت جان ولكن الخنجر لم يكن مسمومًا كما توهمت وقد عالج جرحه فى السفينة فشفى قبل أن يصل الى امريكا

***

ولا نصف هنا ما كان من تلك الحرب الهائلة التى نشبت بين الانكليز

والاميركان ولكنا نقول على سبيل الايجاز أنهـا دامت ستة أشهر وان السير جيمس كاد لابن عمه المركيز عشر مرات وكان فى كل مرة يتوهم أنه فاز بقصده برد كيده الى نحره فان عين جان لم تكن تغفل عن المركيز الى أن افتضح أمر السير جيمس وعرف المركيز ذلك العدو الذى يكيد له فى الظلام فاكتفى بتحقيره أمام الضباط او بطرده من الجيش و بارسال تقرير ضاف عنه الى الوزارة

غير أن كل ذلك لم يرجع السير جيمس عن قصده الهائل بل زاده حقداً على ابن عمه فانضم الى جيش العدو

وكان يعرف منافذ القلعة التى كان المركيز يحاصر فيها فاتفق مع أحد ضباط العدو على أن يدخلا الى القلعة من ذلك المنفذ السرى لينسفا بابها الأكبر من الداخل

وقد اكتشف جان هذه المكيدة فى آخر لحظة ودخل السير جيمس الى القلعة وكاد يبلغ مراده من نسفها فباغته مع المركيز وهو فى ردهة مشرفة على البحر فألقى بنفسه من فوق تلك الردهة من علو شاهق الى البحر وأطلق الاثنان عليه نارهما فلم يعلما اذا كانا قد أصاباه لشدة الظلام ولكنهما أتيا بمشعل وأطلا من الردهة فرأيا قاربًا يسير مسرعًا الى جهة الأعداء فلم يتبينا من فيه فنزلا الى البحر وبحثا فلم يجدا أثر الجثة

وقد انقضت هـذه الحرب بانتصار الانكليز وعاد المركيز بجيشه الى لندرا فجرى له استقبال حافل وازدحم الناس يوم الاحتفال وكان بين

الجموع مركبة فيها سيدتان وهما اللادى سيسل امرأة اللورد اسبرتهون وأم ليونيل وهى تعتقد أيضاً أنها أم المركيز والثانية مس ألن

وكانت اللادى قد أتت لترى ولديها غير أن الزحام كان شديداً بحيث لم تستطع المركبة أن تتقدم فقالت اللادى لمس ألن

أرى أنه خير لنا أن نسير ماشيتين

قالت كلا يا سيدتى فانى أخاف عليك من الزحام وفوق ذلك فان الموكب سيمر من هنا فاذا وقفنا فى المركبة رأينا من نريد أن نراهم

وعند ذلك سمع صوت قرع الطبول مؤذنة بوصول الموكب ودنت امرأة من المركبة فقالت للادى

أنك اذا كنت أمًا يا سيدتى فاشفقى علىَّ فانى أم واسمحى لى أن أصعد الى مركبتك عساى أن أرى ولدى بين القادمين

فمدت اللادى يدها اليها فاعانتها على الصعود وقالت لها

أنك لا بد أن تكونى بكيت كثيراً ولكنك سترين ولدك فانه سيعود أليس كذلك

فارتعدت المرأة وقالت نعم أيتها اللادى

فهمست اللادى فى أذن مس ألن قائلة أنها لا شك أم جندى بسيط ولكن مس ألن لم تجبها بل جعلت تنظر الى تلك المرأة محدقة ثم تاهت فى مهامه التفكير كأنها تريد إزالة النقاب عن تذكار بعيد

وعادت اللادى فقالت للمرأة أنك ستجدين من الهناء حين تضمينه

الى صدرك ما ينسيك ما لقيته من الشقاء أيام فراقه

فلم تجبها المرأة بل سالت دموعها ثم جعلت تشهق بالبكاء

وعند ذلك ضج الناس وعلت أصواتهم قائلين هوذا الموكب

فوقف النسوة الثلاث فى المركبة ومر بهن الموكب فمر فى طليعته على قيد عشرين خطوة منه فارس يحمل راية جعلها الرصاص شبه منخل واسودت من الدخان

ثم ظهر الكولونيل روجر فسار أمام الجيش وهو يبتسم وقد جرد حسامه وجعل يحيي الناس فيهتفون له هتاف يخرج من أفواههم كهزيم الرعود فان هذا القائد الجميل الذى قاد جيشاً برمته لم يتجاوز عشرين عاماً

فلما رأته تلك المرأة المجهولة صاحت قائلة

يالله ما أجملك

ثم سقطت مغمياً عليها فى المركبة

وعند ذلك أسرع رجل فاختطف المرأة من المركبة وسار بها وهو يقول

لقد فضحت أمرك فما هذا الذى فعلته

أما مس ألن فانها رأت ذلك الرجل فاتسعت حدقتاها من الانذهال وقالت :

انه هو بعينه وكنت أحسبه من الاموات

ثم أمسكت بذراع اللادى وقالت لها أتعلمين من هى هذه المرأة

قالت كلا

قالت انها أم المركيز روجر دى اسبرتهون فقد وثقت الآن أتم الوثوق

أما المركيز فقد كان يسير والى جانبه ليونيل فلما وصلا الى المركبة صاح ليونيل قائلا . انهما

فقال المركيز من هما

وقد التفت فرأى مس ألن فقال له ليونيل انها أمى وخطيبتى

فاضطرب المركيز اضطرابًا عنيفًا وقال

ماذا تقول ان الفتاة التى تحبها هى . .

قال هى مس ألن

فتوهجت عينا المركيز وغلى الدم النورى فى عروقه ونسى انه كان يحب ليونيل شبه أخيه فقال له بلهجة ملؤها الحقد

أأنت تحب مس ألن . . حسنًا وأنا أحبها أيضًا

***

ولنعد الآن الى جان فانه اختطف أخته سينيتيا وسار مسرعًا فى مركبته الى منزله

وهناك عالجها حتى استفاقت فقال لها بصوت يتهدج من الحنو

ما هذا الذى فعلته يا أختى أتريدين اهلاك ولدك ونحن قد سفكنا دمنا فى سبيله . اننا ذهبنا أربعين رجلا فى خدمته فعدنا ونحن لا نتجاوز أربعة عشر

قالت أواه يا أخي أن عذابي شديد لا يدركه غير الأمهات فاني ألقى أشد العذاب منذ ثمانية عشر عاماً . ايكون لى ولد ولا يحق لى أن أراه وأقبله واياه بل لا يحق لى أن أقول له انك ولدى . انك لو أصبت بمثل نكبتي لأشفقت عليّ

— ولكن تمعنى يا أختى فماذا كان مصير ولدك لو بقى بجانبك أما كان نوريا فقيراً معدماً مثلما فانى لولا طمعى بورقاته لما تجاسرت على سرقة الكنز وهو بدلا من أن يكون شقيًا شريداً أصبح غنيًا شريفًا وقائداً كبيراً ولورداً فى مجلس الأعيان وهو سيتزوج أشرف فتاة من الانكايز ويوقع الملك بخط يده على صك زواجه وفى هذا المساء سيدعوه الملك الى تقبيل يده ويتمشى واياه على مائدة واحدة فالى أى مكان تريدين أن يرتقى بعد هذا الارتقاء

فلم تجبه واستمرت فى بكائها فقال لها

أتريدين الآن أن يقذفوا به من قمة المجد التى رفعناه اليها فيسقط الى حضيض الذل والهوان ويطردونه كما يطردون الخدم فيقولون له انك لست المركيز روجر دى اسبرتهون ولست ابن حاكم الهند الشرعى بل أنت أميرى النورى اللقيط الذى قضى على أهله أن يضربوا فى الأرض اذلاء متشردين ألا تعلمين أيتها المنكودة من هى هذه الفتاة التى كنت واياها فى المركبة

قالت كلا

قال انها ألد أعدائنا فهي مس ألن ربيبة السير روبرت أى تو بسى ابنة ناثانيل أفهمت الآن

فاطرقت برأسها ولم تجب فقال لها

لا أنكر انك تتألمين لفراق ولدك لكنك تتنعمين نفوذه الباهر واسمه التشريف وانى أريد أن أريد نعيمه فازوجه بأشرف فتيات المملكة ويكون له من السعادة ما لا ينال بالأماني والأحلام

قالت انى سأفعل كل ما تريده يا أخي أتريد أن أبرح انكلترا وأنفى نفسي فى سبيل مجد ولدى

قال كلا انى لا أسألك هذه التضحية وكل ما أريده منك هو أن لا تعرضى نفسك للافتضاح كما فعلت اليوم

قالت سيكون ما تريد

قال وانى أريد أيضاً أن تقسمي لى انهم اذا اكرهوك على الاعتراف بأن روجر دى اسبرتهون هو ولدك أن تتشجعي وتقولي كلا

قالت سأنكره اذا سألوني

قال انى أشعر بقلبي كأنه يكاد ان يخرج من صدرى لسروره حين افتكر بأن طائفتنا التى يحتقرها اولئك المتحرفون منذ ستمائة عام أصبح لنا واحد منها يجالس فى مجالسهم ويشاركهم فى أحكامهم ويأتى بأعقاب يفعلون فعله من بعده وان كل هذا من صنعى

وفيما هو يقول هذا القول خطرت له مس ألن فبرقت عيناه بشعاع من الحقد وقال

انى سأسحق هذه الفتاة كما يسحقوق اناء الزجاج

ثم التفت الى شمشون وقال له

هل وجدت الطبيب بلتون

قال نعم يا سيدى ولكن بعد العناء الشديد وسيزورك عند الظهر

– هل عرفك

– كلا

– هل عرف انى متنكر باسم النابابب عثمان

– كلا ولكنه ذكر انه رآك مرة خارجاً من قصر المركيز روحر

– إذن فهو لا يعرف لماذا دعوته اليّ

– انه يتوهم بانك مريض

وعند ذلك سمع قرع الباب الخارجي فقال لأخته

أن الطارق هو الطبيب لا محالة فدعيني أخلو به لأنى أريد محادثته

فى شؤون خطيرة

فخرجت و بعد هنيهة دخل الطبيب بلتون فقال له أنك دعوتنى اليك

يا سيدى فما تشكو

قال لا أشكو شيئًا ولكن أريد محادثتك فانك أقمت مدة طويلة

فى الهند

– اثنى عشر عامًا

– وكنت فيها طبيب اللورد اسبرتهون الخاص وقد اتفق فى ليلة

أنك ذهبت الى مضارب النوَر وأخذت منهم غلاماً

– كلا أن ذلك لم يكن وأى شأن لى بالغلمان

فابتسم جان وقال يسرنى أن تكون كتوماً ولكنك لا تستطيع كتمان هذا السر عنى فانظر الىّ ألم تعرفنى فنظر اليه محدقاً وقال كلا

قال اذا كنت لا تذكر أنك أخذت ذلك الغلام فانك تذكر دون شك فتى جرحه أحد النوَر فى كتفه وعالجته

وكان الطبيب لا يزال شاخصاً الى جان فلما سمع هذا القول الأخير قال له ألعلك جان دى فرانس

قال نعم أنا هو

قال أنت . . . أنت

فخلع جان ملابسه العليا وكشف عن كتفه فان أثر الجرح كان لا يزال باقياً

فقال الطبيب كفى كفى فقد عرفتك حق العرفان

قال انى سأقص عليك فى غير هـذا المقام قصتى التى تشبه القصص الخرافية لغرابتها وأما الآن فانى أريد أن أحدثك بشأنه

– ألا تعلم أنه عاد الى لندرا

– كيف لا أعلم وأنا لم أفارقه لحظة فأنا الذى أنقذته من الدب وأنا الذى أنقذته عشر مرات من كيد ابن عمه هنا وفى أميركا

– إذن فهو عارف بكل شيء

— بل أنه لا يعرف شيئًا وهو يعتقد أنه ابن اللورد اسبرتهون الشرعي ولكن أعداءنا لم يموتوا كلهم ولا يزال يوجد أثر هائل يفضح سرنا وهو أن روجر موشوم بكتفه كسائر أبناء طائفتنا

— ولكن هذا الوشم لا يزول

— بل أنه يزول بدليل أن مس ألن قد ازالته فأعلم أنه يوجد عندى سائل يعالجون به أثر الوشم أسبوعًا فيزول وهو عنـدى من عهد قديم فأخاف أن يكون قد فسد

— انى أمتحنه عندى فاعلم فساده من صلاحه بقى أن نجد طريقة لمعالجة المركيز به وكيف نعلل له وجود هذا الوشم على كتفه

— انى سأقص عليك حكاية ترويها له والآن فخذ هذا السائل والفحصه فمتى تبين لك أمره عد الىَّ أخبرك بما يجب أن تفعل

فأخذ الطبيب الزجاجة وانصرف ونادى جان شمشون فقال له هل استأجرت المنزل الذى كنت أوصيتك أن تستأجره لأختى

قال نعم

فدخل جان الى أخته وقال لها لا يجب أن تقيمى الآن هنا فانى أخشى أن يكونوا عرفوك فيتخذونك سلاحًا ضد ولدك وقد استأجرت لك منزلاً تقيمين فيه مع ابنة عمى البيسى فأزورك كل يوم متنكراً ولا يعلم أحد أين تقيمين

ثم نادى شمشون فأمره أن يذهب بأخته الى ذلك المنزل وبعد ساعة لبس خير ما عنده من الملابس وذهب الى نادى الحسان

## القسم الخامس
# دهاء النورية

كان من نظام نادى الحسان الذى ذهب اليه جان أن لا يكون أعضاؤه إلا من صباح الوجوه ومن اشراف الفتيان

وكان المركيز روجر من أعضائه فأعد له أعضاء النادى حفلة تكريم بمناسبة عودته وانتصاره

غير أن المركيز كان منقبض الصدر لما علمه من مزاحمة ليونيل له فى حبه فذهب الى النادى وبعد انقضاء الحفلة قاموا الى موائد اللعب وعرض أحد أعضاء النادى على المركيز أن يلاعبه فرضى بشرط أن يلعبا على مقادير كثيرة فانه أراد أن يشغل نفسه بالمقامرة عما هو فيه

ولم يكن لديه فى محفظته غير ألف جنيه أوراقاً مالية فخسرها بمدة وجيزة ثم لاعبه مالدن فخسر كل ثروته ثم لاعبه على قصر من قصوره فخسره أيضاً

وهنا امتنعا عن اللعب وقد اسودت الدنيا فى عينى المركيز اذ خسر كل ثروته وحاول أن يخرج من النادى ولكن عثمان تصدى له فأدخله الى قاعة معتزلة وقال له انتظرنى هنا الى أن أعود اليك

ثم ذهب الى خصمه فى المقامرة وقال له ان المركيز يريد أن يتنازل لك عن القصر الذى كسبته منه فتعال معى كى نكتب لك صك التنازل

فدخل الرجل وهو لا يعلم ما يضمر له جان فأقفل جان الباب من الداخل وأشار الى الرجل أن يجلس أمامه ثم أخذ من جيبه دفتر حوالات فكتب حوالة بخمسين ألف جنيه على أحد المصارف الكبرى وقال له انى أريد أن آخذ بثأر صديق المركيز فهل لك أن تلاعبنى على المبلغ الذى كسبته منه

قال حبا وكرامة

ثم أخرج من جيبه علبة سعوط وأخذ منها شيئًا ووضعها أمامه فمد جان يده فأخذها وأراها للمركيز فقال انظر الى هذه العلبة الجميلة فان فيها سرًّا دقيقًا لا يعرفها الا أنا وخصمك وهو انه كان يضعها بين يديه حين يعطيك الورق ويضغط على هـذه اللؤلؤة الكائنة فى وسط العلبة فتمثل محلها مرآة مسطحة ينظر اليها وهو يعطيك الورق فيرى ورقك اذ ينطبع رسمه عليها

فاصفر وجه الرجل وقال انى لا أستخدمها ولا هى تستخدم لمثـل هذا الغرض

قال ربما كنت مخطئًا فهلم نلعب

وقد أخذ جان الورق فخلطه ثم أعطاه ورقًا وأخذ لنفسه والعلبة بين يديه فربح كل ما خسره المركيز

وهنا غضب الرجل وقال انك تسرقنى

قال نعم انى سرقتك كما انت سرقت المركيز وكما كنت تسرق الناس منذ ثلاثة أعوام بهذه الحيلة الشائنة

والآن فانى آمرك بالخروج من النادى وأن لا تعود اليه الا اذا كنت تؤثر أن تبيت فى السجن

وقد أحذ من أمامه الأوراق الماليه التى كسبها من المركيز فاصفر وجه الرحل حتى صار كالأموات وقال له ولكن رد لى علبتى على الاقل

قال كلا بل أبقيها عنـــدى تذكاراً منك وحذ هذا الخاتم بدلاً منها فهو يسوى ضعف ثمنها

فأخذه الرحل وانصرف مسرعًا خوف الفضيحة

وكان جان ينظر اليهما وهو نسبه المأخوذ فلما انصرف الرجل قال لجان من أنت فبل أرسلك الله الىَّ لتقينى مما يحدق بى من الأخطار

قال انى أصدق الناس فى حدمتك

— بل انك مثال الصداقة وآية الاخلاص

قال له بصوت يتهدج هل تحبنى

فعانقه عناقًا طويلاً وقال له انى أحبك كما يحب الأخ أخاه أما وقد وثقت الآن من حبى فقل لى من أنت

قال لا تسألنى كشف سر لا أريد الاباحة به فثق بى واعلم أنى ساهر عليك

⁂

في ذلك اليوم كان السير روبرت فالدن في منزله مع ربيبته مس ألن واللادي سيسل والدة ليونيل فقد كانوا ينتظرونه

وكان السير روبرت مطرقاً يفكر ثم وقف فقال في نفسه لا بد من النهاية وقال لربيبته تعالى معي يا ابنتي الى غرفتي فانى أريد مباحثتك في بعض الشؤون

وقد تبعته فاقفل باب الغرفه وبدأ معها الحديث فقال

انك بلغت الحادية والعشرين من عمرك يا ابنتي وشهد الله أنى أحببتك ولا أزال أحبك كأنك ابنتي ولذلك لا أجد الآن بدأ من أن أطلعك على أسرار لا يجمل اخفاءها عنك بعد أن بلغت سن الرشاد

قالت ثق انى سأحتفظ بهذه الأسرار

قال انه منـذ سبعة عشر عاماً جاءت المركيزة دى اسبرتهون أى اللادى سيسل تسألنى أن أسديها نصيحة فانها افترقت عن زوجها وهى في عنفوان شبابها فتعين زوجها حاكما للهند وذهبت هى الى ايكوسيا فاختبأت فيها هرباً من غيرة زوجها وعنفه

وكان لها ولدان بقى الكبير عند أبيه والثانى عندها فأوهمت زوجها وهى بعيدة عنه ان هذا الولد قد مات اذ كانت تخشى أن يأخذه منها يوماً على سبيل الانتقام لأنه مات منذ ثلاثة أعوام وهو يعتقد أن ذلك الولد لم يكن من دمه والله يشهد أن امرأته كانت من أعف النساء وأشرف الزوجات

فتكلفت مس ألن الدهشة وقالت كيف ذلك ألمركيز روجر أخ

ـ نعم يا ابنتي

ـ وهو يجهل ذلك

ـ نعم

ـ أين هذا الاخ ومن هو

ـ هو الذي سيزورنا بعد ساعة فان اللادي سيسل كتمت نسبه حتى عنه

ـ رباه ماذا أسمع أهو لبونيل

ـ نعم أن ليونيل هو أخو المركيز روجر

ـ ولكن اللورد اسبرتهون مات منذ ثلاثة أعوام ولم تعد اللادي سيسل تخاف عنفه فلماذا لم تظهر أمرها ولماذا لم تذهب الى ولدها البكر

ـ أنا الذي أخبرتها بموت روجها وكنت أعتقد ساعتئذٍ أنها ستذهب من فورها الى قصر اسبرتهون ولكني كنت واهماً فانها قالت لى

أن شرائع أشراف الانكليز سديدة العنف فهي تمنح كل أموال العائلة وامتيازاتها للابن البكر وتحرم سائر اخوته من كل حق وهذا هو السبب من تمكن الحقد من أبناء الأسرات الشريفة ألا تذكر ما كان بين السير جاك و بين أخيه روجي

أما ولدي ليونيل فهو يعتقد أنه ابن ضابط لا ثروة له ومع ذلك فهو سعيد أتحسب أنه يكون سعيداً حين يعلم حقيقة نسبه و يرى نفسه محروماً من كل حق

فقلت لها وابنك البكر الذى لم يعرف أمه

قالت يكفينى أنه سعيد وانى لا أضيف شيئاً الى هنائه اذا عرفته بنفسى وبأخيه وفوق ذلك فلا شك أن أباه علمه أن يحتقرنى

وقد رأيت أنها مصيبة فيما ارتأته فانها قد تبذر بذور العداء بين الأخوين وهما سعيدان فوافقتها على رأيها

وتوالت الأعوام الى أن نبت وشب ليونيل فرعبت يوماً اذ رأيت أنه يحبك

ورجائى يا ابنتى أن لا تؤاخذينى لقول ينكره قلبى وتنقضى بقوله واجباتى وهو أن الاشراف عندنا متضامنون متساوون لا فرق بين الشفاليه والدوق فى هذا التضامن وانى قد وهبتك قلبى وثروتى ودعوتك ابنة أخى ولكن ضميرى كان يؤنبنى ويقول

أيمكن أن تأذن لتوبسى النورية بالزواج من نبيل وأنت من النبلاء دون أن تكون من المذنبين

ولذلك ذهبت الى اللادى سيسل فاعترفت لها بالحقيقة فابتسمت الىَّ وقالت

أنك قد تكون مصيباً لو كان ليونيل سيعرف يوماً أنه ابن اللورد اسبرتهون ولكنه سيجهل سر مولده مدى حياته ويعتقد أنه ابن ضابط فقير فاذا كان ذلك فلماذا نحول دون سعادته وهو يحبها

فأقنعتنى حجتها وبدأت أعود نفسى على أن أراك يوماً زوجة ليونيل

الى ان جاء يوم خيل لى فيه انى اكتشفت سر قلبك وعلمت أنك لا تحبين ليونيل بل المركيز روجر

فتنهدت مس ألن تنهداً طويلاً وأخذ يدها برفق فقال لها

اصغى الىّ يا ابنتى فانك ما زلت لا تحبين ليونيل فان التضحية التى سألتك إياها ليست عظيمة وهى أنه يجب عليك أن تبعدى عنك ليونيل وتعينيه على شقائه

قالت ولكنك دعوتنى الى أن أفتكر بأنى سأكون امرأته

ـ هو ذاك يا ابنتى عىر أن ذلك حدث حين كنت أتوهم أن ليونيل سيجهل سر مولده مدى حياته

ـ ألعله علمه

فأجابها بلهجة تدل على أنه يكتم سراً فقال

أنه قد يعلمه وقد يجىء يوم يرد فيه المركيز ثروته وأتعابه الى ليونيل وذلك يسهل عقد زواجك بروجر الذى تحبينه

قالت اذا كان ذلك فثق أنه لا يمضى شهر حتى يصبح ليونيل لا يفتكر بى

وبعد هنيهة خلت مس ألن فى غرفتها وكتبت الى ليونيل ما يأتى

« أنك اذا كنت تحبنى حقيقة أيها الحبيب وكان هذا الفراق لم ينسك من تحب فافعل ما أطلبه اليك

أننا سنجتمع بحضور أمك وعمى وستجد منى فتوراً فى مقابلتك لم تتعوده

فلا تحزن فانى أحبك ولكن هناك أسباباً تقضى علىّ أن أتكلف هذا الفتور حرصاً على هنائنا

ورجائى أن تكون هذه الكلمة كافية لاطمئنانك فانى أحبك بملء جوارحى وستقف قريباً على الحقيقة ألن ٢ م

وقد أرسلت هذه الرسالة مع خادم الى التكنة التى يقيم فيها ليونيل وعادت الى غرفتها وهى تقول :

لا بد لواحد منهما أن يكون زوجي ولكنى لا أتزوج إلاّ من كان منهما مركيزاً . مسكين عمى فقد توهم انى أحب

ثم وضعت رأسها بين يديها وخاضت فى عباب التأملات كأنها قائد يضع خطة معركة

***

بينما كانت هذه الحوادث تجرى كان الملك قد فرغ من استعراض فرقة المركيز فدنا ليونيل من المركيز وقال له أتأذن لى أيها الكولونيل أن أذهب الآن فأرى أمى

فارتعش ونظر اليــه نظرة منكرة فان الغيرة كانت قد عضت قلبه ومحت بلحظة كل آثار الصداقة حتى أنه ندم وحاول أن يمد يده اليه ليصافحه ويعتذر ولكن مثال ألن مرّ بخاطره فى تلك اللحظة فشعر أن قلبه قد التهب وأدار وجهه كى يخفى غضبه وأجابه قائلاً اذهب

فحياه ليونيل التحية العسكرية وانصرف ولكنه لم يسر خطوتين حتى رجع فنظر اليه المركيز نظرة استكبار وقال له ماذا تريد

قال ألتمس أن تأذن لى بمقابلة وجيزة

قال لا فائدة من ذلك

ثم أعرض عنه و بقى ليونيل وحده وهو يحدث نفسه فيقول ترى هل أسأت الى المركيز وأنا لا أعلم

وعند ذلك دنا منه أحد الجنود وقال له لقد وردتك هذه الرسالة يا سيدى حين كنت مستغلاً بالاستعراض

فأخذ الرسالة وتلاها فزادت هواجسه وقال رباه ماذا حدث ان المركيز يكرهنى الآن بقدر ما كان يحبنى وقال لى اليوم انه يحب الن فلو تخير عمها بينى و بين المركيز لما فضلنى عليه لا محالة

وقد ذهب واليأس مالىء قلبه الى منزل السير روبرت حيث لنى أمه والن فاستقبلته الن استقبالاً فاتراً كاد يذهب بعقله لو لم تنظر اليه نظرة مفادها تذكر ما كتبته لك فاطمأن

وقد قام بينهم الى الساعة العاشرة فقام يريد العودة الى الثكنة وأوصلته الى الباب فوضعت فى جيبه مفتاحًا وقالت له عد حالاً من باب الحديقة فلى ما أقوله لك

فذهب وقلبه موعب بالفرح والرجاء

وبعد انصرافه قال السير روبرت لربيبته لقد أحسنت يا ابنتى وانى راض عنك

قالت مسكين ليونيل انه يتعذب كثيراً

فتنهد وقال

هو ذاك ولكنه سيتعزى يوماً حين يغدو فى مصاف اللوردية

وكانت اللادى قد دخلت الى مخدعها وخلا المكان لروبرت وربيبته فقالت له

أتأذن لى يا عماه ان أسألك سؤالاً

ـ سلى

ـ كيف تفترض ان المركيز روجر يتنازل بالرضى أم يكون ذلك بالاغتصاب

ـ بل بارجاع الشىء لصاحبه

فتكلفت البساطة كانها غير عالمة بشىء وقالت

انى لا أرى سبباً يحمل ابن اللورد اسبرتهون البكر على ارجاع أمواله لأخيه الاصغر

ـ سأوضح لك هذا الابهام بعد ثلاثة أيام

ثم قبل جبينها ودخل الى مخدعه بعد أن أوصاها أن تدخل الى مخدعها فأوهمته انها امتثلت فدخلت الى غرفتها وخرجت من باب آخر الى الحديقة فوجدت ليونيل ينتظرها هناك

وقد ركع حين رآها فأنهضته بيدها وقالت له تعال نجلس تحت هذه الخيمة

قال يا لله كم أنت مضطربة أيتها الحبيبة

ولكن اضطرابه كان أشد حتى انها كانت تسمع خفوق قلبه فأجلسته بجانبها وأخذت يده بين يديها فقالت أيها الحبيب يجب أن تثق بي

قال ماذا تعنين

ـ أريد قبل كل شيء ان تقسم لي يمينًا

ـ على ماذا

ـ على ان تكتم ما سأقوله لك عن أمك

ـ انى أعاهدك على الكتمان وأقسم لك

ـ اذن فاعلم ان عمى يريد تزويجى

ـ رباه ماذا أسمع

ـ اطمئن يا ليونيل فانه طامع أن يزوجنى رجلاً من كبار النبلاء ولا بد لى اتقاء لغضبه ان أتظاهر بالموافقة على مشروعه

ـ واذا وافقت الى النهاية فما يكون مصيرى

ـ أيها الناكر الجميل ألم أقل لك انى أحبك . انى أقسم لك بأن لا أتزوج سواك

فصاح صيحة فزع فقالت له

اسكت فان عمى لم ينم بعد فاذا انتبه لنـــا قضى على آمالنا وذهبت أدراج الرياح

ـ ولكن ما هو هذا الخطر الذى يتهددنا

ـ لا أستطيع أن أقول لك شيئًا الآن

ـ وأنا أعرف ان هذا الرجل الذى يريدون ان يزوجوك به هو المركيز روحر اليس كذلك

ـ نعم هذا هو ولكن كيف عرفت ذلك

فحكى لها ما كان بينه و بين المركيز فابتسمت ابتسام واثقة من فورها القريب وقالت

اصغ الىَّ فانى اقسم لك انى سأكون امرأتك قبـــل ثلاثة اشهر ولكن بشرط

ـ ما هو هذا الشرط

ـ أن تطيعنى

ـ مرى أطع

ـ ان أمك قد استأجرت منزلاً بجوار منزلنـــا فستقيم واياها فيه ولا تزورنا إلا فى النادر وابق هذا المفتاح عندك فتعال كل يوم عند انتصاف الليل فنجتمع فى هذه الحديقة واحذر أن تخاصم المركيز

ـ وا أسفاه انى كنت أحبه كاخي

وقد أقاما نحو ساعتين يجددان العهود ثم افترقا بعد أن تواعدا على اللقاء فى الغد

وعادت الى غرفتها وهى تقول فى نفسها

ان السير روبرت عمى العزيز سيكون له منى خير مساعد على كشف سر المركيز ولكنه يريد أن يستقل بالعمل

وعند ذلك خطر لها الناباب عثمان فاضطربت وقالت ان هذا الرجل وحده يستطيع احباط آمالى فلا أخشى السير روبرت ولا المركيز روجر لأكون يومًا مركيزة ولكنى أخاف جان دى فراس

* * *

وفى اليوم التالى كان المركيز روجر جالسًا فى غرفتـه وهو فى أشد حالات الاضطراب فقد كان مفتونًا بحب ألن مع انه لم يبح لها بغرامه الى الآن

وكانت تتمثل له فى كل سبيل حتى انه كان يذكرها وهو يقاتل الأعداء. فلما علم انها خطيبة ليونيل شعر ان قلبه قد انسحق فكان يجول فى غرفته كما يجول الأسد السجين فى قفصه

وكان يهيج فى عروقه الدم النورى حتى يتغلب أحيانًا على تربيته الانكليزية فيتهم نفسه بالجبن لأنه لم يخاصم ليونيل فيبارزه ويقتله

ثم يعود اليه هداه وتهيج فى صدره عوامل الكرم التى فطر عليها فيفتكر ان ليونيل كان صديقه وانه كان يحبه كأخ فيلعن ذلك الحب

الذى ابتلى به و يعاهد نفسه على اخماد لهيبـــه بالصبر وتضحية هنائه فى سبيل صديقه

ثم يعود الى الهياج فينسى كل هذه العواطف الكريمة و يعجب كيف أن ليونيل لم يأت اليه و يسأله الايضاح عن مقابلته الجافية وأين له أن يعلم أن ألن منعته عن مخاصمته

وما زال يتغلب على هذا العذاب الى أن خطر له أن يزور السير رو برت فكتب اليه ما يأتى :

« أن المركيز دى اسبرتهون يتشرف بأن يطلب الى السير رو برت فالدن مقابلته و يرجوه أن ينوب عنه بتقديم احترامه لابنة أخيه »

وقد أرسل هذه الرسالة مع رسول فعاد اليه برسالة من السير رو برت تتضمن ما يأتى :

« أن السير رو برت فالدن يقدم للورد اسبرتهون تحياته واحترامه و يأسف أنه لا يستطيع استقباله لاعتلال طرأ على صحته »

فمزق المركيز الرسالة وهو يتميز من الغيظ وأطلق سراح الخادم

وعند ذلك سمع صوت مطرقة على الباب الخارجي فأطل من النافذة كى يرى الطارق وهو يرجو أن يكون السير رو برت أرسل اليه رسالة أخرى

ولكنه رأى امرأة مقنعة دخلت من الباب الى الردهة و بعد هنيهة دخل اليه خادمه برقعة زيارة هذه المرأة التى لم يكن مكتوبا عليها غير الحرف الأول من اسمها وهو ا

فأمر بادخال الزائرة اليهِ وكان قناعها كثيفًا فلم يتبين وجهها ولكنه علم من خفوق قلبه انها مس ألن

وقد أصاب حديث قلبه فقد أيقن انها هى نفسها حين سألته بصوتها الرخيم قائلة

أتأذن لى ياسيدى المركيز بمقابلة وجيزة

فأخذ بيدها وهو يرتجف من الفرح وأجلسها على كرسى بجانب المستوقد فكشفت القناع عن وجهها وقال لها كانه كان خائفًا أن يكون حالمًا

أهذا أنت

وكان وجهها مصفراً وأثر الدموع لا يزال ظاهراً فى عينيها فأجابته قائلة

نعم أنا هى فقد أتيت دون أن يرانى أحد لالجأ اليك

– أأنتِ تلجأين الىَّ

ـ لا تتسرع يا سيدى المركيز قبل أن تسمع حديثى بالحكم على

ـ أأنا أحكم عليك . . . . انك شديدة القسوة يا مس ألن

فاطرقت برأسها ووضعت يدها على عينيها وقالت بصوت ضعيف كانها تصلى

انى أتيت اليك يا سيدى المركيز متوسلة فعاملنى بالرحمة واشفق على أتعس امرأة فى الوجود

ـ أأنت تاعسة . . . أأنت تتوسلين . انى أخاف أن يكون الحزن دخل صوابى فلا أفهم ما تقولين

فنظرت اليه بعينين تبرقان كالماس الأسود وقالت له بصوت يتهدج أن السير روبرت يريد تزويجى

ـ بليونيل

ـ نعم وقد وعده عمى بالزواج فجاء أمس يطالبه بتحقيق الوعد

ـ أواه لقد علمت الآن السبب بقدومك الىَّ فانك أتيت تتوسلين أن لا أبارزه وأنت خائفة على حياة من تحبين

فرفعت عينيها الى السماء وقالت حياة من أحبه ؟

ـ نعم حياة الذى سيكون زوجك

ـ ولكن ان هذا الزواج لا يطول فان الله سيشفق على و يدعونى اليه

ـ رباه ماذا اسمع ألا تحبين ليونيل

ـ انى احبه حب أخ وهذا كل حى

فركع المركيز أمامها وقد شعر أن السماء فتحت له أبواب النعيم وقال لها

اقسمى لى انك لا تحاولين خديعتى

ـ اقسم

ـ اذن أنت لا تحبين ليونيل

ـ اكنت هنا لو كنت أحبه

ـ اذن لقد أتيت تسألينى أن أسعى لنقض هذا الزواج اليس كذلك

ـ لا فائدة من مسعاك فقل لي أتثق بى

ـ كما أثق بأمى لو كان لى أم

ـ اذا كان ذلك فانى أسألك أن تقسم لى يمينًا كما سألتنى

ـ ماذا تريدين أن أقسم

ـ اقسم لى أن تثق باخلاصى ثقـة لا حد لها وانك تفعل كل ما أطلبه اليك

ـ ان قلبى لك

فمدت له يدها وابتسمت ابتسامة فتنت عقله ثم قالت أما وقد وثقت الآن انك تحبنى فسأعرف كيف ادافع عن هنائنا ومستقبلنا

وقد نهضت تحاول الانصراف فسمعت من خارج الغرفة صوتًا يقول لا حاجة الى الاستئذان فانى أدخل دونه

فاسرع المركيز فاقفل الباب من الداخل وهو يقول هو ذا الطبيب بولتون

فذعرت الن وقالت

بولتون ...... انه سيفضح أمرى اذا وجدنى هنا فازاح المركيز ستارة عن باب آخر فى الغرفة وقال لها

ان هذا الباب يؤدى الى الحديقة فاذهبى أيتها الحبيبة فقد رددت الحياة اليَّ

وكان الطبيب لا يزال يناضل الخدم عند الباب ففتح المركيز الباب ودخل الطبيب وهو يقول

لقد كنت أحسب انى احاصر حصناً فقد أصبحت غرفتك شبه قلعة

ففال له المركيز انى كنت نائمًا على الكرسى فلم أسمع صوتك فاعذرنى أيها الصديق

ثم مد له يده وصافحه فجلس الطبيب بجانبه وجعل يتفرس بوجهه باعجاب ويقول

لفد صدق من قال ان الاسفار تحيي نضارة الشباب فانى أرى آله الجمال ممتلاً فى المركيز روحر

قال ولكنى عاتب عليك فقد كنت أرجو أن أراك ساعة عودتى

قال لم يشغلنى عن زيارتك شاغل ولكنى صبرت الى أن تنتهى الحفلات الرسمية

وقد طالما خطر لى أن اتبعك الى اميركا ولكن الشياطين ملأت كل جيوبى فلم تتسع لسواها

اذا كان قد أعوزك المال فلماذا لم تطلبه من وكيلى فحك اذنه وقال وهو يبتسم

لقد فعلت فأعطانى ولكن النقود التى أعطانى اياها كانت أسرع منى فى السير فلما جاء موعد السفر وجدت أنها سبقتنى

ـ الى أين

ـ الى الخمارة

فضحك المركيز وقال أنكم معشر الأطباء تنهون عن الخمر وتشربونها

قال أن الطبيب يصف الدواء ولكنه لا يشربه

ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فوضعها على المستوقد وقال لنبدأ بالترتيب

قال ما هذا

ـ دواء عجيب

ـ لا أظن انه لى فانى فى أتم عافية

ـ هو ذاك فانك فى عافية أتمنى لك دوامها ومع ذلك فانى احضرت هذا العلاج خصيصاً لك

ـ كيف ذلك

فتكلف الطبيب هيأة الجد وقال له

انى أتيت اليك أيها المركيز لمباحثتك فى شؤون خطيرة فابتسم المركيز وقال له ممازحاً

انه اذا كانت حكاياتك خفية كدوائك فانى سأرتعد من الرعب

ـ ان الحكاية تبدأ منذ سبعة عشر عاماً

ـ اذن انها من حكايات العهد القديم

ـ كلا أيها المركيز فانك أخص رجال حوادثها

ـ اذن قصها عليَّ فقد بدأت اهتم لها

ـ ان حوادثها جرت فى كلكوتا عاصمة الهند فى عهد اللورد ابيك فقد دخل رجلان فى ليلة حالكة الاديم الى سراى أبيك وسرقا منها غلاماً

ـ من هما

ـ من طائفة النوَر

ـ من كان الغلام

ـ أنت

ـ يظهر انهما لم ينححا فانى أمامك

ـ بل انهما نجحا فانه حين أشرقت الشمس كنت فى مضارب النوَر على قيد ست مراحل من قصر أبيك

ـ انها حكاية غريبة

ـ ولكنها اكيدة

ـ غير انه لم يذكرها لى أحد قبلك

ـ لأنه لم يكن يعرف هذا السر غير ثلاثه وهم العبد الذى كان ساهراً عليك حين رقادك وأبوك وأنا وقد مات أبوك والعبد فلم يبق غير أنا من الواقفين على هذا السر

ـ لكن أى غرض للنوَر من اختطافى

ـ انهم كانوا يريدون ابقاءك عندهم رهينة كى يساوموا بك على افتدائك بمبلغ عظيم

ـ افعلوه لمجرد الكسب

ـ بل للانتقام أيضاً فان أباك كان قد طردهم من كلكوتا وفى الليلة التالية دخل الثانى الى الخيمة التى كنت مسجوناً فيها وهما مسلحان

فتمكنا من انقاذك وكان هذان الرجلان أباك وأنا ولكن النوَر كانوا قد وشموا كتفك الأيسر بعلامة طائفتهم

ـ أهى هذه العلامة الزرقاء التى أراها على كتفى ولا أعلم كيف أتت

ـ نعم هى هذه العلامة التى طالما اضطرب لها أبوك اذا كان يختشى أن يجىء يوم يحسبون فيه أن المركيز روجر دى اسبرتهون نورى

فوقف المركيز مذعراً وقد نظر الى الباب الذى خرجت منه مس الن فلم تخف هذه النظرة على الطبيب ولكنه كان قد اندفع فى الحديث ولم يجد بداً من اتمامه فقال

نعم أن هذا الخاطر كان يعذب اباك حتى انه جرب جميع أدوية الهند لازالة هذا الوشم ولم يتمكن من ازالته

ـ ما هذا الخاطر الغريب ومن الذى يجسر على الشك بنسبى

ـ ألا تعلم أن من كان له نبلك وثروتك يكثر حاسدوه

ـ ربما ولكن ما العمل وهذا الوشم لا يزول

فقال له بصوت منخفض انى ابحث منذ عشرين عاماً عن دواء يزيله فلم اهتد اليه الا منذ يومين

ـ اذا كان ذلك أيها الصديق فهلم وجربه بى فان الهزء والفضيحة لا يجب أن ينالا أمثالى

ـ اذن سأزورك فى كل ليـلة ساعة رقادك واستعمل هذا الدواء ورجائى أن يزول الوشم فى مدة أسبوع فلا يبقى له أثر

ـ على الرحب فتعال للعشاء معى فى كل مساء وسنبدأ من هذه الليلة

والآن أرجوك أن تدعني وحدى هنيهة فى هذه القاعة فان لدىَّ أوامر مستعجلة اريد اصدارها

فوضع الطبيب الزجاجة فى جيبه وقال له

وأنا أيضاً مضطر الى الانصراف لعيادة مريض فى هذا الشارع

ـ اذهب أيها الصديق وعد بعد ساعة فانى انتظرك فخرج بولتون حتى اذا وصل الى ردهة القصر أخرج من جيبه قفازا كان قد لقيه على الكرسى الذى كان جالساً عليهِ ونظر فيهِ فوجده قفاز امرأة فضرب الأرض برجليه معضباً وقال

لقد عرفت الآن ما هى هذه الأوامر التى يريد اصدارها

وقد خرج من القصر فلم يسر بضع خطوات حتى وقف اذ وجد مركبة تنتظر على بعد عشرين خطوة من باب القصر

وكأنما قد رابه أمرها فالتف بوشاحه ووقف وراء أحد الأبواب دون أن يراه أحد

وبعد هنيهة رأى امرأة مقنعة خرجت من باب الحديقة فصعدت الى المركبة وأمرت السائق بالمسير

فأسرع فى أثرها وهو يقول فى نفسه

ليتعشى روجر هذه الليلة وحده فانى اريد أن أعرف من هى هذهِ المرأة التى سمعت الحديث الذى قصصته على المركيز

أما المركيز فانهُ لم يكد يخرج الطبيب من عنده حتى أسرع الى الباب الذى خرجت منهُ ألن فرآها تجتاز الحديقة

وأما ألن فانهـا حين باتت فى مركبتها جعلت تبتسم ابتسام الظافر وتقول فى نفسها

لقد أصاب من قال أن للنوَر الهاً يرعاهم فان هذا الطبيب قد خدمنى خدمة جليلة سأكافئهُ عليها متى جاء وقت المكافئات

أما الآن فسأخير جان دى فرانس بين الحرب والسلم فاذا خدمنى سالمتهُ واذا اعترضنى فيما اريده أشهرت عليهِ حرباً عواناً اكون الظافرة فيها فقد تسلحت الآن بأمضى سلاح

وبعد نصف ساعة وقفت مركبة مس ألن عند باب منزل السير روبرت وكان الطبيب فى اثرها فعرف من هى هذه المرأة التى كانت محنه المركيز

ولم يكن السير روبرت فى المنزل فدخلت الى غرفتهـا وكتبت هذه الرسالة

« انْ توبسى تريد أن ترى جان دى فرانس وقد عينت له موعد المقابلة الساعة العاشرة من هذه الليلة فى دليتفورد »

وقد غيرت نسق خطها كى تستطيع انكاره عند الافتضاح ووضعت الرسالة فى غلاف كتب عليهِ هذا العنوان

الى الشريف النا باب عثمان      فى بيكاديلى

ثم اسندت كوعها الى المنضدة وجعلت تبتسم وتقول

أليس من المضحكات ان يكون اثنان من النوَر فى مقدمة اشراف الانكليز

## القسم السادس
# دهاء النساء

عند ما وصلت رسالة الن الى جان كان يتداول مع الطبيب بلتون فكان جان يقول له

هل أنت واثق من أن هذه المرأة كانت مس ألن

قال كل الثقة ألم أقل لك أنى قفوت أثر مركبتها

فقطب جان حاجبيه وقال أتعلم أن روجر متوله بحبها

قال لا أعجب من ذلك فهى جميلة طماعه تريد أن تدعى مركيزة

قال ولكنى أنا لا أريد وهذا لا يكون وأنا أعلم أن توبسى خصم لا يهزأ به فان لها ميلاً فطريًا الى الشر ولها جرأة وصبر شديد وارادة لا تغلب فاذا ظفرت بى فهى لا ترحمنى وفوق ذلك فانها تسلطت على السير روبرت فلا يعمل إلاّ بارادتها

قال ولكنى أخاف أن تكون نصبت لك فخًا فى هذه الرسالة

فابتسم ابتسامة احتقار وقال ان خنجرها لا يصل الى هذه المرة

ـ اذن ستذهب الى حيث دعتك

ـ دون شك انى ذاهب من فورى

ثم نادى شمشون وقال اخبر اليسى أن تتأهب فانها تكون فى مأمن

على ظهر السفينة ثم اذهب بها فى قاربى وانتظرنى فى النهر الى ان آتى اليك

فذهب شمشون مسرعًا وسأل الطبيب جان قائلاً من هى اليبسى هذه

قال انها المرأة التى تستحق أن تحب فانها مثال الخير كما ان توبسى مثال الشر

ـ أرى انك تحبها من تهدج صوتك

ـ هو ذاك فانى أحبها أصدق حب

وقد نظر عند ذلك فى ساعته وقال لقد بلغت الساعة الثامنة وان روجر ينتظرك للعشاء أيها الصديق

قال انى ذاهب اليه وسأعود اليك مساء غد فأخبرك بنتيجة الدواء

وبعد انصراف الطبيب تنكر جان بملابس نوتى وذهب الى النهر فوجد أخته وشمشون ينتظرانه فى القارب

وقد صعد اليه فسأله شمشون الى أين تريد أن تذهب

قال الى الباخرة فولر ثم الى ريسفورد

فقالت له أخته دعنى أصحبك يا جان الى حيث أنت ذاهب فانتظرك مع شمشون فى القارب

لماذا تريدين أن تصحبينى

لأنى خائفة فقد حلمت أمس حلما مخيفا

اذا كنت تعتقدين بالأحلام فهلمى معى ولكن لا تخشى على ثم أمر شمشون فدفع القارب الى جهة ريشفورد

وكانت ألن قد سبقته الى الموعد ووقفت فى ردهة المنزل تنظر الى النهر فى تلك الليلة المقمرة فرأت جان قد خرج منه الى الشاطىء ورأت أن القارب لا يزال واقفا وفيه رجل وامرأة

وقد دخل جان اليها فاستقبلته بملء البشاشـــة وقالت له أشكرك لاسراعك بتلبية دعوتى

فانحنى أمامها وأشارت له أن يجلس على كرسى بجانبها

فقالت له

انك تعلم يا عدوى العزيز انى ما دعوتك الى مقابلتى إلا وقد عقدنا هدنة فلا خوف عليك من خيانة ما زلت عندى

قال وأنا رضيت عقد الهدنة فلا خوف عليك من انتقامى

والآن فهل لك أن تخبرينى عن سبب تشريفك اياى بهذه المقابلة

قالت دون شك فانى ما دعوتك الا لأقترح عليك عقد الصلح فقد رأيت أننا كفؤان متواربان فأية فائدة من العداء

قال هو ذاك وانى راض بالصلح

ـ ان هدية العلبة التى أرسلها الىّ ناثائيل دلتنى على انك عدو مخيف ولكن نتيجة هـذه الحادثة دلتك أيضاً على أنى لم اكن مغلوبة وفوق ذلك فقد رجحت عليك بتلك الطعنة التى أصابتك بها الهندية

ـ تريدين أن تقولى انك التى طعنتنى اذ أنت التى أرشدتها الىّ

ـ هو ذاك وانى بهذه المناسبة أريد أن أسألك عن أمر أشكل علىّ

ـ أتريدين أن تعلمى كيف نجوت

ـ نعم

ـ الامر بسيط فقد كنت واهمة باعتقادك ان الخنجر مسموم وذلك أن الهندى الذى يصحب الهندية كان يعلم انها مجنونة فأبدل خنجرها المسموم بخنجر عادى فلم يقتلى الجرح

فابتسمت ألطف ابتسام وقالت انى أريد أن أعرض عليك الصلح

ـ ما هى شروطك

ـ ليس لى غير شرط واحد

ـ ما هو

ـ هو اعتزالك

ـ أن اعتزالى قد يكون كثيراً وقد يقل

ـ انى منذ عام أسائل نفسى هــذا السؤال وهو أية فائدة لجان دى فراس وهو نورى مثلى فى تولية حماية المركيز روجر ابن ذلك اللورد الذى طالما اضطهد طائفتنا

ـ أأنت سألت نفسك هذا السؤال

ـ نعم ولولا حدوث حادثة لم أكن أتوقعها لما عرفت الحقيقة

ـ أعرفتها

ـ نعم ووثقت الآن أن المركيز روجر هو ابن اللورد اسبرتهون وسنيتيا النورية أى أختك وعرفت أيضاً أن الطبيب بولتون لفقوله حكاية

عن الوشم الذى وشم به كتفه وأنه آخذ بمعالجته فلا يمر أسبوع حتى يزول هذا الوشم كما زال وشمى

أما هذه الحكاية الملفقة فقد يموه بها رحال بسيط القلب كالسير روبرت الذى ربانى ولكنها لا تجوز علىّ وعلى ذلك فان المركيز روجر انما هو نورى مثلنا

ـ وبعد ذلك

ـ انى أحب هذا المركيز

ـ تريدين أن تحبين ثروته ولقبه

ـ أنه يحبنى ويريد الزواج بى فلماذا تعترض هذا الزواج

ـ لأنى لم أجعله مركيزاً ولورداً كى يتزوج نورية

ـ اصغ الىّ يا جان فانى أتوسل اليك جاثية أن تغفر لى أساءتى

ـ وأن أدعك تتزوجين المركيز ؟

ـ نعم يا جان انى طامعة متكبرة وأن روجر نورى مثلى ولذلك أريد أن أشاركه فى مجده

وأنك متكبر مثلى ولم يدفعك الى ترقية ابن أختك غير الكبرياء فثق يا جان انى اذا تزوجت به أكون من أشد الناس اخلاصاً لطائفتكم

ـ أن هذا محال فكونى سيدة عظيمة اذا استطعت وأما أن أجعل ابن أختى وملكنا سلماً لمرقاتك فهذا محال

فارتجفت شفتاها من الغضب وقالت له

انى توسلت اليك فكنت من غير اشفاق وأبيت الا الحرب فليكن ما تريد واحذر لنفسك

ـ كما تريدين ولكنى أمهلك يوما لتتمعنى

ـ لا أريد مهلة

فأخذ قبعتهُ وحاول الانصراف فقالت له بصوت يرتجف اصبر

ـ انى مصغ اليك

ـ أحرص على ابن أختك وملكك فان عـدوه سيكون له أتبع من ظاله

ـ لقد أعذر من أنذر

ـ كلمة أيضاً

ـ ماذا

ـ من هى هذه المرأة التى تنتظرك فى القارب

ـ اليبسى

ـ تلك المصرية الحسناء

ـ نعم فهل غرت منها

ـ أنك تحبها

ـ أصدق حب

ـ اذن سأكون أقوى منك فانك تطعننى باطماعى أما أنا فأطعنك بقلبك

ـ جربى

ـ فاتقدت عيناها ببارق مخيف وقالت له

اذهب واذكر انى أهنت نفسى ونزلت عن عرش كبريائى بتوسلى اليك

***

بعد هنيهة كان جان واقفا عند الشاطىء وقد صفر فجاء شمشون بالقارب وصعد جان اليهِ فجلس بجانب أختهِ فقالت له

أن هذه المرأة ستكون شؤماً علينا يا جان فانك بينما كنت عندها سقط نيزك من السماء وهذه علامة الموت

فأجابها مارحاً أن هذا النجم انحل برغيهُ فسقط

قالت لا تضحك يا جان فهذه علامة الموت كما قلت لك

وعند ذلك سمع دوى طلق نارى فصاحت اليبسى صيحة عظيمة وسقطت بين يدى جان فان الرصاصة أصابتها

***

فى تلك الليلة نفسها ذهبت ألن الى حيث تقيم الهندية فدخلت اليها وكشفت قناعها وقالت لها

أنه لم يمت

فوقفت الهندية كأنما لسعتها أفعى وقالت من هو

قالت سارق كنز الآله سيوا

فهزت كتفيها وقالت ان هذا محال

ـ لقد قلت لك انه لم يمت

ـ ألعلك رأيته

ـ وكلمتــه

ـ متى

ـ منــذ ساعة

ـ اذن ان هذا الرجل تحميه قوة آلهية أو هو من السحرة

ـ كلا ولكن رفيقك الهندى بدل خنجرك المسموم بخنجر عادى

ـ ذلك لا يصدق فان له قوة تحميه

فرأت ألن ان لا فائدة من الجدال معها فقالت لها

ان هذه القوة قد تحميه من الخناجر ولكنها لا تحميه من السموم التى تبيعينها

فتوهجت عينا الهندية من الحقد وقالت أين أحده

ـ فى منزله فى بيكاديلى

ـ حسنًا فستعلمين ما يكون من أمره قبل ثلاثة أيام

ـ اذن فاعلمى انه يدعى النابابب عثمان الهندى والآن استودعك الله

وقد اسدلت قناعها على وجهها وحاولت الانصراف ولكنها سمعت ان باب دكان الهندية يقرع فأسرعت واختبأت وراء ستارة كانت تفصل بين الدكان والسرير الذى تنام عليــه الهندية وأشارت اليها أن تفتح

ففتحت ودخل رجل كان متشحا برداء كبير وهو يحاول اخفاء وجهه فقالت ألن فى نفسها لا فائدة من تنكرك فقد عرفتك

أما الرجل فانه قال للهندية هل نحن وحدنا هنا

قالت نعم فماذا تريد يا سيدى أتريد شراء مسايح وروائح عطرية

قال كلا

ـ اذن أتريد أن اكشف لك طالعك

ـ ربما

ـ هات يدك

فبسط لها يده ونظرت فى باطن كفه فقالت له يوجـد رجل تكرهه أشد الكره

ـ هو ذاك

ـ وقد حاولت قتله مراراً فلم تفز

ـ لقد أصبت

ـ ولكن يوجد طريقة للتخلص منه

ـ ما هى

ـ السم

ـ لقد خطر لى هذا الخاطر ولذلك جئتك لأشترى منك هذا السم

ـ انى لا أبيع السموم يا سيدى وقد أخطأ من أخبرك

فظهرت علائم الامتعاض على الرجل وقالت الهندية انى أعلم بأنهم

يتهموننى ببيع السموم ولكنها تهمـــة باطلة فانى أبيع المسابح واكشف الطوالع وأرقص فى الشوارع وهذا كل ما أعمله

وعند ذلك سمعت الهندية حركة من وراء الستارة لم يتنبه لها الرجل فالتفتت فرأت ألن تشير اليها اشارة لم نفهمها فقالت للرجل اصبر ياسيدى فسأريك سبحة نستريها لا محالة

ثم دخلت الى ما وراء الستارة لترى ما تريده ألن فهمست فى أذنهـــا قائلة

ان هذا الرجل سيتهم لك فاعطه السم الذى يطلبه وضعى فى العلبة التى تضعين فيها السم هذه الورقة

وقد أخذت ورقة من دفترها وكتبت عليها هذه الجملة

« ابدأ بقتل البابا عثمان اذا أردت أن تفوز »

ثم قالت لها لا تعطيه من السم إلا بقدر ما يكفى لقتل رجل واحد فقط

فأخذت الهندية علبـــة وخرجت الى الرجل فقالت له هذه سبحة مصنوعة من خشب الستيكنوس وهى تفيدك فيما تريد

فارتعش الرجل وقال ماذا تعنين

قالت من محلول هذه الحبوب سم يقتل للحال وهذه السبحة يستطيع صاحبها أن يعبث بها قدر ما يشاء دون أن يصاب بأذى وأما اذا أذاب حبة منها فى كأس من الخمر تستحيل الى سم صاعق ولكن هذا السم غالى الثمن فان الحبة الواحدة تساوى خمسة وعشرين جنيها

قال اذن اعطنى حبتين

قالت لا أستطيع أن أبيعك غير حبة واحدة فاذا احتجت الى سواها فعد الىّ

فنقدها ما طلبت وأخذ الحبة وانصرف

فقالت ألن هو ذا الرجل كان يحسبه الناس من الأموات وقد خرج من بين القبور

ثم خرجت الى الهندية فقالت لها أصغى الىّ واعلمى يقيناً انك اذا كنت لا تريدين أن يحكم عليك بالموت فى النار فاحذرى أن تبيعى أحداً حبة أيضاً من هذه السبحة

ـ حتى هذا الرجل

ـ هو على الأخص

ـ ولكن ما أصنع اذا توعدنى بالشكوى

ـ أنقذك كما أنقذتك من كنز الاله سيوا واعلمى أن هذا الرجل سيقتل جان دى فرانس قبل أسبوع

ـ هل أنت واثقة مما تقولين

ـ كل الثقة فان هذا الرجل جبان وهو يعلم أن جان يحمى عدوه فسيقتله قبل ذلك العدو

ـ اذن سأكون عبدة له

ـ أنسيت أنك عبدتى

ـ نعم نعم فمرى أطع

ـ أن هذا الرجل بعـــد أن يقتل عثمان يعود اليك كى يلتمس سماً يقتل بهِ عدوه فتوهمينه أنك ستبيعينه ما أراد وتدخليـــه الى ما وراء هذه الستارة

ـ لماذا

ـ لأن الصدفة قد تجعله يجلس على هذا المقعد وفيهِ ابرة مسمومة تشك حـــامله فاذا اتفق ذلك أعطيتك من الذهب قدر ما تكسبين فى مدة عشرة أعوام

ـ ليكن ما تريدين فسأساعد هذه الصدفة

أما هذا الرجل فقد كان السير جيمس ابن أخى اللورد اسبرتهون ذلك الذى القى نفسه من فوق الحصن فى أميركا ثم انقطعت أخباره فتوهم الجميع انه مات

وقد عاد الى لندرا متنكراً فلم يعلم حقيقة أمره غير خادمه ويلس وهو الآن يريد شراء السم كى يقتل به ابن عمه المركيز روجر

فلما عاد الى منزله فتح العلبة وقرأ الجملة التى كتبتها ألن فأيقن أن له شريكاً يعاونه بالسر وانه مصيب بما أوصاه به فانه لا يستطيع أن يتمكن من ابن عمه الا بعد أن يتخلص من عثمان

غير أن كيد ألن لم يقتصر على هذا الحد فانها بعد أن مهدت للسير جيمس سبيل قتل عثمان و بعد أن أصابت حبيبته بجرح كاد أن يودى

بحياتها كمنت لاخته سينيتيا أم المركيز مع فريق من أعوانها فاحتطفتها وهى خارجة من منزلها لغرض سوف يظهر

***

والآن لنعد الى السير روبرت فالدن فقد كان شديد التمسك بالشرف كثير الحرص على مقام الأشراف وقد رأينا منه كيف أبى أن يزوج ربيبته بليونيل وهو يحبها كبنته كى لا يؤنبه ضميره على تزويج نورية بشريف وانما أراد تزويجها بالمركيز لاعتقاده أن المركيز ليس ابن اللورد الشرعى فانه كان اصيب مرة بجرح فى كتفه أثر مبارزة كان السير روبرت أحد مشاهديه فيها ولما كشف الطبيب عن كتفه رأى روبرت هذا الوسم على كتفه وهو يعلم انه خاص بالنوَر فتولدت فى نفسه الشكوك من ذلك العبد

وقد كثرت هواجسه واستد قلقه وأراد أن يعرف حقيقة هذا السر الذى كاد يقتله فقال فى نفسه

لم يبق بد من أن أذهب الى روجر واستوضح منهُ جلية الأمر فاذا برهن لى انهُ ابن اللورد اسبرتهون الشرعى اعتذر اليه واذا لم يستطع البرهان لجأت الى مروءته فانهُ كريم الأخلاق عزيز النفس لا يرضى أن يلقب بلقب سواه

وكان قد وعد ربيبتــه أن يأتيها بالخبر اليقين بعد ثلاثة أيام فبرح منزله فى اليوم الثالث وذهب الى المركيز فلقى عنده الطبيب بلتون يعالج

كتفه فابتسم المركيز له وعاتبه لانقطاع زياراته فتمتم ببعض كلمات اعتذار وقال الطبيب

أنا أعرف السبب الذي دعا السير روبرت الى الانقطاع عنك منذ عهد مبارزتك مع القائد مكسويل

فقال له المركيز اذا كنت تعرف السبب كما تقول فاسرع باخباري عنهُ فاني لا أزال مندهشاً من مباهج السير روبرت

قال تصور أيها المركيز أن السير روبرت فالدن وهو صديقي منذ ثلاثين عاماً أراد يوماً أن يقتلني عند سريرك

فصاح المركيز قائلاً ولكن هذا محال

قال سله يخبرك اني قلت الحقيقة

فهز السير روبرت رأسه اشارة الى الموافقة وقال الطبيب

هل تعلم لماذا كان يريد قتلي . ذلك لأني أبيت أن أبوح بسر ابيك المرحوم .

فقال المركيز : هذا الذي اسمعه فاني أحسب نفسي حالماً أحق ما يقوله يا سير روبرت

ـ نعم أنهُ يقول الحق

ـ أأنت أردت قتله

فقال الطبيب نعم وذلك لأني أبيت أن اكشف له سبب وجود الوشم على كتفك

فقهقه المركيز ضاحكاً وقال اراهن على أن السير روبرت توهم انى من النوَر

فقال الطبيب هو ذاك

وكان السير روبرت توقع أن يرى المركيز يضطرب فاذا به يضحك ويقول له اطمئن ايها الصديق فانى حقيقة ابن اللورد اسبرتهون

وقال له الطبيب اعلم أيها الصديق انى اقسمت يميناً للورد اسبرتهون أن لا أبوح بهذا السر لأحد الا متى تمكنت من ازالة هذا الوشم عن كتفه وقد وجدت اليوم الدواء الذى يزيله ولم أعد مقيداً باليمين فاسمع ما حدث

وعند ذلك قص عليهِ الحكاية نفسها التى قصها على المركيز منذ يومين فلما فرغ من حديثهُ احمر وجه السير روبرت من الخجل والتفت الى المركيز فقال له

انى لا أعذر نفسى لظنوني السيئة فهل تتفضل بعذرتي أيها المركيز

فأجابهُ المركيز بأن مد له يده وصافحه وزالت الظنون

⁂

وعاد السير روبرت الى منزله فوجد مس ألن تنتظره فقالت له أين كنت يا عمي

قال انى قادم من عند المركيز وقد ثبت لى الآن أن ليونيل لا يمكن أن يكون ....

ـ كيف ذلك

ـ ذلك انا خدعنا فان المركيز هو حقيقة ابن اللورد اسبرتهون

ـ أأنت واثق

ـ كل الثقة

ـ والوشم

ـ ان له حكاية قصوها علىّ ووثقت بها

ـ انك تلبث واثقًا الى أن تجد البرهان الوافى على انهم كانوا يمثلون أمامك رواية

ـ ماذا تقولين يا ابنتى ألعلك جننت

ـ وأنت ماذا قالوا لك عن أصل هذه العلامة . ولكن لا تقل شيئًا فانى أعرف الحكاية كما عرفتها فهى من مخترعات جان دى فرانس

ـ جان دى فرانس

ـ نعم أى ملك النوَر وهو أخو سنيتيا التى كانت خليلة اللورد اسبرتهون وأم المركيز روجر ألم يخبروك أن النوَر اختطفوا المركيز فى عهد حداثته من سراى كلكوتا

ـ نعم ولكن كيف عرفت ذلك

فابتسمت ابتسامة السائد وقالت

اصغ الىّ يا عماه فاننا نسير وراء غاية واحدة ولكن الأسباب مختلفة فانك تريد أن ترى ليونيل وهو ابن اللورد الشرعى فى مكان أبيه

ـ ولكن كيف يكون ذلك اذا كانت الحكاية التي سمعتها اكيدة

ـ بل انها مختلقة وأنا اتعهد بأن ابرهن لك عن اختلاقها

ـ أنت

ـ نعم ولكن بشرط

ـ ما هو

ـ هو أن تدع لي حريتي التامة

ـ كيف ذلك

ـ انى استمهلك ثلاثة أيام على الأكثر ويوماً على الأقل فأثبت لك أن المركيز روبرت هو أميركي ابن سنتيا النورية واكره هذه الأم على الاعتراف

ـ أنت تفعلين ذلك

ـ نعم اذا أردت ان اكون أنا الفكر المدبر وأنت اليد العاملة

ـ لقد رضيت

ـ اذن انى احتاج هذه الليلة الى اثنين من رجالك لأستعين بهما على اختطاف

فنظر اليها مندهلاً فقالت

ألعلك نسيت يا عمي اني نورية . انك شريف حر الضمير فلا تستطيع ان تتغلب على جان دى فرانس

ـ ولكن أين سمعت اسم هذا الرجل فانى اذكر انى سمعته من قبل

ــ تذكر يا عماه ألم تخبرني مرة أن اللورد اسبرتهون كاد أن يفترسه النمر فأنقذه رجل نورى

ــ نعم

ــ أن هذا النورى كان جان دى فراس ثم ألا تذكر أن المركيز روجر كاد يبطش به الوحش فى الغابة وان رجلا أنقذه

ــ نعم

ــ ان هذا الرجل كان جان دى فراس ثم ألا تذكر حين احتالوا على المركيز يوم مبارزته مع الصانع مكسويل فأعطوه حساماً سريع الانكسار وان رجلا أبدل السيف بسواه . ان هذا الرجل كان جان دى فراس

ــ اذن انه سلطان فى زى انسان

ــ هو ذاك ولكنه ملاك يحمى روجر من كل الأخطار فقد انقذه عشر مرات من الموت فى امركا وهو يزعمه زوج طفلة بنت ذهب

ــ وان روجر سيربكه لا محالة لأنه يعرف محله

ــ كلا فان روجر يعتقد اعتقاداً راسخاً انه ابن اللورد الشرعى

ــ اذا كان ذلك تمكن ارجاعه الى الصواب

ــ نعم ولكن لست انت الذى تستطيع ارجاعه

ــ كيف ذلك أتسنك بكلامى

ــ أن الذين يخضعون لسلطة جان دى فراس لا يفون الا به أو بى

ـ أنت

ـ نعم فان روجر يحبنى أعظم حب بحيث استطيع بهِ مقاومة جان دى فرانس فاذا أطلقت لى حريتى جعلت ليونيل يخلف المركيز دون أن ادع الألسنة تلهج بهذا الانقلاب

ـ ولكن ماذا يكون مصيره

ـ ليتوارى معي عن العيون ويكفيه ثروة أن أحبه كما يحبنى

ـ ولكن أية فائدة لجان دى فرانس من حماية المركيز

ـ أنه ابن أختهِ ومن طائفتهِ المضطهدة فهو يريد أن يتخذه سلاحاً ضد مضطهدى تلك الطائفة

ـ وأنت تعتقدين أنك تستطيعين مقاومة جان دى فرانس

ـ بل انى واثقة من الفوز عليهِ اذا كنت تأذن لى أن أخرج من المنزل حين أشاء

ـ انى أمنحك هذه الحرية فلا يهنأ لى عيش قبـــل أن تنحل هذه الرموز

ـ لقد قلت لك انى محتاجة الى رجلين يساعداننى على اختطاف

ـ من الذى تريدين اختطافه

سينتيا أم المركيز وأن عندك خادمين شديدين وهما نوح و بلاك فمرهما أن يطيعانى وعليّ البقية

ثم قرعت جرساً وأمرت أن يعدوا لها مركبة

*
* *

وقد تقدم لنا القول آنهـا اختطفتها وكان اختطافها بواسطة الرجلين
الهندية فانهم كمنوا لها عند مدخل منزلها حتى اذا خرجت منه دنت
نها الهندية و بسطت يدها تسألها الاحسان فبينما كانت تحاول اعطاءها
طعة من النقود شعرت ان كيساً غطى رأسها وأنها حملت فوضعت فى
ركبة ثم سمعت تلك المتسولة تقول لها

احذرى أن تصيحى اذا أردت السلامة لك ولولدك

و بعد أن سارت المركبة قليلاً قالت لها الهندية أن هـذا الكيس
يزعجك كثيراً فاذا أردت أن نعصب عينيك نزعناه عن رأسك فتستطيعين
لتنفس بحرية

فأومأت برأسها اشارة الى القبول فنزعت الكيس عن رأسها وعصبت
عينيها ثم قالت لها اننا نستطيع الآن أن نتحدث

قالت ماذا تريدين منى

قالت أريد أن أحدثك بشأن ولدك

ـ ليس لى بنون

ـ بل أنك تكذبين

ـ ثقى أنك مخطئة فليس لى ولد ولا زوج

ـ بل أننا واثقون أن لك ولداً وأنهم فرقوا بينك و بينه

ـ لقد قلت لك أنهُ ليس لى ولد فالى أين تذهبون بى

ـ الى هذا الولد الذى تنكرينه

ـ اذن سوف ترون أنكم مخطئون فان الولد يعرف أمه

فامتنعت الهندية عن مباحثتها و بعد ساعة وصلت المركبة الى منزل ألن الصيفى وهو ذلك المنزل الذى استقبلت فيـهِ جان حين أرادت محالفته فأخرجتها الهندية من المركبة وأدخلتها الى المنزل فسمعت سينتيا الرجلين يتحدثان وسمعت من خلال حديثهما اسم مس ألن فسرى الرجاء الى قلبها اذ علمت أنها فى منزل مس ألن وأن أخاها جان يعرف هذا المنزل

وعند ذلك نزعت الهنديه العصابة عن عينيها فوثقت أنها عند مس ألن فان جان كان قد وصف لها تلك الغرفة فوجدتها كما وصف

ثم مشت بها الهندية الى قاعه المكتبه فأدارت لولبًا فى الجدار فانفتح باب خفى فدخلت واياها منه فأقفله وقالت لها وهى مجردة خنجرها

أنك سترين ولدك ولكن احذرى أن تصيحى صيحة

وقد أزاحت كتابين عن موضعهما فنفذ النور الى تلك الغرفة من ثقبين وراء الكتابين فقالت أنك تستطيعين أن ترى من هذين الثقبين حين يأتى ولدك

قالت انى لا أفهم شيئًا مما تقولينه فلقد قلت لك أنه ليس لى ولد

قالت سوف نرى

ـ بعد هنيهة دخلت مس ألن الى القاعة فرأتها سينتيا وعرفتها فانها

وقفت معها فى المركبة يوم عاد ابنها من أميركا

أما ألن فانهـا جلست على مقعد أمام التقبين وجعلت تحدث نفسها بصوت مرتفع فتقول

ترى أيأتى . نعم أنهُ سيأتى . آه كم أطلبه . ولكنى أخاف أن يكون تأخر وصول رسالتى اليه

ثم قامت ففتحت نافذة تشرف على النهر فأطلت منها وقالت

روجر أين أنت انى لا أرى قاربًا فى النهر ولا أسمع صوت مركبة فى الطريق . أواه ما أشد وقع الريب فى قلوب المحبين

وكانت سينتيا تسمع أقوالها وهى تنذهل وتقول فى نفسها عجبًا كيف يقول أخى أنها عدوة روجر وهى تحبه هذا الحب

وعند ذلك صاحت ألن صيحة فرح وقالت هذا هو قد حضر . . انى أسمع وقع المجاذيف فى المياه . . نعم نعم هذا هو وافرحاه

وكانت الهندية ممسكة بيد سينتيا فقالت لها أرأيت كيف أن يدك تضطرب فى يدى حين علمت بقدومه

فحكمت نفسها وقالت كلا ليس لى ولد وأنتم واهمون

و بعد هنيهة دخل روجر فقبل يد ألن فقالت له

أول ما ابدأ بهِ أيها الحبيب رجائى أن تغض الطرف عن دعوتى إياك ولكنى فقدت صوابى للخطر المحدق

قال أى خطر هذا

ـ أنهُ خطر يحدق بي وبك فقد كدت أفترق عنك الى الأبد

ـ رباه ماذا أسمع

ـ أن عمى أراد أن يحول بيننا فقد علم بحبنا

ـ أنهُ كان عندى اليوم

ـ لا أعلم ولكن الذى أعلمه أنهُ تآمر عليّ مع والدة ليونيل

فاصفر وجه المركيز وقال لقد بت اكره ليونيل بعد أن كنت أحبهُ كأخى

قالت أغفر له أيها الحبيب فهو يحبنى ويتوهم انى أحبه

ـ وهذه المؤامرة

ـ أنهما يريدان أن يرسلانى الى قصر لعمى فى ايكوسيا وهناك يأتى ليونيل فيزوجانى بهِ ولكن اطمئن فقد اكتشفت سر هذه المؤامرة ولذلك دعوتك

ـ اذن أنت لا تسافرين

ـ كلاّ

ـ ولا تتزوجين ليونيل

ـ ألم أقسم لك

فقالت سينتيا فى نفسها لا شك ان أخى منخدع فكيف تكون عدوته وهى تحبه هذا الحب

وعادت ألن الى الحديث فقالت

أما وقد رأيتك الآن وأخبرتك بما كان يحدق بك من الخطر فلا يجب أن أرتكب هفوة جديدة

ـ ماذا تعنين

ـ أعنى ان عمى علم انى زرتك فى منزلك والآن يجب أن أسرع الى العودة الى لندرا فانى أخاف أن يعود عمى من النادي فلا يجدنى فى المنزل

ـ كيف ذلك أ أفارقك وأنا لم اكد أراك

ـ لا بد من ذلك ولكنى سأعود معك فيخفينا الظلام

فصاح صيحة فرح فقالت له

اسكت اذ يوجد هنا خادمة جديدة تحرس المنزل وأنا آتى الى هنا من حين الى حين لافتقدها

وان قاربى يرسو عند الشاطئ وقد أطلقت سراح النوتى الذى أوصلنى لترجعنى أنت فلا تجزع لأمر وثق بى

ـ أواه من ليونيل

ـ لماذا تخافه وأنا لا أحبه

ـ انى أخاف ان يكرهك عمك الى الامتثال

ـ لا توجد قوة تكرهنى فثق بى كما تثق بأمك

ـ أمى وا أسفاه انى لم أعرف أمى

ـ اكنت تحبها اذا عرفتها

ـ بل كنت اعبدها ومن هذا الذى لا يحب أمه

وعند ذلك سمعت الهندية تنهداً عميقاً تلاه سقوط جسم على الأرض ذلك ان سينتيا كان قد أغمى عليها اما ألن فانها خرجت مسرعة مع المركيز

## القسم السابع

# الفشل بعد الفوز

عند ما استفاقت سيتيا من اغمائها لم تكن فى تلك الغرفة التى سمعت الحديث منها فان الهندية كانت قد اخرجتها الى القاعة وعالجتها حتى استفاقت فقالت لها هل تستطيعين الانكار انه ولدك

ولكنها عادت اليها قواها فقالت بصوت أجش لقد قلت لك انه ليس لى ولد

ـ اذا كان ذلك فلماذا أغمى عليك حين سمعته يتكلم عن أمه

ـ لأنى تذكرت ولداً لى مات والآن ألا تطلقين سراحى

ـ كلا

ـ لمـــاذا

ـ لأنه يجب أن ترى مس ألن

ـ من هى هذه الفتاة

ـ هى تلك الحسناء التى تحب ولدك

ـ وأنت تقولين أنها تريد ان ترانى

ـ نعم فانها تريد أن تجمعك بولدك

ـ لقد قلت لك انه ليس لى ولد فكيف اكون أنا الفقيرة أم هذا السيد العظيم ثم اذا كانت تريد أن ترانى فلماذا ذهبت

ـ انها ستعود غداً والآن أنصحك أن تنامى على هذا المقعد فان الليل قد انتصف وأنت فى حاجة الى الراحة

فامتثلت وغطتها الهندية بغطاء ثم اضطجعت على مقعد آخر كأنها تريد أن تنام أيضًا فقالت سينتيا فى نفسها انى سأصبر عليها حتى تنام فأخنقها قبل أن تتمكن من الصياح واهرب

ولكن حدث بعد ذلك ما لم تكن تتوقعه فان الباب فتح فجأة ودخل منه الخادمان فقالا للهندية اسرعى فانهم فى آثرنا وقد رأيناهم فى النهر

فقالت سينتيا هذا أخى قادم لانقاذنا ثم صاحت قائلة إلىّ إلىّ

فأسرع الخادمان اليها فكماها وقالت لهما الهنـــدية اقبضا على يديها وسأعمل لها عملية تمنعها عن الصراخ

فقبضا عليها وأخرجت الهندية زجاجة فيها سائل اصفر فأدنته من أنفها وأكرهتها على تنشقه حتى تلاشت قواها وسقطت يداها فحملوها الى الغرفة السرية وأختبأوا جميعهم فيهـــا فجعلت الهندية تنظر اليها وتقول

ليأتوا الآن وليبحثوا عنكِ قدر ما يشاؤون . انى أدعى دايي ناتها وما زلتِ أخت جان دى فرانس ذلك اللص الذى سرق كنز الهى فاعلمى انى شممتك رائحة تفقدين بعدها كل حس ما عدا النظر والسمع بحيث تصبحين حية شبه ميتة

و بعد هنيهة دخل جان وشمشون فقد كانا علما باختطاف سينتيا فان

شمشون كان قد راى عن بعد رجلين يحملان امرأة الى مركبة وكانت المركبة بعيدة عنه فلم يستطع ادراكها فأيقن جان ان ألن قد اختطفتها وأسرع مع شمشون الى منزلها الصيفى فبحثا فيه بحثاً دقيقاً فلم يجدا لها أثراً فاقترح شمشون أن يحرق المنزل فمنعه جان قائلاً لا أريد مداخلة البوليس ولا بد لى الآن ان أبحث عنها فى منزل السير روبرت فهلم بنا نعد الى لندرا

ولما ابتعدا قال أحد الخادمين لرفيقه انهما لن يظفرا بالأسيرة هذه الليلة وما راعنى إلا خوفى ان يحرقا المنزل

أما جان فانهُ عاد مع شمشون بطريق النهر وهو ينذر ويتوعد ويقول انى سأقتل هذه الماكرة جلداً بالسياط

فقال له شمشون انى عينت رجلاً كما أمرتنى لمراقبة منزل السير روبرت ولا بد ان يكون رأى ألن ليلة أمس

ـ من هذا الذى عينته

ـ جولد

ـ انهُ من الأذكياء فلماذا لم تره اليوم

ـ لقد كنت عازماً على الذهاب اليه فى الساعة الثامنة ولكن عرفت ما جرى

ـ سنراه الآن

وقد ذهبا الى منزل السير روبرت ولقيا جولد فسأله جان قائلاً

ماذا رأيت

قال ان مس ألن خرجت امس فى مركبتها ولكنكم لم تأمرونى أن اتبعها فلم أعلم الى أين ذهبت

ـ متى عادت

ـ عند انتصاف الليل

ـ ألم تخرج بعد ذلك

ـ كلا فقد زارها فى تلك الساعة فتى لم أتبين وجهه اذ كان ملتفًا بوشاحه وقد دخل من باب الحديقة بمفتاح كان معه

فقال جان فى نفسه انه ليونيل ثم سأله قائلا كم أقام معها

ـ نحو ساعة فقد كنت ملتصقًا بالباب وسمعتها تقول له حين خروجه: الى اللقاء غداً

ـ واليوم أخرجت من المنزل

ـ نعم عند الظاهر

ـ ومتى عادت

ـ منذ ساعة

ـ أعادت وحدها

ـ نعم

ـ حسنًا فعد الى منزلك

وقد نظر جان فى ساعته وقال ان السير روبرت لا يعود من النادى قبل انتصاف الليل ولا يزال الوقت فسيحًا لدى

ثم ذهب الى شمشون وقال اذهب واكمن عنـد باب المنزل فاذا رأيت السير روبرت عاد فاسرع وأخبرنى واذا لم تجدنى فى هذا الزقاق فنادنى بصفيرنا الخاص

قال ألعلك تريد الدخول الى الحديقة يا سيدى

ـ ربمـا

ـ أتريد أن أكسر بابها

ـ كلا فسأدخل اليها بطريقة أخرى

فذهب شمشون فكمن بجانب البـاب ولبث جان واقفاً حيث كان الرقيب وهو يقول فى نفسه

ان ألن تريد أن تتزوج بروجر ومع ذلك فانها تنتظر ليونيل فلماذا تحتفظ بحب هذا الفتى أيضاً

وكان جان قد عرف كثيراً من الأسرار ولكنه لم يتصل الى معرفة سر ولادلة ليونيل

وفيما هو واقف ينتظر سمع حطوات ليونيل ثم رآه وصـل الى باب الحديقة فالتفت يمنة و يسرة ثم أخرج مفتاحاً من جيبه وحاول فتح الباب فأسرع جان فحال بينه و بين الباب وقال له وقد وضع قناعاً على وجهه لى كلمة أقولها لك أيها النبيل

وكان ليونيل باسلاً جريئاً فدهش لهـذه المفاجئة وحسب جان من اللصوص فانتهره قائلا

سر فى سبيلك أيها الرجل

فلبث جان فى موقفه وقال له ألم أقل لك لى كلمة أقولها

ـ لى أنا

ـ نعم لك أنت الضابط ليونيل

ـ اذا كنت فى حاجة الى كيسى فليس فيه الليلة ما يذكر وليس لى وقت للدفاع عنه فخذه

ثم أخذ كيسه من جيبه وألقاه الى الأرض فقال له جان بلهجة الساخر لا بأس من أن ننتظرك مس الآن ربع ساعة

فاضطرب وقال له معصباً من أنت فتكلمنى بهذه اللهجة

ـ انى رجل يريد أن يسدي اليك نصيحة

ـ ما تعودت ان أسمع نصائح من يبرقعون وجوههم

ـ انك مخطىء فالعاقل لا يحتقر النصيحة كيف كان مصدرها

فسأم ليونيل من الجدال وقال له ما هى نصيحتك

قال هى أن تعطينى مفتاح هذه الحديقة وتعود الى منزلك فتنام وانى أعدك أن أرده اليك مع خادمى فى الصباح

قال يعز على أن أخترق صدرك بحسامى لأنك غير مسلح ولكن . . .

وكان مع جان عصا حشوها حربة طويلة كالحسام فجردها وقال له اذا كان لديك حسام فانى أشرفك بالمبارزة تحت هذا المصباح المعلق فى الطريق أليس هذا الذى تريده

ـ هو ذاك فتفضل بكشف برقعك كى أراك

يسوؤنى أنى لا أستطيع اجابة سؤالك

وقد اشتبك القتال بينهما فقال له جان

انى غير حاقد عليك وشهد الله أنى لولم أكن فى أشد الاحتياج الى هذا المفتاح الموجود فى جيبك لما قاتلتك ولذلك لا أقتلك بل أصيبك صابة بسيطة لا يعرف سرها سواى فستسقط مغمياً عليك نصف ساعة وهذا كل ما احتاج اليه من الوقت

فهاج ثائر ليونيل لهذا الكلام وانفض على خصمه انقضاض الصاعقة ولكنه لم يكد يتم هجمته حتى سعر أن سيفه سقط من يده وسقط هو على الارض لا يعى

فقاده جان اشفاقاً عليه ثم أخذ مفتاح الحديقة من جيبه وسار الى بابها وهو يقول لقد جاء الآن دور مس آلن فلنرَ ما يكون

* * *

كانت مس ألن قد عادت مع المركيز روجر فى طريق النهر فلما وصلا الى لندرا أركبها مركبة وفارقها بعد أن واعدها على اللقاء فعادت الى منزله قبل انتصاف الليل بنصف ساعة

وهناك غيرت ملابسها وتقلدت خنجراً صغيراً كانت الهندية أهدته اليها فكانت تتقلده دائماً بعد أن شهرت حربها على جان

ثم نزلت الى الحديقة لتجتمع بليونيل فيها حسب عادتها فى كل ليلة

فسارت بين الأشجار حتى انتهت الى مغارة فى وسط الحديقة يوجد تحتها دهليز خفى

وحكاية هذه المغارة أن القصر الذى كان يقيم فيه السير رو برت كان قديمًا يتصل بعهد كرمويل والثورة الانجليزية وهو فى ذلك العهد للورد شافستبورى من المتشيعين للملك فبنى هذه المغارة و بنى تحتها الدهليز فكان يخفى فيهِ الأسلحة والأوراق ويختبىء هو فيهِ أحيانًا حين تشتد بهِ المخاوف

وكان يفصل بين المغـارة والدهليز حجر كبير كان له شبه باب فلما مرت ألن بهذه المغارة قالت فى نفسها انى سأسجن سينتيا فى هذا الدهليز فأكون آمنة عليها فيه

ثم تجاوزت المغارة وسارت الى حيث كانت تلتقى بليونيل فلم تكد تجلس على كرسى هنـاك حتى رأت رجلاً يدنو منها فقالت له بصوت منخفض أهذا أنت يا ليونبل

فدنا منها وقال لها بل هذا أنا

فصاحت صيحة ذعر اذ عرفت جان من صوته وحاولت أن تهرب وتستغيث ولكن خطر لها خاطر سريع فلبثت فى مكانها وقالت له تعال فانى أنتظرك

وكان جان بعيداً عنها ثلاث خطوات فدنا حتى وصل اليها فقالت له بلهجة الهازىء

أنك اذا كنت قادماً لتقتلنى فقــد عرفت أن تنتهز الفرص فان السير روبرت لم يعد بعد وكل من فى القصر نيام

وكان حان يتوقع أن تنذعر فاذا بها تهزأ بهِ فأجابها قائلاً

لا أعلم فان حياتك وموتك منوطان بك

قالت اذا كنت متردداً فلِمَ تتباحث فهل حتتنى بأنباء عن اليسى تلك المصرية الحسناء

فاتقدت عيناه ببارق من الغضب لهذه الذكرى وقال لها

انى عاهدت نفسى على أن لا أقتلك لأنك امرأة ولكن موتك منوط بك فاذا شئت حللت نفسى من هذا العهد

فقالت ألن فى نفسها أن ليونيل لا يلبث أن يحضر فينقذنى منه فلا ماطل فى الحديث ثم أجابتهُ قائلة

انى عرضت عليك الصلح فأبيت الا الحرب

وقد قالت هذا القول ونظرت الى باب الحديقة فأدرك جان معنى هذه النظرة وقال لها

أنك اذا كنت تنتظرين ليونيل فسيطول انتظارك لأنى دخلت الى هنا بمفتاحه

فسال العرق البارد من جبينها وقالت ألعلك قتلته

— كلا ولكننى أقسم لك أنهُ لا يحضر فلا تعتمدى عليهِ

— والآن ماذا تريد منى

ـ أن تردى سينتيا

ـ من هى سينتيا

ـ لا يفيدك الانكار وانى مستعجل

ـ اذن وضح ما تقول

ـ أنك اختطفت أختى فى هذه الليلة

ـ أنا

ـ نعم أنت وأن المركبة التى حملتها وقفت عند باب منزلك الصيفى

ـ وقد فتشت هذا المنزل

ـ أوجدت فيه أختك

ـ كلا فهى هنا

ـ لا أفهم ما تقول

فقبض جان على عنقها بيديه وقال لها سيان عندى أكنت مخطئًا أم مصيبًا فان موتك لا يستحق الندم

ثم ضغط على عنقها فحاولت أن تجرد خنجرها فلم تستطع فقالت بصوت مختنق كفى كفى ارحمنى

ـ أتعترفين

ـ نعم

فأفلت عنقها وقال تكلمى

فقالت له بلهجة المتوسل أن العفو جميل عند المقدرة وأنا الآن فى

قبضة يدك يا جان وسأخبرك أين هى أختك

ـ اذن أنت تعترفين أنك اختطفتها

ـ لست أنا بل السير روبرت

ـ وأنت شريكته

ـ نعم

ـ أتعلمين أين هى

ـ نعم

ـ قولى

ـ بشرط ان تنقذنى من غضب السير روبرت

فدهش جان وقال لها كيف ذلك

قالت اصغ الىّ فقد كنت مصممة أن أحاربكم جميعكم ولكنى أجد الآن أن ذلك فوق مقدرتي وأعترف اني مغلوبة غير اني أسأت الى نفسى بقصد الاساءة اليك فأخبرت السير روبرت بكل الأمر وقلت له انك نوَرى مثلى وان روجر من النوَر أيضًا فجعلنى آلة لكشف هذه الأسرار فاذا أخبرتك أين هى غضب علىّ وطردني لا محالة

وكانت تتكلم والدموع تسيل من عينيها بحيث خدع جان بدموعها بالرغم عن حذقه واختباره فهاجت فى صدره عوامل المروءة وقال لها انهُ اذا طردك اقمت بيننا وكنت على خير حال

فهزت رأسها وقالت

انك لا تعلم ما القاه من اليأس لهذا التبديل فقد تعودت أن أعيش عيش الترف والنعيم وأن اكون من شريفات الانكليز ولذلك قاومتك وأردت أن اكون زوجة المركيز غير انى ندمت لما بدا منى فلا تقذف بى الى الحضيض . دعنى أعيش مع الذى جعلنى وريثته فلا أقاومك بعد الآن

قال سوف نرى فقولى لى الآن أين هى اختى

ـ انها هنا وأنت لديك كثير من الجواسيس فاجمعهم وتسلقوا الجدران بل هاجموا القصر فانك تجدها ولا يتهمنى السير روبرت انى بحت بسره

ـ أين هى اختى . . . قولى . . . والويل لك اذا ماطلت

فتكلفت هيأة الرعب الشديد وقالت

خير لى أن أعيش شقية مترددة من أن أموت فى العشرين من عمرى وسأرشدك الى المكان المسجونة فيه

ـ اذن سيرى امامى وثقى انك اذا صحت أقل صيحة اغمدت خنجرى بين كتفيك قبل أن تصيحى صيحة ثانية

فقالت بصوت يتهدج بالدموع ان الله عاقبنى بآثامى فلا أعود الى المقاومة وقد مشت الى المغارة ومشى جان فى أثرها على قيد خطوة حتى اذ وصلت الى باب المغارة وقفت وقالت له

انى لا التمس منك غير أمر واحد

ـ ما هو

ـ هو أن تقيد يدى ورجلى حين تنقذ اختك وتضع كمامة فى فمى كى يثق السير روبرت انى ما خنته

ـ انى أعدك بذلك والآن الى أين أنت ذاهبة بي

ـ اعلم أنهُ يوجد تحت هذه المغارة قاعة سرية لا يعلم سرها الا أنا والسير روبرت فخذبيدى ولندخل اليها وهناك نضيئها الديك كبريت شمعي

ـ قال نعم ثم أخذ بيدها ولبث خنجره بيده الأخرى حتى اذا دخلا المغارة أنار جان الكبريت فرأى مغارة متسعة لم يجد فيها بابًا فقال لها أين الغرفة السرية ألعلك هزأت بى

قالت كلا فانظر الى هذا الحجر الكبير فانهُ يحجب بابها فاذا ازحته عن موضعه ظهر لك من تحته لولب صغير تضغط عليه فينكشف الباب ولكنى لا استطيع ازاحة الحجر فهو ضخم كما تراه

قال أنا ازيحه ثم انحنى وجعل يعالج ذلك الحجر الكبير حتى ازاحه وظهر له اللولب كما قالت

فقالت له اضغط عليه بقوة فوضع يده عليـــه وضغط بعنف شديد فوثبت ألن مسرعة الى الوراء وانشقت الأرض حيث كان جان فهوى الى جوف تلك الهوة وصاح صيحة هائلة سمعتها ألن فضحكت ضحك الهازىء وهى تقول

اذا لم يمت من السقطة فسيموت من الجوع

*
* *

أما شمشون فانه انتظر الى أن عاد المسيو روبرت فجاء الى باب الحديقة كى يخبر جان فلم يجده فصفر الصفير الخاص وصبر فلم يأت فمشى الى الزقاق باحثاً عنهُ فلقى ليونيل صريعاً والدم يسيل منهُ فحمله الى أقرب مخفر وعاد الى موقفه فصبر الى أن أشرق الصباح دون أن يحضر جان فقال فى نفسه لا شك انهُ عاد الى المنزل بينما كنت أوصل ليونيل الى المخفر

وقد ذهب الى المنزل فوجد الطبيب بولتون يعالج اليسى فسأل عن جان فقالوا له انه لم يعد فاخبرهم بأمره واشتد قلق الطبيب عليهِ

وفيما هم يتداولون دخل احد الخدم برسالة وقال ان احد الخدم جاء بها وانصرف ففضها شمشون وعرف خط جان قرأها على مسمع من الطبيب واليسى وهى تتضمن جملة واحدة وهى

لا تقلقوا لغيابى فسأغيب عنكم خمسة ايام فقط

وحكاية هذه الرسالة ان ألن حين القت جان فى الهاوية عادت الى الموقف التى كانت فيه على رجاء ان تجد ليونيل فعثرت رجلها بدفتر فالتقطته وهى موقنة انهُ سقط من جيب جان حين كان يحاول خنقها

وعند ذلك ذكرت ما قاله لها جان أن ليونيل لا يحضر وانهُ دخل الى الحديقة بمفتاحه فذهبت الى غرفتها وهى تطمع أن تقف على اسرار جان من هذا الدفتر فلم تجد فيه غير مذكرات لا علاقة لها بالمركيز

ولكنها استفادت من ذلك انها مرنت يدها على خط جان ثم نزعت

ورقة من هذا الدفتر كتبت عليها تلك الجملة مقلدة خطه أتم التقليد وعند الصباح أرسلت تلك الرسالة مع أحد خدمها الى منزل جان كى يطمئن رجاله عليهِ فلا يبحثون عنهُ

وكانت قد لبثت فى غرفتها الى ان جاء السير روبرت فسألها قائلاً ماذا فعلت

قالت لقد قبضت على المركيز وأنت ماذا فعلت

قال انى دعوت الأشراف الثلاثة الذين ذكرتهم لى للغداء عندى غداً ولقيت المركيز روجر فى نادى الحسان ففعلت أيضًا ما أوصيتنى به وجعلت المحادثة تدور على نادى هرمين السرى

قالت ماذا قال المركيز

قال انه انكر وجود مثل هذا النادى فى لندرا ثم قال تأييداً لحجته انه اذا كان هــذا النادى موجوداً كما تدعون فانى أتعهد أن اكون من أعضائه

قالت اذن لقد تم لنا النصر

قالت وأنا قد فعلت كل ما أوصيتنى به فهل تريدين ان تخبرينى الآن بماذا يكون

قالت كلا ولكنى وعدتك ان أبرهن لك على ان المركيز روجر هو ابن النورية سينتيا وستقف غداً على هذا البرهان أنت وأشراف الانكليز

قال ألا يجمل بنا اتقاء هذه الفضيحة

قالت كلا فان روجر لا يتنازل لأخيـه إلاَّ اذا افتضح الأمر لدى جميع الأشراف

***

وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ذهب الطبيب بولتون الى المركيز ليتم عملية ازالة الوشم فأخبره المركيز بأمر هذه الجمعية السرية وبما كان من تعهده بالانتظام فيها وأن غرض هذه الجمعية معاقبة كل شريف يقدم على اعمال منكرة وانهُ ينتظر أن يأتوا اليـهِ فى هذه الليلة فيدخلونه فى سلك هذه الجمعية

فأطرق الطبيب مفكراً وقال أرى انك اندفعت اندفاعًا غير محمود وانك مخطئ فى ذهابك الى هذه الجمعية

قال ربما ولكن لم يبق سبيل الى الرجوع حذراً من ان اتهم بالخوف

وبعد هنيهة خرج الطبيب وهو يقول فى نفسه لقد أشغلت بالى هذه الجمعية ولا شك ان هناك مكيدة تكيدها ألن

أما المركيز فقد جاءه فى ذلك اليوم رسول مقنع من قبل الجمعية واتفق واياه على أن يأتى اليه فى اليوم التالى للذهاب بهِ اليها

وفى اليوم التالى جاءه ذلك الرسول عند انتصاف الليل فخرج واياه وركبا مركبة حتى اذا سارت بهمـا قال له الرجل انى سأعصب عينيك حسب قواعد جمعيتنا فهل تقسم لى أنك لا تنزع العصابة

قال أقسم

فعصب عينيه وسارت بهما المركبة الى ان وقفت فخرج الرجل مع المركيز ودخلا من باب فمشى واياه بضع خطوات ثم قال له لك الآن ان ترفع العصابة

فرفع المركيز العصابة ونظر الى ما حواليه فراى على نور القمر انه فى مقبرة فقال له أهنا تجتمعون

قال ألعلك تخاف الأموات

قال لا أخاف الاموات ولا الأحياء

قال اذن اتبعنى

وسار الاثنان بين القبور حتى وصلا الى ضريح كبير من الرخام ففتح الرجل باب الضريح وقال له الى مغارتك الآن فادخل من هذا الباب تجد سلماً فانزل عليه حتى تبلغ الدرجة الاخيرة فتسير فى رواق صغير تجد فى آخره باباً فتقرعه ثلاث مرات وتذكر اسمك والآن اعطنى حسامك

فأعطاه حسامه ودخل المركيز غير هياب ونزل السلم حتى انتهى الى الباب فقرعه فأجابه صوت من الداخل قائلا من أنت

قال أنا الذى تنتظرونه

قال من أنت

قال أنا المركيز روجر دى اسبرتهون

قال ادخل

ثم فتح الباب واتقدت الانوار عند ذلك فأنارت المكان

***

ولنعد الى سينتيا فانها بعد ساعة ذهب عنها تأثير المخدر وحلت عقدة لسانها فأخرجوها الى القاعة بعد وثوقهم من انصراف جان واقاموا يتناوبون الحراسة عليها

وفى اليوم التالى جاءت ألن فخفق قلب سيتيا ولم تعلم اتثق بهذه الفتاة بعد ما رأته من حبها لولدها أم تحذر منها وقد قال لها أخوها انها عدوتهم اللدودة

اما ألن فانها دنت منها فأخذت يدها بين يديها وقالت

آه لو تعلمين كم يسوءنى أن اراك جازعة وأنت أم روجر الذى لاأحب سواه فى هذا الوجود

قالت انك واهمة فليس لى ولد

قالت انك تحذرين منى وحقك ان تحذرى فى الظاهر لأنهم لا بد ان يكونوا قد احبروك بانى عدوة ولدك والله يسهد انى أحبه

قالت لقد قلت لك انهُ ليس لى ولد ولا علاقة لى بهذا الفتى الذى تذكرينه ولكن لنفترض انى أمه فكيف لا أحذر من امرأة اختطفتنى فى الطريق وعهدت بحراستى الى امرأة سافلة تعذبنى

قالت ومن انبأك أن الذى حدث هنا قد جرى بأمرى بل من انبأك انى لا أتعذب أشد مما تتعذبين ولكنى لا احاول اقناعك فان ذلك محال كما يظهر ولم يبق لى الا أن أقول بأنك حرة

فصاحت سينيتيا صيحة فرح ومشت الى الباب ثم رجعت وقالت لها ولكن لماذا حبستنى يومين ثم أطلقت سراحى اليوم

فأجابتها قائلة اذا أردت أن تعرفى السبب فلا بد من أن تدعينى افترض انك أم روجر . ان روجر يحبنى وأنا أحبه ولكن رجلا تعرفينه حال بيننا وهذا الرجل هو جان دى فرانس فانه يحبنى حباً فاسداً و يتعقبنى منذ ثلاثة أعوام وقد آلى على نفسه اهلاك خصمه إذ بات ألد عدو له فهو يخدعك و يخدع المركيز اسبرتهون و يمثل هذه الرواية الشائنة أقبح تمثيل والآن فاذهبى الى أخيك الذى تحبينه وتآمرى واياه دون أن تعملى على اهلاك ولدك روجر أما أنا فسأقاومكم بجملتكم وحدي لأنى أحبه

انى أحبه اسمعت وسأجد من حبى قوة تعيننى على انقاذه من مخالبكم ولكن اذا كنت تحبين أخاك حقيقة فاجتهدى أن تهديه سواء السبيل

وعند ذلك دخل خادم من خدم المركيز روجر وهو يلهث من التعب فناول مس ألن رسالة وقال لها هذه رسالة من سيدى المركيز

فأخذت الرسالة ولم تلبث ان قرأتها حتى شهقت وسقطت مغمياً عليها بين يدى سينيتيا وأسرعت الهندية اليها فاغتنمت سينيتيا هـذه الفرصة ونظرت الى الرسالة فقرأت فيها ما يأتى

« حبيبتى ألن

انى سقطت فى كمين وسأموت بعد ساعة اذا لم تسرعى الى نجدتى فانى فى قبضة جمعية هرمين السرية »

وعند ذلك فتحت ألن عينيها وقالت هلموا الى انقاذه أنهم سيقتلونه

وصاحت سينيتيا قائلة ولدى ولدى

فقبضت ألن على يدها وقالت لها هلمى . . . اسرعى فان كل دقيقة نفقدها تقرب من الموت

ثم خرجتا راكضتين الى المركبة فصعدنا اليها وأمرت ألن السائق أن ينهب الأرض الى سانت حيل

* * *

والآن لندخل الى نادى تلك الجمعية السرية قبل وصول المركيز روجر اليها ببضع دقائق وذلك فى قاعة مستديرة مفروشة بالحرير وفى وسطها مائدة من البلاط الأبيض عليها نعش مكشوف وبجانبه مطرقة ومسامير وقد وقف رجل بالقرب من تلك المائدة مقنع الوجه مرتدياً بملابس حمراء وهو مستند الى حسام مجرد وكان وقوفه فى أناء كبير مملوء بالنخالة

وأمام هذه المائدة منصة من الخشب كان جالساً عليها اثنا عشر رجلاً يلبسون فرو السمور وعلى وجوههم براقع من الحرير الأبيض وهم جالسون دون حراك كالأصنام

وكان بينهم رجل واقفاً فى الوسط وراء منضدة من البلور وهو يلبس

مثل رفاقه ولكنه كان يمتاز عنهم بعقد من الكهرباء فى عنقه

وكان على تلك المنضدة كثير من الأوراق وقضيب قصير من العاج فقرع المنضدة بالقضيب استرعاء للاسماع وقال

أيها اللوردية انى جمعتكم الليلة للاحتفال بدخول عضو جديد بيننا مشهود ببسالته وآدابه

وقال له أحد الأعضاء لقد علمنا بأمر هذا العضو ولكننا لم نعرف اسمه

قال أنه يدعى المركيز روجر دى اسبرتهون

فقال سواه اذا كان ذلك فلا فائدة من اضاعة الوقت فى امتحان بسالته فانها مشهورة

فقال الرئيس لا أجد بداً قبل أن نخوض فى الحديث من أن أذكركم بغايتنا من تأليف هـذه الجمعية وهى معاقبة كل شريف انكليزى يسىء وكل جرىء يجسر على انتحال ألقاب الأشراف . إذن فأعلموا أنه حدثت جريمة عظيمة من هذا القبيل أبسطها لكم بكلمتين وهى أن جريئًا من طائفة النور تجاسر على انتحال لقب لورد

فظهرت علائم الاشمئزاز على الجميع ومضى الرئيس فى حديثه فقال

انى بينما كنت أعد اليوم دعوة اجتماعكم لادخال المركيز اسبرتهون فى جمعيتنا وردتنى هذه الرسالة التى أتلوها عليكم وهى

« أن نادى هرمين لم يهتم الى الآن إلا بأمور ثانوية مثل كشف حيلة نبيل يحتال فى سباق الخيل كى يجعل السبق لجواده ومثل منع زواج

الشريف من غنية من عامة الشعب طمعاً بمالها الى غير ذلك من الأمور التافهة التى لا تذكر بالقياس الى الجريمة التى بسطتها لكم

وانى أسأل جمعيتكم السرية أى عقاب يستحق من يخدع شعباً بأسره وينتحل لقب سيد عظيم مات وهو فى المهد ويجسر على الجلوس فى مجلس اللوردية »

فضج الأعضاء لما سمعوه وقال لهم الرئيس انى ألقى عليكم هذا السؤال الذى سأله صاحب هذه الرسالة فأى عقاب يستحقه هذا الرجل

فوقف أحد الأعضاء وأجاب قائلاً

يجب أن ينزع عن كرسيه وهو فى مجلس اللوردية وان يجره الكناسون على الطرقات

وقال آخر وأنا اقترح نفيه الى احدى الجزر

وقال سواه أما أنا فأرتأى غير هذا الرأى

فقال الرئيس ماذا ترتأى

قال أن أول شرط من شروط جمعيتنا أن يكون أعضاؤها من النبلاء وان يكون جميع الأعضاء متضامنين فاذا دخل ذئب الى قطيع يقتلونه وكذلك اذا دخل ذئب مزورٌ بين النبلاء فقد وجب عليهم أنفسهم أن يقتلوه وعلى ذلك فاذا ثبتت التهمة على المتهم اقترح أن يموت فارتعش الحاضرون وجعلوا ينظرون الى النعش الموضوع على المائدة والى الجلاد فقال الرئيس

أن البرهان موجود إنما يجب قبل الحكم أن نعرض هذه الجريمة على العضو الجديد أى على المركيز روجر فمتى أبدى رأيه فتحت هذا الكتاب الثانى الذى ورد لى اليوم أيضاً فانه يتضمن اسم هذا المزور وهو موجود بين أعضائنا

فصاح الجميع قائلين هذا محال فاننا نعرف أنفسنا

قال لا تعجبوا فقد أنبأونى بوجود براهين

قالوا إذن ليصدر الحكم فى هذه الجلسة وليتأهب الجلاد لاعدام الجانى

وعند ذلك طرق الباب ثلاث مرات وذكر الطارق اسمه ففتح الباب وكان هذا الداخل المركيز روجر نفسه فوقف ينظر الى تلك الوجوه المقنعة وابتسم حين رأى النعش والجلاد

فسأله الرئيس قائلاً من أنت

قال المركيز دى اسبرتهون وانى قائد فرقة الفرسان

— ماذا تريد

— أريد التشرف بالانتظام فى سلك جمعيتكم

— هل أنت نبيل

— نعم

— ألم تقدم فى حياتك على ما يمس الشرف

— على الاطلاق

— حسناً فأجب الآن على هذا السؤال وهو ما يستحق الرجل الذى

ينتحل لقب سواه و يعبث بأشراف الانكليز

– أن هذا الرجل لا يمكن أن يوجد

– بل هو موجود . وتلا عليه الرسالة فلما أتمها قال له روجر أن هذا الرجل يستحق الموت

قال هو ذاك فان هذا النعش معد له وهذا الجلاد الذى تراه سيقطع رأسه والآن فاسمعوا الرسالة الثانية كى تعلموا اسم هـذا المزور الذى حكمتم عليه

« منذ ثلاثة أيام عرضت امرأة نورية تدعى سينتيا شكواها الى مدير البوليس وادعت أنها بدلت طفلها بطفل ابن لورد انكليزى ذكرت اسمه فأصبح طفلها النورى ابن اللورد وهو اليوم يعد من كبار النبلاء

وهنا أوقف الرئيس التلاوة وسأل روجر قائلاً ألا تزال مصراً أيها المركيز أن هذا المزور يستحق الموت

قال كل الاصرار

فعاد الرئيس الى تلاوة الكتاب وقال

أما هـذا الطفل الذى أبدل بابن اللورد أى ابن سينتيا النورية فهو يدعى اليوم المركيز روجر دى اسبرتهون »

فصاح روجر قائلاً هذا زور و بهتان

وعند ذلك سمع الأعضاء صيحة أخرى وهى صيحة أم ثم فتح باب ودخلت منه امرأة منبوشة الشعر وقد جحظت عيناها فركضت الى روجر فطوقته بذراعيها وقالت للرئيس

رحماك رحماك اشفق على ولدى . ارحم شبابه ولا تحكم عليه بالموت فهو برىء وأنا المجرمة . أتقتلون ولدى . . . ولدى اميرى الذى لا أحب غيره فى الوجود . انظروا اليه ما أجمله

أما روجر فانه أبعدها عنه بعنف وخاطبهم قائلاً

أيها اللوردية أن هذه المرأة اذا كانت قالت الحق وأثبتت انى لست ابن اللورد اسبرتهون أرجوكم أن تنفذوا بى حكم الاعدام فى الحال

ثم مشى الى النعش فركع أمامه وقال لسنيتيا أنت يا من تدعين أنك أمى هات برهانك ان كنت صادقة وأنت أيها الجلاد تأهب

ولكنه قبل أن يتم حديثه سمع ضجيج فى الخارج ثم طرق الباب بعنف وسمعوا صوتاً يقول افتحوا باسم الشرع

فأمر الرئيس بفتح الباب فدخل رجل بملابس البوليس كان يتبعه رجل بالملابس المدنية واثنان بملابس عمال المستشفيات فانحنى البوليس مسلماً وقال لهم أسألكم المعذرة أيها الأسياد لازعاجكم ولكننى ما أتيت إلا بمهمة سلمية ولا أسألكم عن هذا النعش فما أتيت إلا لاساعد الطبيب ملتون وهو طبيب مستشفى المجانين فى بلدام فان مجنونة هربت من المستشفى وجنونها ينحصر فى كونها تدعى أنها أم فخامة اللورد اسبرتهون

فكان لهذا الكلام أشد وقع على الحاضرين ونظرت سينيتيا الى ما حواليها وقد كاد يذهب صوابها ولكنها فهمت كل ما جرى فدنا الطبيب من الرئيس وقال له

انى كنت طبيب اللورد اسبرتهون الخاص حين كان حاكم الهند وقد شهدت ولادة ابنه ورأيته يترعرع حتى بلغ مبالغ الشباب فلما جاءونى بهذه المنكودة وسمعتها تدعى أنها أم المركيز أيقنت من فورى أنها مجنونة وأدخلتها الى المستشفى

ثم التفت الى أحد العاملين وقال احملها يا نيلى

فدنا العامل منها وعرفت سينيتيا أنه شمشون فتكلفت الجنون اثباتاً لقول الطبيب وجعلت تضحك حين حملها شمشون وتقول

يا لورد اسبرتهون خير لك أن تعود من عالم الأموات كى تقنع هؤلاء المجانين أن روجر ولدنا

فلم يبق سبيل للريب بانها مجنونة فلما انصرفوا بها اعتذر الرئيس الى المركيز وقال

لقد ثبتت لنا شجاعتك أيها المركيز واننا نعترف بانك جدير أن تكون منا فقد رضيناك عضواً عاملاً فى جمعيتنا

وعند ذلك أشار الرئيس اشارة فأزيلت البراقع عن الوجوه ودهش روجر دهشاً عظيماً إذ رأى أن جميع هؤلاء الأعضاء أصحابه فى نادى الحسان فقال يخال لى انى حالم

فقال الرئيس لقد كان حلمك يكون كابوساً لو لم يحضر الطبيب ملتون والآن فانى اقترح كتمان هــذه الحادثة وموعد الجلسة القادمة بعد ثلاثة أيام

## القسم الثامن

# غـــرام الاخوين

عادت ألن بعــد خيبتها الى المنزل وهى ناقمة على أولئك الأشراف الذين صدقوا رواية بولتون وأيقنت أن مساعيها لم تخب إلا بمكايد النور ومع ذلك فان جان لم يكن معهم فانه قتيل لا شك فى البئر

وقد خطر لها أن تتفقده فأخذت مصباحاً فعلقته بحبل طويل ونزلت الى الحديقة فدخلت الى المغارة وفتحت باب البئر وأدلت المصباح فرأت جثة خامدة فى الأرض والجرذان من حولها فتراجعت منذعرة لهذا المشهد الفظيع إذ عرفت وشاح جان وأيقنت أنه مات

ثم عادت الى المنزل وهى تقول فى نفسها لقد هلك عدوى الآن ولم يبق لى إلاّ أن أختار بين روجر وليونيل وأجعله مركيزاً فان ذلك منوط بالمحادثة التى ستجرى بينى و بين السير رو برت

و بعد هنيهة دخل السير رو برت وهو مصفر الوجه مضطرب

فقالت له ما هذا الاضطراب

قال أظن أن النوَر قد عبثوا بنا

— كيف ذلك

— انى عائد من نادى الحسان وكنت فيــه لألتقط أخبار الجمعية السرية كما أوصيتنى إذ قلت لى أن النورية ستقول أمام أعضاء تلك

الجمعية أن المركيز روجر ولدها وكنت أتوقع أن الأعضاء يتهامسون حين عودة المركيز ولكن الأمر كان على الضد فقد عاد الأعضاء يصحبهم المركيز وصداقتهم أمتن مما كانت من قبل

- اصغ الىّ يا عماه فسأخبرك بكل ما حدث

ثم أخبرته بكل ما حرى فقال لها إذن أن هذه المرأة مجنونة

- كلا واكن هؤلاء النوَر كانوا أشد منا

- بل انى سأفوز عليهم ولو اضطررت الى أن أقول فى البرلمان أن المركيز روحر مزور

- كيف السبيل الى اقناع البرلمان

- بالعلامة الموشوم بها

- لقد ذهب أثرها تماماً ولم يبق من البراهين الدالة على أصله غير أمه التى أذاع الطبيب بولتون أنها مجنونة وهو قد أبعدها الآن لا محالة

فضرب الأرض برجله مغضباً وقال ولكن لا بد من جلاء الحقيقة

قالت هذا صعب كما يظهر ولا بد لنا من التسليم وتصديق ما صدقه سوانا

- كلا أن ذلك لا يكون

- انى أتزوج ليونيل و يبقى فى عيون الناس ابن ضابط فقير

- كلا كلا وسأقتل ابن النورية

فنظرت اليه نظرة منكرة وقالت ألعلك نسيت انى أحبه

– إذن ماذا تريدين أن تصنعى

– اصغ الىّ جيداً يا عماه أثبت لك انى قادرة على مقاومة هذه الطائفة

– هو ذاك ولكن حرباً كحربنا لا تنتهى بمعركة واحدة

– ألعلك تريدين العود الى المعترك

– دون شك فقد استعملت العنف والعنف ليس سلاح النساء ولذلك وضعت خطة أخرى

– ما هى

– ألم تقل لى أنك سافرت مرة الى الصين

– نعم ولكن أية علاقة للصين بما نحن فيه

– ألم تر الصينيين يبيعون بضائعهم للأوربيين فانهم يبسطون بضائعهم فاذا أراد الأوربى شراء حاجة عد الصينى الثمن على أصابعه فاذا أراد الأوربى المساومة أرجع الصينى بضاعته فلو أمره الأمبراطور أن يبيع ذلك الذى ساومه لأبى وأنا مثل ذلك الصينى

– ماذا تعنين

أعنى انى أستطيع حمل المركيز عن التنازل عن لقبه وثروته لليونيل فلا تسألنى لماذا

– وماذا تريدين منى مقابل ذلك

– أريد أن تسافر غداً للصيد فى جبال ايكوسيا

– انى أوافق على هـذا السفر وأطلق لك الحرية فماذا تصنعين فى غيابى

- أجعل ليونيل لورداً

- إذن سأسافر غداً

فعرضت له جبينها كى يقبلها حسب عادته ولكنه لم يفعل واكتفى بمصافحة يدها فلما ذهب الى غرفته نزع القفاز من يده التى صافحها بها والقاه فى النار ثم تنهد تنهداً طويلاً وقال

أنها فتاة مسترجلة متهتكة ولكنها ستجعل ليونيل لورداً

* * *

ولنعد الآن الى الطبيب بولتون فليست هى الصدفة التى أوقفته على سر ألن وجعلته يضربها هذه الضربة القاضية

ولا بد لنا فى كشف هـذا السر من أن نعود الى الليلة التى القت فيها ألن جان دى فرانس فى البئر فقد كانت واهمة فى اعتقادها أنه مات فانه لم يقتل حين سقوطه بل أصيب برضوض بسيطة لوقوعه على أرض رطبة وجرحت جبهته جرحاً خفيفاً

وقد نهض بعد سقوطه وامتحن أعضاءه بالتمرين فوجد أنها غير مصابة بكسر ولكنه قال فى نفسه لا شك أن هـذه الشيطانة قد انتصرت علىَّ هذه المرة

وقد أقام نحو ربع ساعة دون حراك ثم جعل يفحص الأرض فعلم أنه فى جوف بئر فاستعان بعلبة الكبريت الشمعى وأنار ذلك المكان المظلم فرأى البئر مستديرة وان جدرانها ملساء وهى بعيدة الغور بحيث يستحيل

عليه الخروج منهـا بتسلق الجدران فقال فى نفسه ترى أقضى على أن أموت من الجوع

ثم جعل يفكر فى أمره فقال فى نفسه بعد الامعان لا شك أن هذه البئر غير مخصصة لجمع المياه فانها محفورة فى وسط مغارة ولها باب يفتح بلولب خفى وليس هـذا شأن الآبار العادية فلا بد أن تكون حفرت خصيصاً للالتجاء اليها فى أيام المخاوف والثورات أى أنه لا بد أن يكون فيها منفذ يخرجون منه الى خارج هذا القصر

وكانت أرض البئر ضيقة لا تتجاوز مترين وقد أصبح ترابها وحولاً لشدة الرطوبة فأخذ يرفع تلك الوحول بخنجره و يديه حتى انكشف له بلاط الأرض فرأى حلقة من الحديد فى وسط رخامة فرقص قلبه فرحاً ونزع تلك البلاط فانكشفت له حفرة أخرى رأى على نور الشمعة أن علوها لا يزيد عن مترين فألقى نفسه فيها وراء مدخل دهليز ضيق لا يستطيع المسير فيه واقفاً فسار فيه نحو عشر دقائق فسمع صوت عجلات مركبة فوق رأسه فأيقن أنه باب خارج القصر وانه تحت أحد الشوارع

وما زال يسير فى هذا الدهليز وهو كل ما توغل فى السير شعر بهواء بارد يهب على وجهه حتى بلغ سطح الأرض من منفذ كان مخفياً بين أدغال كثيفة رآها على نور القمر

ولكنه لم يكد يزيح هذه الأدغال حتى رأى مكاناً فسيحاً كثرت فيه

الأشجار والصلبان السود فعلم أنه فى مقبرة وطاف فيها. فوجد أنها مسورة بسور عال لا يمكن تسلقه ونظر فى مكان القمر من الأفق فعلم أن الساعة قد بلغت الثالثة بعد انتصاف الليل وقال فى نفسه سأختبىء وراء هذه القبور الى أن يفتح الحفار باب المقبرة فى الصبح فأخرج منه

وقد اختبأ وراء شجرة كبيرة وهو يبتسم ابتسام الظافر و يتوعد ألن بالانتقام الفظيع

وفيما هو فى مكمنه رأى أن باب المقبرة قد فتح ثم رأى على نور القمر رجلين مقنعين دخلا الى التربة ودنوا من موقفه وهما يتحدثان فسمع أحدهما يقول لرفيقه لقد عزمتم على قبول المركيز دى اسبرتهون بينكم

قال نعم وهل يوجد فى نادى هرمين من يفضله وغداً سيقابله رسولنا و بعد غد نحتفل بادخاله فى الجمعية

وقد سمع جان هذا الحديث ثم رآهما وقفا عند ذلك القبر الذى دخل منه المركيز الى الجمعية كما تقدم بيانه ففتحاه ودخلا

أما جان فقد عرفهما من صوتهما وأيقن أنهما من أعضاء تلك الجمعية السرية التى لم يستطع الاندماج فيهـا لأنه لم يكن من أشراف الانكليز ثم أيقن أن حارس المقبرة متفق مع أعضاء الجمعية بدليل أنهم يدخلون اليها فى ظلام الليل متى شاءوا

وقد مشى الى الباب وكان الخادم يهم باقفاله فأشار اليه جان أن لا يقفله وانحنى الحارس أمامه إذ حسبه من الأعضاء

أما جان فانه نظر الى وجهه الأسمر ثم وضع يده على كتفه وقال له أرنى كتفك الأيسر فانك من النور

فاضطرب الرجل وقال له رحماك يا مولاى لا تفضحنى فان كاهن هذه الكنيسة اذا علم انى من النور طردنى

قال ماذا تدعى

قال ادعى فى لندرا باستر

– وفى المضارب

– رهامر

فنزع جان القناع عن وجهه وقال له أنظر الىّ أتعرفنى

فركع امامه وقال له كيف لا أعرف ملكنا

– إذن لقد وجبت عليك طاعتى فاذهب بى الى مكان يمكن أن نتحدث به دون أن يسمعنا أحد

ثم دله على القبر الذى دخل منه الرجلان فارتعش النورى وقال له ألعلك عارف يا مولاى

قال نعم لقد رأيت رجلين دخلا اليه فمتى يخرجان منه

– انهما لا يخرجان من هنا بل من طريق آخر

– إذن نحن وحدنا الآن

– نعم إذ لا يدخل أحد الى التربة قبل الساعة الثامنة من الصباح والآن فانى مضطر الى حفر قبر

– لمن

– لرجل من العمال توفى فى المساء وسندفنه فى الصباح

– أريد جثته

فنظراليه النورى بملء الانذهال وقال له جان هل تستطيع أن تخبأنى الى المساء

قال نعم فى هذه الغرفة التى نضع فيها الآلات

فقال جان فى نفسه انى سأرسل هذا الحفار الى شمشون عند الصباح كى يطمئن علىّ

ثم تبع الحفار الى تلك الغرفة فتداول واياه مدة طويلة وأطلق سراحه وأقام فى تلك الغرفة ينتظر الليلة التالية بجازع الصبر

وفى الليلة التالية جاءه الحفارفقال له ان الجثة حاضرة يا سيدى فماذا تريد أن تصنع بها

قال انى أريد أن أدفنها فى المكان الذى أعد لدفنى فاحملها واتبعنى

فحملها وعاد جان بها الى تلك البئر التى القته فيها ألن فوضعه فيها وألقى وشاحه فوقها

وبعد ذلك بساعة كان جان عند الطبيب بلتون فقال له الطبيب من أين أتيت

قال من عالم الأرواح وقد بعثت بعد الموت امامك وامام شمشون ولكنى ميت امام جميع الناس

– ماذا تعنى

– اعنى انه يجب أن يعلم الجميع منذ اليوم انى ميت وهذه هى الطريقة الوحيدة لانقاذ روجر من براثن تلك النمرة التى يدعونها ألن

وقد قص عليه كل ما جرى وأقام عنده فوضعا تلك الخطة التى نجحت كل النجاح وقضت على أمال ألن

وعلى ذلك فان انقاذ سنيتيا فى الجمعية السرية وانقاذ روجر انما كان بفضل جان الذى كانت تحسبه ألن من الأموات

***

على أن الاخطار المحدقة بالمركيز روجر لم تقف عند هذا الحد فانه اذا كان نجا من ألن فلا يزال له عدو أشد خطراً منها وهذا العدو انما هو ابن عمه السير جيمس الذى كان يتوهم انه قتل فى أميركا حين ألقى نفسه من شرفة الحصن الى البحر

ويذكر القراء ذلك الرجل الذى جاء الى دابى ناتا الهندية واشترى منها حبة من سبحة اذا أذيبت بكأس من الخمر كانت سماً زعافاً

أما هذا الرجل فانه كان السير جيمس فانه لم يكن يعلم أن ليونيل هو ابن اللورد اسبرتهون الشرعى لاعتقاده انه مات وهو فى المهد فلم يكن له هم غير قتل المركيز روجر لأنه وريثه الوحيد فلما فرغت جعبة مكايده عزم على قتله بالسم

وقد عاد الى لندرا متنكراً فيها باسم رجل من عظماء الاسبان وعلم أن

المركيز مشترك فى نادى الحسان فدخل فيه وبات واحداً من أعضائه وانما فعل ذلك كى يتمكن من دس السم للمركيز بحيلة سوف تظهر

وأما ألن فقد اعتقدت أن الجو خلا لها بعد موت جان وبعد سفر السير روبرت فأخذت تمعن فى أمرها وتقول فى نفسها

ان هؤلاء النوَر قد ورثوا الحقد عن زعيمهم جان فاذا تزوجت روجر لا آمن شرهم وخير لى أن أغتنم فرصة غياب السير روبرت فاتزوج ليونيل ثم أرى رأيى فى فضيحة روجر

وقد قمت من فورها وكتبت الى ليونيل رسالة موجزة قالت له فيها انها تريد أن تراه لشأن خطير فأسرع الى موافاتها وقابلها بملء البرود فجزعت لما رأته وقالت له لماذا تنظر الىّ هذه النظرات يا ليونيل

فأجابها بلهجة الساخر قائلاً

أخاف أن تكونى مع الذى تؤثرينه علىّ وأن اكون نغصت عليك هذا اللقاء

– ليونيل . . ما هذا الذى أسمعه منك ألم تعد تحبنى

– لماذا أحبك وأنت لا تحبيننى

– انك تكذب يا ليونيل فقد انتظرتك فى الحديقة فلم تحضر وفى اليوم التالى علمت انك جرحت فى مبارزة

– نعم انى بارزت الرجل الذى تحبينه والذى دخل الى الحديقة مكانى أى المركيز روجر

– ألعلك جننت أن المركيز لم يأت الى هنا

– لا أثق بشيء مما تقولين

فوقفت وقد تكلفت الغضب وبرقت عيناها فقالت له أخرج من هنا فانك تهينني

وقد قالت له ذلك بلهجة الآمر فطاش صواب ليونيل وخرج خروج القانطين وهو يقول

اني سأقتل المركيز روحر

***

كان المركيز دائم الاضطراب بعد تلك الحادثة التي جرت له في تلك الجمعية السرية فكانت سنيتيا تمثل له بكل مخيل ويسمع صوتها تقول انه ولدي بلهجة لا تخرج إلا من أفواه الأمهات

وكان الطبيب بلتون كتب اليه في اليوم التالي يخبره انه سافر الى ارلندا لشأن عائلي مستعجل فخامر المركيز شك وأراد أن يستجلي الحقيقة فركب مركبته وذهب الى مستشفى المجانين في بلدام وهو يقول في نفسه اني أريد أن أرى هذه المرأة التي تدعى انها أمي

وهناك قابل المدير وقال له هل أستطيع مقابلة الطبيب بلتون أحد أطباء المستشفى

قال انه ليس من أطبائه يا سيدي وليس له به أدنى اتصال

فذهل المركيز وقال له ألا يوجد عندكم امرأة مجنونة تدعى سنيتيا

قال لا اعلم إذ يوجد عندنا تسعمائة امرأة وسأراجع السجل . كم يبلغ عمرها

- نحو الأربعين

- ما هو نوع جنونها

- انها تتوهم كونها أمي

- هذا محال يا مولاى فلو دخلت الى المستشفى امراة تدعى هذه الدعوى على فخامتكم لعلمت بامرها فى الحال ومع ذلك فسأرى

وقد أخذ ينظر فى سجل ضخم بينما كان المركيز يناجي نفسه فيقول ترى ألعل هذه المرأة قالت الحق

وعند ذلك خطرت له بسرعة التصور كل حوادث حياته فذكر الوشم الذى كان على كتفه واهتمام بلتون بازالته ومخاطرة النا باب عثمان بحياته فى سبيل حمايته واحتجاب بلتون بعد تلك الحادثة ونظرات تلك المرأة الحنونة التى كانت تدعى انها أمه وصياحها تلك الصيحة المنكرة حين سمعت الأعضاء يحكمون عليه بالموت فزاد به الشك ولا سيما بعد أن أخبره المدير ان هذه المرأة لم تدخل الى المستشفى وعاد الى منزله وهو فى أشد حالات اليأس وقد خجل من نفسه حتى انه لم يعد يجسر على الذهاب الى النادى وكتب الى نائبه فى قيادة الفرقة أن يتولى عنه شؤونها وبحث بحثاً دقيقاً عن عثمان فلم يجده

فبينما هو جالس فى غرفته فى تلك الليلة دخل اليه خادم ينبئه بقدوم ليونيل فقال له ليدخل

فدخل وعرف المركيز من اصفرار وجهه وتوهج عينيه انه قادم اليه بزى عدو لا بزى صديق

أما ليونيل فانه انحنى امامه وقال له انى قادم لألتمس من فخامتكم اقالتى من الخدمة فى الفرقة

قال لماذا تريد الاستقالة

– لأنى أريد مبارزة قائد أرقى منى فى الفرقة ولا يحق لى مراقبته ما زلت خاضعاً لأمره

فقطب المركيز حاجبيه وقال اذا كان ذلك فقد رضيت استقالتك والآن قل لى من هو هذا الذى تريد مبارزته

– هو أنت أيها المركيز

– أنا

– نعم أنت فانى أريد أن آخذ بثأرى

– تأخذ بثأرك

– نعم ورجائى من فخامتك أن لا تتقنع بذلك القناع الذى أخفيت فيه وجهك حين بارزتنى منذ عشرة أيام وتركتنى شبه ميت على بلاط لندرا

فجعل المركيز ينظر اليه بعين الاندهال ويقول اقسم بشرفى انك فقدت صوابك

قال كلا أيها المركيز فما أنا بمجنون

– أتدعى انى بارزتك ثم تقول انك من العاقلين

— انى لا أعلم بأنك تنكر لتصون سمعة التى بارزتنى من أجلها والآن أرجوك أن تعين موعد مبارزتنا وان ترد لى ذلك المفتاح الذى سلبته منى كما يسلب لصوص الليل

فمد المركيز يده ليقرع الجرس وهو لم يبق شك ان هذا الفتى مجنون

فقبض ليونيل على يده وقال كلا انك لن تقرع الجرس وسترد لى ذلك المفتاح الذى أعطتنى اياه مس ألن

وقد وقعت هذه الكلمة من فؤاد المركيز وقع شرارة فى برميل بارود فدفع ليونيل بعنف وقال له

انك مجنون ونذل لأنك تحاول تدنيس سيدة جديرة بالاحترام كانت تحمى وتشفق عليك

ثم امتشق حسامه واقتدى به ليونيل ولكنهما قبل أن يتقارعا فتح باب الغرفة ودخلت منه امرأة فحالت بينهما وهى تقول كلا انكما لن تتقاتلا

وكانت هذه المرأة اللادى سيسلى فصاح ليونيل قائلا أمى وانحنى المركيز امام هذه المرأة التى لم يكن يعرفها وقال لها شهد الله يا سيدتى انى تجاوزت مع ولدك حد الصبر ولكنه أهاننى كما يهينون المتشردين .

قالت ألا يوجد فى القاعة الكبرى فى هذا القصر صورة اللادى سيسلى زوجة اللورد اسبرتهون الميتة منذ اثنى عشر عاماً

قال نعم

قالت إذن انظر الىّ

فحدق المركيز بها وقال ان الشبه عظيم

فأخذت بيده وذهبت به الى تلك القاعة ووقفت بجانب الصورة وقالت انظر الىّ والى هذه الصورة

قال ماذا أرى ألعلك أمي

قالت لا أعلم اذا كنت أمك ولكنى أعلم انى أدعى اللادى اسبرتهون زوجة أبيك وان هذا الذى تقاتله انما هو ولدى التانى أى ابن أبيك اللورد اسبرتهون

وكان روجر امام التى توهم انها أمه فلما علم أن ليونيل أخوه نهض فمشى اليه وضمه الى صدره وهو يقول اغفر لى يا أخى

ثم عاد الى اللادى وأخذ يقبل يديها فسالت دمعتان من عينيها على جبينه وقالت بصوت يتهدج

لا شك ان السير روبرت خدعنى فانه ولدى

ثم قبلت جبينه قبلة حادة أخص ما يقال فى وصفها انها قبلة أم

***

وفى اليوم التالى ذهب المركيز الى النادى وهو فرح القلب باسم الثغر فتسابق الأعضاء للسلام عليه فانهم لم يروه منذ أسبوع وقال له واحد منهم انك لو أتيت أمس لرأيت عجباً

قال لماذا

قال لأنك كنت رأيت رجلا عجيباً فى أطواره فان إحدى عجائبه

ان له خمسة عشر أسمًا تبتدئ بالدون رودرو بيدرو دانتس الخ وهو من عظماء الاسبان يلبس فى أصبع من أصابعه خاتمين من الماس وغيره من الحجــارة الكريمة ولاشك ان له مناجم ذهب فقد خسر أمس الفين وخمسمائة جنيه وهو يضحك كأنه من الرابحين أو كأنه الناباب عثمان

فارتعش المركيز لذكر عثمان وقال لهم هل لكم أيها السادة أن تخبرونى عما تعلمونه عن الناباب عثمان

فقال أحدهم يقال انه يتنزه فى أراضيه فى ايكوسيا وقال آخر ان هذا الرجل عجيب أيضًا فى أطواره فانه بينما نراه هنا وهو مرتد بملابس الأعيان نراه يتجول فى أقبح أزقة لندرا وهو بملابس البحارة

فأجابه أحدهما قائلا ألعلها حكاية تقصها

قال بل حقيقة رأيتها فقد رأيته فى الليل داخلا الى و بنغ وهو يحدث رجلا من عامة الشعب و يحدثه الرجل دون كلفة كأنهما صديقان

فارتعش المركيز لذكر النورى وأراد أن يغير الحديث فقال لقد كنتم تتحدثون عن هذا الاسبانى فمن أين أتى

فقال واحد منهم انه قادم من أميركا وهو يقول انه لقى ابن عمك السير جيمس فيها

— متى

— منذ ثلاثة أشهر

– هذا محال أيها السادة فان ابن عمى سقط من أعلى الحصن منذ ستة أشهر

– هذا الذى قلناه له ولكنه أثبت مدعاه وفوق ذلك فهذا هو قد حضر وستقف منه على الحقيقة

و بعد هنيهة دخل الاسبانى فعرفوه بالمركيز فقال انى عرفت رجلا من أسرة اسبرتهون كان أسيراً لدى الجنرال جاكسون زعيم الثائرين فى أميركا وهو يدعى السير جيمس

فقال له المركيز متى كان ذلك

قال منذ ثلاثة أشهر تقريباً

قال إذن لقد عرفت رجلا انتحل هذا الاسم فان السير جيمس قد مات

فابتسم الاسبانى وقال تريد انهم حسبوه ميتاً

قال ان من يسقط من علو خمسين متراً و يصاب برصاصتين لا يعود الى التنزه فى أرضنا

قال هو ما تقول ولكن السير جيمس أصيب بجراح وقد التقطه الاميركيون وحملوه على قارب الى معسكر العصاة فشفى و بات أسيرهم ودليل صدقى انه عهد الىَّ بمهمة لدى فخامتكم

– أهى خطية أم شفاهية

– شفاهية وانى ما دخلت الى هـــذا النادى إلا على رجاء فيه فقد

عهد الى السير جيمس ان أخبرك بشأن خطير

قال اذا لم يكن ذلك مما يقال أمام الحاضرين فمبين موعد لاجتماعنا

قال اذا شئت فاقترح عليَّ عند انتصاف الليل أن نلعب بالشطرنج فاننا نختلى فى غرفة ونتحدث

قال هو ذاك وسنجتمع فى الساعة الأولى بعد انتصاف الليل فانى مضطر الى الذهاب الآن فى بعض الشؤون

وقد أقام المركيز ساعة بينهم ثم خرج من النادى فركب مركبته على أن يعود بعد ساعة

***

عند ما دخلت اللادى سيسلى الى الغرفة التى كان المركيز وليونيل يتبارزان فيها لم يكن قدومها من قبيل الصدفة والاتفاق بل كان من تدبير مس ألن فانها حين رأت ليونيل خرج من عندها وهو يتوعد المركيز قالت فى نفسها

أنه ذاهب الآن لمقابلة المركيز وقد دنت النتيجة التى انتظرها فلاسرع باخبار أمه

وكان منزل اللادى بجوار منزلها فخرجت مسرعة من الحديقة وسارت اركضى يا سيدتى الى قصر اسبرتهون ولا تتأخرى لحظة فان ولديك يقتتلان

وقد عرف القراء ما جرى فان اللادى سيسلى وصلت قبل فوات

الأوان ومنعت حدوث المبارزة وكان ما تقدم لنا بيانه من أنها باتت تعتقد أن المركيز ولدها حقيقة فان السير روبرت كان فد قال لها قولاً مبهماً مفاده أن المركيز روجر ابن غير شرعي للورد اسبرتهون ولكنه لم يقل هذا القول بصفة جازمة فلما رأت ما كان من مروؤة المركيز حين قابلها وحين رأى صورتها وقال لها أنك أمى لم تتمالك عن أن تصيح قائلة نعم أنك ولدى

وعند ذلك نسى المركيز ما جرى له فى الجمعية السرية وما كان من صياح سنيتيا حتى أنه نسى تلك الحماية الخفية التى كان يتولاه بها النابا عثمان وعاد الى الاعتقاد بانه ابن اللورد اسبرتهون الحقيقى الشرعى

وقد أقام ساعة بين أمه وأخيه لم يجد أهنأ منها فى حياته فكان يسأل أمه أسئلة مختلفة وهو يعجب كيف أنها أذاعت خبر موتها بحيث اضطرت الى أن تخبره بكل التفاصيل عن حياتها المحزنة وما كانت تلقاه من ظنون زوجها وعنفه وكيف أن أخاه السير جاك وشى بها وشايات سافلة حتى بات يعتقد أن ليونيل ليس ولده بحيث اضطرت أن توهمه أيضاً أن ولده ليونيل قد مات كى تنقذه من غضبه

فقال لها المركيز ولكن أبى قد مات فلماذا لم تأت الىّ بعد موته فتقولى لى أنا هى أمك وهذا هو أخوك

قالت ذلك لأنى كنت أخاف هذه الشرائع الانكليزية الظالمة التى تخص كل شىء بالابن الكبير وتحرم بقية الأولاد فآثرت أن يبقى ليونيل

كما هو على أن يظهر وأثير عوامل التحاسد بينكما

قال أن هذه الشرائع التى تخافينها لا تسرى إلا على الأشراف الذين يريدون أن يلجأوا اليها أما أنا فلا فرق عندى بين الأولاد ولا أميز بين البكر عنهم فى شىء

ثم مد يده الى ليونيل وقال له اننا سنقتسم أرث أبيك يا أخى بالسواء وسألتمس من الملك فى أول مقابلة أن يأذن لنا بالاشتراك

فضمت اللادى روجر الى صدرها وقالت أنك شريف كريم يا بنى

وقد اتفقوا على أن يكتموا هذا الأمر الى أن يعقد مجلس اللوردات أول جلسة

ثم أوصلهما المركيز الى منزلها وقبل أن يفارقهما همس فى أذن ليونيل قائلاً

انى تخليت لك عن مس ألن فأنت الذى تتزوجها وقد تركه وانصرف مسرعًا الى منزله فبكى بكاء أليمًا لهذه التضحية التى ضحاها

وفى اليوم التالى كتب الى مس ألن يقول

« انى مضطر الى مقابلتك اليوم لشأن تتعلق عليه راحتى فى حياتى »

فأجابته مس ألن قائلة

« فى الساعة العاشرة من هذه الليلة فى منزلى الصيفى »

و بعد أن تلقى هذا الجواب ذهب الى النادى وجرت تلك المحادثة التى بسطناها بينه و بين السير جيمس المتنكر بشكل اسبانى ثم برح النادى

فى الساعة التاسعة على أن يعود اليه فى الساعة الأولى بعد انتصاف الليل كى يجتمع بالاسبانى

وقد خرج فى مركبته فذكر ما سمعه فى النادى بشأن النابان عثمان فعاوده الشك وجعل يحدث نفسه فيقول

ترى لماذا هذا الرجل يحمينى وما هذه العلائق السرية التى له مع النور

وقد عاد الى التفكير بالطبيب بولتون و بذلك الوشم الذى محاه عن كتفه و بسنيتيا وعلى الجملة فقد عاوده الشك القديم ولكنه لم يخجل هذه المرة بل قال فى نفسه

اذا ثبت لى انى ابن النورية فانى أسافر سفراً لا أرجع منه واجعل ليونيل وريثى

وما زالت المركبة تسير به حتى وقفت عنـد باب منزل ألن الصيفى فدخل وهو خافق القلب فانه سيضحى أعظم تضحية يضحيها قلب انسان

ولما دخل اليها ضبط نفسه وقال لها

أسألك المعذرة يا سيدتي فقد مضى عشرة أيام دون أن أخبرك بشىء من أمرى

فأطرقت رأسها الى الأرض وقالت واأسفاه لقد فهمت أيها المركيز

فارتعش وقال ماذا فهمت

فأجابته بصوت منخفض متقطع قائلة

لقد فهمت أنك لا تحبنى

قال انك مخطئة فانى آحبك اليوم كما كنت أحبك من قبل . واذا كنت اليوم أضحى هذه التضحية العظمى فلأن رجلا أخلق منى بحبك

وهنا توقف إذ رأى ان ألن تكاد أن تسقط عن كرسيها ثم تجلد وقال لها

أن ليونيل يحبك

قالت انى أعلم

– وانه يحبك حباً لا يوصف

– ولكنى أحبك

– وان لونيل أخى

فتكلفت الاندهال العظيم كأنها لم تكن عارفة بشيء من هذا وقالت له ليونيل أخوك

قال نعم انه ابن اللورد اسبرتهون الأصغر وهو فتى جميل وسيكون غنياً لأنى سأقاسمه ثروتى فلا بد أن تكونى امرأته وسيعقد قرانكما بعد ثلاثة أيام فى كنيسة قصرنا

فصاحت ألن صيحة قنوط وألقت نفسها بين زراعى المركيز كأنها أغمى عليها

وعندذلك فتح الباب ودخلت خادمتها فقال لها المركيز بصوت يتهدج احمليها الى غرفتها وعالجيها حتى تستفيق فان قواى قد تلاشت ولا أستطيع الوقوف امامها

وخرج وهو يشهق بالبكاء ويقول

رباه لقد تمت التضحية فهبنى من لدنك قوة تعيننى على التجلد فان الانتحار حرام

حتى اذا سارت به المركبة استفاقت ألن من اغمائها فأطلقت سراح الخادمة ثم جعلت تبتسم وتقول

أظن الآن ان المهمة قضى معظمها فان السير روبرت حين يعود يجدنى زوجة ليونيل

أما اللادى سيسل فستكون معى لا علىّ لأنها تعتقد الآن ان روجر ولدها وهى لا ترى رأى ولدها من أن النورية لا يجب أن تكون امرأة لورد فلا تعترض فى زواج تتوقف عليه حياة ولدها

ومتى تم عقد الزواج يسهل علىّ اقناع روجر انه ابن سنيتيا وهو من أهل المروءة والكبرياء فلا يرضى بعد ذلك أن يتمتع ساعة للغيب وثروته هما لسواه ويتنازل عن حقه لليونيل فأصبح المركيزة دى اسبرتهون

وفيما هى تناجي نفسها بهذه المطامع أنصتت مصغية إذ خيل لها أنها تسمع وقع خطوات ففتحت النافذة بسرعة وأطلت منها ولكن الظلام كان حالكا فلم تر أحداً فقالت فى نفسها

لا شك ان الذى سمعته كان حفيف الشجر أو صوت مسير قارب فى النهر

وبعد فما هذا الجنون ومما أخاف اذا كان جان دى فرانس قد مات

## القسم التاسع

# الاعتراف

عاد المركيز روجر الى نادى الحسان فوجد الاسبانى ينتظره فاتفقا على اللعب بالشطرنج وتراهن أعضاء النادى واقترح الاسبانى أن لا يحضر لعبهما أحد ثم دخل مع المركيز الى غرفة فأقفلا بابها وجلسا بجوار نافذة مقفلة تطل على مشرف يشبه الرواق

وقد وضعا الشطرنج بينهما على مائدة وقال له الاسبانى

لقد تعودت ان أشرب كأساً من الخمر خلال اللعب فهل توافقنى على ذلك

قال دون شك وملأ كأسين من زجاجة امامهما فشرب كل منهما نصف كأسه و بدأ اللعب

وكان الاسبانى متختماً بخاتم من الياقوت بخنصر يده اليمنى

فبينما هو ينقل رقاع الشطرنج سقط خاتمه الى الجهة التى كان فيها المركيز فانحنى المركيز ليلتقطه واغتنم الاسبانى هذه الفرصة فألقى في كأس خصمه حبة سوداء لم تلبث ان امتزجت بالخمر حتى ذابت فيها

ثم أخذ الخاتم شاكراً فقال له المركيز أتعلم لماذا رضيت ان ألاعبك بالشطرنج

قال دون شك فاننا سنتحادث بشأن السير جيمس ابن عمك فاعلم ان الاميركيين أنقذوه

قال لقد أخبرتنى بذلك

– وانى لقيته حين كنت بمعسكر الجنرال جاكسون فتعرفت به وعهد الىّ بمهمة لديك

– ما هى هذه المهمة

– انه يريد أن يعود الى انكلترا

– انها جرأة نادرة من هذا الأفعى

– ولكنه نادم أشد الندامة لاساءته اليك

– وأنا آسف لأنى لم أقتله كما يقتلون الذئاب

فهم ان يجيبه وعند ذلك فتحت النافذة فجأة وهب هواء شديد أطفأ المصباح فقام الاسبانى لينير المصباح من المستوقد ونهض المركيز يحاول اقفال النافذة فلم ينتبه أحد منهما الى يد مدت من تلك النافذة فأبدلت موضعى الكأسين بحيث وضعت كأس المركيز امام الاسبانى وكأس الاسبانى امام المركيز

ثم أضيء المصباح وأقفلت النافذة وعادا الى الحديث فقال المركيز لقد قلت لى ان السير جيمس ندم على ذنوبه وانه يريد العودة الى وطنه

قال نعم وانى اكفل صدق توبته وندمه

قال لا أشير عليك أن تكفل شيئاً فانه اذا عاد الى لندرا حاكمته فحكم عليه بالاعدام وانى أشرب الآن نخب هذه الساعة

ثم أخذ كأسه وشرب ما فيه جرعة واحدة واقتدى به الاسبانى فشرب كل كأسه جرعة واحدة وعادا الى اللعب

وكان الاسبانى ماهراً فى الشطرنج فغلب المركيز وقام المركيز ففتح باب الغرفة وقال للذين راهنوا معه يسوءنى أن أخبركم بأنكم خسرتم معى

فدفع الخاسرون وقبض الرابحون وأعجب الحاضرون بمهارة الاسبانى

وعند ذلك دخل عضو جديد الى النادى فقال واحد من الحضور هو ذا النابابب عثمان عاد الينا بعد الهجر الطويل فحياهم عثمان وقال لهم لقد علمت انه جرت مراهنة عظيمة فى الشطرنج

فأشاروا الى الاسبانى وقالوا نعم هذا هو الرابح

فقال عثمان أحق ما تقولون أهو الدون بيدرو فقال له الاسبانى أتعرف اسمى

قال لا يوجد فى لندرا من لا يعرفك فهل تريد أن تشرفنى بملاعبتى بالشطرنج

وكان الاسبانى يود الانصراف وهو ينظر من حين الى حين نظرة الفاحص الى المركيز فأجاب عثمان قائلاً لقد فات الأوان يا سيل فاننا فى ساعة متأخرة من الليل

فقال له عثمان ان من كان من سلالة فرنند كورتس لا يخاف ملاعبة هندى مسكين مثلى

فقال الجميع نعم هذا محال فان الدون بيدرو من أعظم اللاعبين وقد ألحوا عليه بالقبول فلم يجد بداً من الامتثال وقال لعثمان انى رهين أمرك يا سيدى

فقال عثمان انك لاعبت خصمك منذ هنيهة دون شهود قال هوذاك

قال أما أنا فأوثر أن يكون لكل منا شاهد فاختر شاهدك من بين الحضور

فاختار الاسبانى الصراف مكسويل وهو الذى أدخله الى النادى واختار عثمان المركيز روجر فتراهن الحاضرون ودخل الأربعة الى قاعة اللعب فقال الاسبانى فى نفسه .

يخال لى ان هذا النورى الذى خيب كل آمالى قد عرفنى وقد شعر بدوار خفيف حمله على محمل الاضطراب من مقابلة جان

أما جان فانه أقفل الباب بالمفتاح من الداخل وجلس فى المكان الذى كان المركيز جالساً فيه و بدأ اللعب

فقال جان مخاطباً الصراف انه اذا رضى الدون بيدرو ان يلاعبنى كل ليلة فلا يمضى زمن وجيز حتى ينفذ ماله فى مصرفكم من المال

فابتسم الاسبانى وقال سوف نرى

فقال جان ولكن الوقت لا يتسع له لسوء الحظ

فاضطرب الاسبانى وقال كيف ذلك

قال ذلك ان المرء لا يعلم كم يفسح الله فى أجله وفوق ذلك فقد درست شيئاً من الطب

فاشتد اضطرابه وقال أتعنى انى مريض

– بل أعنى انك فى أشد حالات الخطر من مرضك

– وأنا أرى انك تلاعبنى على الطريقة الهندية

– كيف ذلك

– ذلك انك تحاول اخافتى

– كلا فانى أراهن انك تشعر الآن بحرارة شديدة فى صدرك لا تعلم أسبابها

– لنلعب يا سيدى

– كما تريد ولكنى أخاف أن لا تستطيع اتمام اللعب فقد بدأ وجهك يصفر وهذا الاصفرار من تأثير الخمر التى شربتها فهل هى جيدة

– انها من أفضل الخمر

– أتحسبها جيدة بالرغم عن تلك الحبة السوداء التى وضعتها فى الكأس

– أرى انك تشبه المجانين

– ما أنا المجنون بل أنت فانك غلطت فى الكأس أيها السيد العزيز

ولم يكد جان يتم حملته حتى صاح الاسبانى صيحة ألم فاصفرت شفتاه وحاول أن ينهض فمنعه جان عن النهوض وقال أبق فى مكانك فان الموت على هذا الكرسى خير لك من الموت فى الطريق

فصعق الاسبانى وجعل ينظر الى جان نظرة المأخوذ والصراف والمركيز ينظران الى الاثنين منذهلين وهما لا يفهمان شيئاً من هذا الحديث

وعند ذلك التفت جان الى المركيز وقال له اعلم يا سيدى ان هذا الرجل الذى تراه أراد تسميمك وهو يلاعبك فوضع فى كأسك سماً هندياً يقتل شاربه بساعة

قال ماذا تقول

قال أقول الحق فانظر الى هذا الاسبانى الكاذب كيف ان أعضاءه تتشنج من الألم ولكن أتفق لحسن الحظ انه بينما كان ينير المصباح الذى أطفأه هواء النافذة مدت يد من وراء تلك النافذة فوضعت كأسك موضع كأسه بحيث شرب الدون بيدرو كأسك المسمومة

فاصفر وجه روجر وقد رأى تأثير السم بدأ على وجه الاسبانى فقال ولكن أية فائدة لهذا الرجل من قتلى وأنا لا أعرفه ولم أسىء اليه

فلم يجبه جان بل التفت الى الصراف وقال له ان المال المودع فى مصارفكم باسم الدون بيدرو قد دفعتموه لهذا الرجل أليس كذلك

قال نعم

قال إذن فاعلم ان الدون بيدرو قتل منذ شهرين وان الذى قتله وانتحل اسمه انما هو هذا الرجل

فحاول الاسبانى أن ينهض ولكنه لم يستطع إذ كان قد دخل فى دور النزع فدنا جان منه فنزع الشعر المستعار عن رأسه ولحيته وقال للصراف أنظر

فبهت الصراف وصاح المركيز قائلاً السير جيمس

فقال له جان ان الموت قدمر بك أيضاً أيها المركيز

ثم فتح تلك النافذة التى مر منها الهواء فاطفأ المصباح ونادى قائلاً تعال يا ويلس

فدخل من النافذة ويلس خادم السير جيمس ودنا من سيده وهو يحتضر فقال له بملء البساطة

يسوءنى يا سيدى أن أراك تموت ولكن الخمسمائة جنيه التى قبضتها من هذا الهندى الكريم أفضل منك فانها تضمن لى العيش بسلام ولذلك بحت له بسرك

غير أن السير جيمس لم يفقه كلمة من حديثه فقد كان يحتضر وبعد هنيهة فاضت روحه وسقط الى الأرض فانحنى جان امام الصراف والمركيز وحاول الانصراف فقبض المركيز على ذراعه وقال له أما هى يدك التى غيرت موضع الكاسين

قال ربما

— إذن لقد أنقذتنى أيضاً من الموت

فانحنى جان ولم يجب فقال له المركيز أنك ستجيبنى اذن على أسئلتى

قال كلا

— أريد أن أعلم على الأقل لمن أنا مدين بهذه الحماية السرية انى أريد أفهمت

— واذا أبيت أن أقول

— انى أعرف عند ذلك كيف اكرهك على التصريح

فابتسم جان ابتسام المطمئن وقال له

لقد كان ابن عمك السير جيمس يزاحمنى فى امرأة أهواها وقد اختطفها منى فانتقمت منه بانقاذك

ثم أفلت منه وخرج من النافذة مقتفياً أثر الخادم فتوارى فى الظلمات

أما روجر فانه وضع يده على جبينه وقال أنه كذب نعم أنه كاذب فى ما قال

***

قبل ذلك بساعة كانت مس ألن قد استفاقت من اغمائها الكاذب فجعلت تبتسم هازئة بمروءة المركيز الذى ضحى نفسه من أجل أخيه وقد سمعت وقع خطوات كما تقدم ففتحت النافذة وأطلت منها فلم ترى ما يحمل على الريبة فعادت وهى تلوم نفسها وتقول

ترى ممن أخاف وقد مات جان دى فرانس

ولكنها لم تكد تتم جملتها حتى فتح الباب فذعرت ذعراً عظيما إذ رأت شمشون يصحبه نورى آخر وسينيتيا أخت جان وحاولت أن تأخذ غدارة معلقة بالجدار ولكن شمشون كان أسرع اليها منها الى الغدارة فقبض عليها وكم النورى الآخر فمها وأوثقت سينيتيا يديها فحملها شمشون وخرج الجميع بها وهى شبه مغمى عليها لاضطرابها لا تدرى الى أين يذهبون بها

وأما ليونيل فقد كان تأثره شديداً من مروءة أخيه حين قال له أنك

تحب مس ألن وستتزوجها وكان سروره عظيما حين عرف حقيقة نسبه وأيقن أنه من عظماء الاشراف

وفى اليوم التالى ذهب الى أخيه فلم يجده ولكنه كان قد ترك له رسالة يقول له فيها انى مهتم بتحقيق سعادتك فلا تجزع وكن من الصابرين

وقد عاد فى الليل الى أخيه فلم يجـده وفى صباح اليوم التالى ضاق صدره ولم يعد يطيق الصبر فذهب الى منزل السير روبرت فطرق الباب وجاءه خادم فقال له سل مس ألن اذا كانت تريد أن تقابلنى

فقال له الخادم أنها لو كانت هنا يا سيدى لما كانت استفاقت الآن

– ماذا تقول أما هى هنا

– كلا ياسيدى

– إذن أين هى

– لقد وردت اليها رسالة مساء أمس فركبت مركبة وذهبت بها

– من أين أتت هذه الرسالة

– لا أدرى ولكن الذى جاء بها كان أحد خدم المركيزدي اسبرتهون

فقطب ليونيل حاجبيه وقال الى أين ذهبت

– أظن أنها ذهبت الى منزلها الصيفى

فاضطرب ليونيل حتى أنه لم يعـد يدرى ما يصنع وقبض على ذراع الخادم فقال له أنك ستذهب بى الى هذا المنزل فانى لا أعرف مكانه

فلم يسع الخادم مخالفته اذ كان يعلم أن له منزلة سامية عند السير

روبرت وذهب واياه الى ذلك المنزل فأخبرته الخادمة أن رجلين وامرأة قد اختطفوها فى الليل فهاج ليونيل هياج المجانين إذ أيقن أن أخاه قد اختطفها بدليل الرسالة التى أرسلها اليها وعاد مسرعًا الى أخيه فقال له وهو يتوهج من الغضب

أنك خدعتنى شر خداع

فتراجع المركيز منذهلاً وقال له ليونيل نعم أنك اختطفت مس ألن لتجعلها خليلتك

فصاح المركيز وقد بلغ منه الانذهال أشده قائلاً مس ألن . . . . هل اختطفوا مس ألن

قال أنك تعلم من ذلك فوق ما أعلم فأنت الذى . . .

فقبض المركيز على ذراعه وقال له أنك تتكلم من غير عقل وأنا أمنعك عن أن تتهمنى هذه التهمات الشائنة

وكانت لهجة المركيز تدل دلالة واضحة على صدقه فقال له ولكن من الذى اختطفها

قال أوضح لى أيها المنكود ما جرى بدلاً من أن تتهمنى

قل . . . ماذا جرى

قال جرى أنهم فى الليلة الماضية اختطفوا مس ألن من منزلها الصيفى

— من الذى اختطفها

— رجلان وأمرأة وسمعت الخادمة ذينك الرجلين يدعوان المرأة باسم سينيتيا

فارتعش المركيز حين سماعه هذا الاسم وقال لأخيه اذهب فسأجدها

وكان الخادم الذى دل ليونيل على منزل ألن الصيفى قد دخل معه الى غرفة المركيز فارتعش أيضاً حين سمع اسم سينيتيا وقال اذا كانت هى تلك المرأة التى عرفتها فانى أعرف أين توجد

- أتعرف أين هى سينيتيا

- نعم بشرط أن تكون تلك النورية التى عرفتها

فلبس المركيز قبعته وتقلد حسامه وحاول ليونيل أن يتبعه فأوقفه وقال له

انى أقسم لك يا أخى بتذكار أبينا انى رجعت عن حب مس ألن ولم أعد أحبها إلا كأخت وسأفرغ كل مجهودي لتكون امرأتك

قال لقد وثقت بك فدعنى أذهب معك

قال انى لا أجدها إلا اذا كنت وحدى فثق بى وانى أتوسل اليك أن لا تتبعنى

فتردد ليونيل وقال له المركيز استحلفك بالله أن لا تتبعنى فأطرق برأسه وقال ليكن ما تريد

وسار المركيز يصحبه الخادم وكان يسير مستعجلاً والخادم فى أثره لا ينبس بحرف حتى اذا وصلا الى زقاق ضيق كثرت فيه الوحول قال الخادم يخال لى أن الليلة التى اختطفنا فيها سينيتيا

فقاطعه المركيز قائلاً أأنت اختطفتها

فاحمر وجه الخادم ولم يجب فقال له المركيز بلهجة المتوعد : — قل

قال انى اخاف يا مولاى أن تطردنى مس ألن اذا تكلمت

- لا خوف عليك فانى استخدمك

- اذا كان ذلك فاعلم يا مولاى انى اختطفت سينيتيا النورية بمشاركة زميلى نوح وامرأة هندية تبيع السموم

- متى

- منذ ثلاثة عشر يوماً . قد اختطفناها بينما كانت تسير فى هذا الزقاق

- لماذا اختطفتموها

- لا أعلم فقد كان ذلك بأمر السير روبرت ومس ألن

- مس ألن . . . أهى التى أمرتكم باختطافها

- نعم يا مولاى

- الى أين ذهبتم بها

- الى منزل السير روبرت الصيفى وحين قبضنا عليها كانت خارجة من منزل الطبيب بولتون

فقال المركيز فى نفسه . بولتون . . . مس ألن . ما هذه الأسرار ثم قال للخادم

امض فى حديثك واخبرنى بكل ما تعلم

قال اننا حبسنا سينيتيا فى منزل مس ألن مدة يومين وفى المساء جاءت مس ألن وقالت لها تعالى فان حياة ابنك فى خطر

فجعل العرق يسيل من جبين المركيز وقال له هل تبعتها قال نعم فقد ركبت واياها مركبة ولم أدر الى أين ذهبنا فان زميلى نوح كان يقود المركبة .

– والآن كيف ترجو أن تجد سينيتيا

– لظنى انها عادت الى منزلها

– هذا المنزل

– يجب أن يكون هنا فى زاوية هذا الزقاق . نعم لقد عرفته فهذا فهو وقد سار به حتى أوصله الى المنزل فقال له المركيز اذهب الآن فلم يعد لى بك شأن

ثم طرق الباب ففتحت له فتاة حسناء تبلغ السادسة عشرة من العمر فحياها المركيز وسألها قائلا هل سينيتيا هنا

فنظرت الفتاة نظرة حذر الى الشارع وأجابته قائلة انك واهم ياسيدى فلست أعرف سينيتيا

وكان المركيز قد رأى ما كان من حذرها فقال لها وهو يبتسم لا تخافى يا ابنتى فانى صديق وان عثمان أرسلنى

ففتحت الباب وقالت ادخل يا سيدى فان سينيتيا فى الغرفة العليا مع أختى

قل يجب أن أقابلها وحدها

قالت إذن تفضل بالانتظار الى أن أخبرها

و بعد هنيهة جاءته سينيتيا فخفق قلبها حين رأت ولدها و بادرها المركيز بقوله هل أنت التى تدعين سينيتيا

قالت نعم

قال أأنت التى تقولين انك أمى

فاصفر وجهها ولكنها تمكنت من ضبط نفسها فقالت له التمس من فخامتك معذرتى إذ يظهر انى كنت مجنونة فقد كنت فى الطريق حين رأيتك عائداً من أميركا فذكرت حين رأيتك ولداً فقدته كان يشبهك أتم الشبه فاشتد بى الحزن حتى أصبت بذلك الجنون

وكانت تكلمه بلهجة المتوسل و يرى المركيز من اضطرابها ان عوامل خفية تتنازع فى قلبها فقال لها

اقسمى لى بالهك و بأرواح آبائك انك تقولين الحق وانك لست أمى

فتراجعت منذعرة كأنها رأت هوة قد فتحت امامها فقال لها اقسمى

فرفعت يدها الى السماء وفتحت فمها كى تقسم ولكن يدها سقطت على ركبتها وأطبق فمها دون أن تستطيع الكلام

فصاح روجر قائلاً نعم انك أمى . أتنكرينني وأنا ولدك

فنسيت المنكودة عند ذلك ايمانها ونسيت عهودها لأخيها ولم تعد تذكر غير أمر واحد وهو ان هذا الفتى الجميل الذى يملأ العين قرة وهذا القائد الباسل الذى لا يتحدثون الا ببسالته انما هو ثمرة احشائها فصاحت صيحة حب لا تدركها غير الأمهات وألقت نفسها بين يديه وهى تقول ولدي ولدى

***

ولنعد الآن الى مس آلن فانهم بعد أن قيدوها وكموها خرجوا بها الى قارب كان راسياً عند الشاطىء فمخر فى المياه الى سفينة كبيرة وهناك أصعدوا الأسيرة اليها ونزعوا الكمامة عن فمها فقالت لها سينيتيا

لقد دنت ساعة عذابك يا مس ألن وأنت التى ستتولين الحكم على نفسك

قالت أن هذا الكلام مبهم لا أفهمه

قالت سوف تفهمينه فانك أنت هنا الآن فى سفينة ستسافر بعد غد صباحاً فاختارى بين أن تسافرى فيها و بين أن تعودى الى لندرا

قالت انى لا أجد الاختيار صعباً

– أتحسبين

– دون شك فانى لا أريد السفر الآن

– أنك اذا بقيت فى هذه السفينة تسافر بك الى اميركا وهناك يضمنون لك عيشاً رخياً شريفاً

فأجابتها بلهجة الساخر قائلة هذا هو اقتراحك الأول قد عرفناه فلننظر فى اقتراحك الثانى

قالت واذا أبيت أن تسافرى نعود بك الى لندرا

– و بعد ذلك

– يجاكمونك أمام محكمتنا الخاصة و ينفذ فيك العقاب الذى يحكمون به فتمعنى

- لا حاجة الى التمعن

- اذن تسافرين

- كلا

- أتؤثرين المحاكمة

- والعقاب

فتنهدت سينيتيا وأشارت الى ربان السفينة فدنا من ألن وقال لها أنك أسيرتى أيتها السيدة الى مساء غد فتفضلى واتبعينى

قالت سر اتبعك . ثم قالت فى نفسها انى لا أعدم وسيلة لالقاء نفسى فى النهر فانى أجيد السباحة

وقد سجنوها فىغرفة لا نافذة فيها الى البحر فلم تيأس وقالت سنرى فى الغد ما يكون

ونامت ليلتها وعند الصباح دخل اليها غلام بحرى بالطعام فطمعت باغوائه لما رأته من ظواهر بساطته وقالت له

هل تريد أن تكون من الأغنياء

فابتسم وقال دون شك فماذا يجب أن أصنع

قالت لا شيء سوى أن تساعدنى على الخروج من هذه السفينة

فضحك الغلام وقال أن الربان تشنقنى فى صارى السفينة بالسلام عليك أيتها اللادى

ثم وضع صينية الطعام أمامها وخرج فأقفل الباب فلم تجزع ولم تقنط

وكان مثلها مثل المريض لا يزال يرجو الشفاء و يعـد معدات المستقبل ولو رأى الموت ماثلاً لدى عينيه ولذلك فانهـا أكلت بملء الشهية ثم وجدت كتاباً فى تلك الغرفة فجعلت تتلهى بالقراءة فيه كأنها آمنة مطمئنة فى منزلها

ولبثت على ذلك الى أن حان وقت العشاء فجاءها البحار بالطعام ولكنه لم يكن وحده هذه المرة فارتعشت ألن حين رأته وقالت له لاشك أنك قادم الىّ بنبأ جديد فأجابها بلهجة الحزين قائلاً انى قادم لأرى رأيك الأخير فقد كنت عازماً على الرحيل صباح غد ولكنى وجدت الرياح موافقة للسفر وستقلع السفينة بعد نصف ساعة

فاصفر وجهها وقالت أنك ستنزلنى الى البر فيما أظن

قال ذلك منوط بك فقد تركوا لك الخيار

قالت وأنا اخترت البقاء فى لندرا

— أنك مخطئة فانى نورى مثل تمشون وجان دى فرانس الذى قتلته ومثلك . أريد انى عارف بتاريخك فانك عدوتنا اللدودة ولكن مجلس طائفتنا أشفق على شبابك فاذا شئت ذهبت بك الى الانتيل أو الى لويزيانا

— كلا كلا لا أريد الذهاب

— يظهر أنك لا تعلمين ما ستلاقينه من العقاب اذا بقيت

— بل انى عالمة فان النوَر يريدون حبسى فى أحد السجون المظلمة

— ربما

- ولكن يوجد رجلان يحبانني وكلاهما غني باسل وسيعرفان كيف يخرجانني من سجني

فهز الربان رأسه وقال إذن لا تريدين السفر

- كلا

- لم يبق لك غير ربع ساعة للتمعن فان رجالنا قادمون الى السفينة

- ليعودوا بي الى لندرا أليس كذلك

- أظن

- إذن سأستفيد من هذه المهلة لأتعشى

فخرج الربان وهو يقول في نفسه انى لم أجد أجرأ من هـذه الفتاة وجلست وهي تأكل وتقول

أن روجر وليونيل يبحثان عني وجان دي فرانس قد مات فلا أقنط ولو أجلسوني على النطع

وبعد أن فرغت من طعامها عاد اليها الربان فقال لها ماذا ارتأيت فقد دنا وقت السفر

قالت لم أرجع عن عزمي واني أدعو لك بالسفر السعيد

قال أنك مخطئة يا توبسي فاعلمي اني لك من الناصحين

فألقت وشاحها على كتفيها وقالت لقد حضر الجلادون دون شك فسر بي اليهم

فاصعدها الربان من جوف العنبر الى سطح السفينة

فرأت رجلين بملابس السواد وهما مقنعان فضحكت ضحك الساخر

وقالت أية فائدة من التقنع ألعلى لا أعرفكم فأين القارب هلموا بنا اليه

فدنا منها الربان وقال لها انى أتوسل اليك يا توبسى أن تسافرى فذلك خير لك

قالت كلا فانى أريد العودة الى لندرا

فتنهد وقال لقد فعلت ما علىّ فليفعل الله ما يشاء

وعند ذلك عصبوا عينيها وأنزلوها الى القارب فساروا بها نحو نصف ساعة ثم نزعوا العصابة عن عينيها ونظرت الى البر فلم تجد أثر المنازل ولكنها رأت على الشاطىء رجلا يمسك أعنة أربعة جياد فقالت فى نفسها يظهر اننا سنركب الجياد فالى أين يريدون أن يذهبوا بى

وقد أخرجوها من القارب الى الشاطىء حيث كانت الجياد فناداه أحد الرجال المقنعين وقال له هل لك ما تقوله لى

قال نعم فسنجد اخوانا لنا فى الطريق

فاضطربت ألن وقالت ألا نعود الى لندرا

قال اننا ثلاثة رجال سنصحبك وقد تلقينا الأمر بقتلك اذا حاولت الفرار وقد كان بوسعنا أن نقيدك فوق ظهر الجواد ونربطك الى السرج كالأكياس ولكننا نؤثر أن تركبى مثلنا فاركبى

فلم تجد بداً من الامتثال فركبت الجواد وركب الثلاثة يخفرونها فلم يسيروا بضع خطوات حتى يأست ألن من الفرار إذ وجدت جوادها يشبه البغال

وبعد ساعة من سيرهم وصلوا الى غابة وهناك صفر أحد الثلاثة فأجيب

بصفير مثله ثم أقبل ثلاثة فرسان من الغابة فانضموا اليهم واستأنفوا السير فساروا ساعة ثم التقوا بثلاثة فرسان آخرين فانضموا اليهم وكانوا كل ما التقوا بكوكبة من أولئك الفرسان يتبادلون أقوالاً مبهمة لم تكن ألن تفهم شيئاً من معانيها فاشتد خوفها على بسالتها حتى أنها ندمت لمغادرتها السفينة

وما زالوا يسيرون الى أن صاح الذى كان يتقدمهم قائلاً قفوا وترجلوا عن الجياد ودنا اثنان من ألن فأمسك كل منهما باحدى يديها فسارا بها فى زقاق ضيق والرفاق فى أثرهم ربع ساعة حتى انتهوا الى مكان رأوا فيه نوراً يضىء فقال زعيمهم لقد دخلنا

فوجف قلب ألن وقالت هنا

قال نعم فاننا فقراء كما تعلمين وليس لنا قصور نجعل فيها محاكمنا

فاشتد رعبها وقالت محكمة

قال دون شك أتحسبين اننا نعاقبك دون محاكمة ثم جرها بعنف الى مكان ذلك النور فرأت ناراً مشبوبة عند باب مغارة ودخلوا بها الى هذه المغارة فرأت كثيراً من الرجال متربعين على الأرض وكلهم مقنعين ثم رأت رجلاً وقف وقال لقد تكامل عددنا الآن

فارتعدت ألن حين سمعت هذا الصوت كأنها عرفته واستأنف الرجل حديثه فقال مخاطباً الفتاة

أن صبر الذين خنتهم يا مس ألن قد نفد وانتزعت الرحمة من قلوبهم ومع ذلك فقد عرضنا عليك الحرية ولو رضيت أن تسافرى الى اميركا لأعطيناك ثروة ولكنك لم تقبلى

فصاحت بصوت ملؤه اليأس قائلة رباه أنشر من فى القبور

وعند ذلك كشف الرجل قناعه وسقطت ألن على ركبتيها إذ رأت جان دى فرانس فقال لها

لا حاجة الى تعداد جرائمك يا توبسى فانك تعرفينها وقد أتت ساعة عقابك فاننا اخترنا أربعة وعشرين رجلاً منا لمحاكمتك وسينفذ حكمهم لا محالة فلا تطمعى بالعفو

ثم نظر الى أعضاء المحكمة وسأل رجلا كان واقفاً على يمينه فقال أى عقاب تستحقه هذه المرأة

فأجابه الرجل دون تردد قائلاً

أنها تستحق الموت

فصاحت ألن قائلة أأموت وأنا فى العشرين من عمرى

فقال لها جان أترضين أن نشوه وجهك وتعيشين

قالت كلا فاقتلونى . . . اقتلونى

وعند ذلك سمع صوت عند باب المغارة يقول بلهجة ملؤها السيادة

بل أنك تعيشين و يبقى جمالك عقاباً لك

فالتفت الجميع الى هذا الرجل فلم يعرفوه إذ كان مقنعاً وصاح جان قائلاً ألعلهم خانونا فمن هذا الرجل

فمشى الرجل اليه فوضع يده على كتفه وقال له بصوت منخفض انى أدعى اميرى ويحق لى أن أحكم عليكم فانى ملككم

ثم كشف قناعه ورده الى وجهه مسرعاً بحيث لم يره غير جان فانحنى

أمامه بملء الاحترام وقال مر أطع فقال له مر رجالك أن يبتعدوا

قال كلهم

قال ما خلاك وهذا الرجل الضخم مشيراً الى شمشون

فنظر جان اليهم وقال لهم أيهـا الاخوان أن أميرنا الأكبر يأمركم أن تخرجوا

فخرج الجميع ممتثلين ولم يبق فى المغارة غير جان وشمشون وألن وهذا الرجل

وعند ذلك كشف الرجل قناعه فصاحت ألن قائلة روجر

وقال شمشون المركيز دى اسبرتهون

فقال المركيز كلا بل اميرى النوَرى ابن سينيتيا وزعيم الطائفة الأكبر

ثم التفت الى ألن وقال لها أن هؤلاء الرجال أرادوا قتلك وأنا عفوت عنك ولكنى ما عفوت إلا بشرط أن تبرحى لندرا فى هـذه الليلة وان تذهبى الى السير روبرت فى ايكوسيا وان ترجعى عن فكرة الزواج بليونيل

فأطرقت رأسها دون أن تجيب والتفت روجر الى شمشون فقال له وأنت فأذهب بهـذه الفتاة ولا تفارقها عند باب منزل السير روبرت والويل لك اذا أصيبت بسوء

فأخذ شمشون بيد ألن وخرج بها من المغارة ونظر روجر الى جان بفتور وقال له

لنتحدث الآن

## القسم العاشر

# الفرار

قال المركيز لجان حين خلا به فى المغارة هلم نتحدث أيها الناباب عثمان فقد عرفت الآن كل شيء فأنت جان دى فرانس وانك خالى أى أخو أمى سينيتيا

ان أمى أخبرتنى بكل أمرى وكيف انك تجاسرت وجعلتنى من أعظم أشراف الانكليز وانك و بلتون كنتما كاذبين حين أوهمتما الأعيان فى الجمعية السرية ان سينيتيا مجنونة بل انك كذبت علىّ حين قلت لى انى ابن اللورد اسبرتهون الشرعى فلماذا

قال انك ما زلت عرفت سر مولدك فلا بد لى من أن أخبرك بتفصيل ما جرى

ثم قص عليه كل حكايته وكيف انه كان ابناً غير شرعى للورد اسبرتهون وكيف ان السير جيمس قتل ولده وهو فى مهده بسم الأفعى وكيف ان أباه اللورد سرقه كى لا تعود ثروته الى ابن أخيه جيمس لأنه كان يعتقد ان ولده الثانى ليونيل ميت وكيف انه كان يراقبه الليل والنهار فى لندرا وأميركا وفى كل مكان ذهب اليه كى يحميه من السير جيمس الى آخر ما عرفه القراء من أمره

فلما فرغ من حديثه قال له المركيز انك اذا كنت قد أسأت الى

فقد كان تشفيعك حسن القصد وانى أغفر لك ولبلتون هذه الأساءة التى لا تغتفر فانك لو علمت ما أقاسيه الآن من العذاب لعذرتنى على هذا القول وكفى انى كنت لورداً وقائد فرقة الملك ومن أعظم نبلاء الانكليز ثم وجدت نفسى نوريًا لقيطًا لا فرق بينى و بين الخدم

– ولكنك ابن اللورد اسبرتهون

– هل أنا ولده الشرعى

– كلا ولكن فات الأوان الآن ولم يعد فى وسعك ان تدوس تاج المركيزية وتخلع وشاح اللوردية فقد لقينا فى هذا السبيل أشد ما يلقاه بشر من العناء واذا كنت ترى ان وجودنا فى لندرا يثقل عليك فقل كلمة نبرحها بجملتنا ويبقى سرك محفوظًا مدى الحياة

فهز روجر رأسه وقال لا تسافرون واذا أردتم السفر سافرت معكم واعلم انه لو كان السير جيمس باقيًا فى قيد الحياة لخشيت ان يعود اللقب والثروة اليه ولبثت على تنكرى

فقاطعه جان قائلا ولكن ماذا يحدث بهذه الثروة اذا تركتها فانها تعود الى بيت المال

قال انك واهم بل انها تعود الى وريثها الشرعى أى الى ليونيل ابن اللورد اسبرتهون الثانى فانه لم يمت كما تتوهمون

فغطى جان وجهه بيديه وقال واأسفاه لقد قضى على آمالى

وعند ذلك ظهر رجل فى باب المغارة فصاح الاثنان قائلين هو ذا الطبيب بولتون

أما بولتون فانه دنا منهما وقال انى اجتزت خمسين ميلاً بست ساعات ولكنى وصلت قبل فوات الأوان

فقال روجر ماذا حدث

قال حدث ان عدونا السير رو برت واقف على كل أمرنا

– السير رو برت ألم يكن صديق والدى

– نعم ولكنه الآن عدوك الألد بل انه عدو طائفتك بأسرها فانى أرى انك عرفت الآن حقيقة أمرك فلم يبق سبيل الى التكتم فاعلم ان السير رو برت يشتغل بملء الجهد منذ أسبوعين وقد زار جميع اللوردية فى ايكوسيا ولندرا وسيتكلم فى المجلس الأعلى بعد أسبوع حين افتتاحه

– ماذا يريد أن يتكلم

– يريد أن يطلب نفى النور من جميع انكلترا وأنت ترى اذا كان يوافق ان تتنازل الآن عن لقبك لأخيك وتدع هذا الرجل يقضى القضاء المبرم على طائفتك

فأطرق المركيز مفكراً ثم قال

كلا ان الجندى لا يعتزل الخدمة فى يوم القتال وسيرى السير رو برت انى سأكون خير كفوء له فى ذلك المجلس فاطمئنوا أيها الرفاق فسأبقى المركيز دى اسبرتهون وقائد فرقة الملك الى أن تزول هذه الاخطار .

* * *

ولنعد الآن الى ألن فقد أوصلها شمشون الى منزل السير روبرت ثم تركها وانصرف فدخلت وهى تقول فى نفسها

لقد نجوت الآن وبات روجر يحتقرنى ولكن بقى لى ليونيل بشرط ان اجتمع به قبل ان يلقاه روجر

ولما دخلت الى المنزل وجدت السير روبرت فيه وعلائم القسوة بادية فى وجهه فقالت له متى عدت يا عماه

فأجابها بلهجة ملؤها الاحتقار قائلا

لقد وقفت على كل مكايدك وعلمت انك تجتمعين برجال طائفتك وبذلك المزور المحتال الذى انتحل لقب المركيز دى اسبرتهون

ولقد قرأت فى الأمثال العربية ان اعرابية اختيرت جرو ذئب وربته مع شاة لها فلما أصبح الجرو ذئباً نسى التربية وافترس الشاة فقالت فيه

بقرت شويهتى وفجعت قلبى فمن أنباك ان أباك ذيب

وهكذا أنت فقد ربيتك خير تربية وجعلتك من شريفات الانكليز فلما تكامل هداك نسيت التربية ولم تذكرى الا أن أمك نورية فاعلمى انى لا أريد أن تقيمى فى منزلى بعد الآن وسيعطيك الصراف مكسويل مبلغاً من المال فى كل شهر تنفقينه لأنى لا أريد أن تعيشى عيش المتسولين والآن خذى هذا

ثم دفع اليها محفظة فيها أوراق مالية فأخذتها من يده وألقتها عند قدميه وهى تقول

انى لا أريد صدقتك ولا شفقة أحد

وقد خرجت من ذلك المنزل الذى قضت فيه كل أيام حداثتها وهى تأنف ان تلتفت الى الوراء

***

وقد وجدت نفسها على بلاط لندرا لا نصير لها ولا معين ولو أصيبت امرأة ببعض ما أصيبت به لبكت بكاء الثكلى ولكن قلبها كان قد صنع من الحديد فكان عزاؤها عن طردها من منزل السير روبرت قولها

ان هذا الرحل قد حلى من قيود الامتنان فبت قادرة على أن أنهج مع ليونيل كما أشاء

وكان البرد شديداً فى تلك الليلة والهواء زمهريراً فمن كان فى موقفها التجأ الى أحد الفنادق فقد كان لديها شيء من النقود فى كيسها

ولكنها كانت مجربة تعلم ان الوقت ثمين وان الدقيقة الواحدة قد تغير مستقبل الانسان بجملته

ثم انها كانت قد رأت السير روبرت لا يزال فى ثياب السفر فأيقنت انه لم يجتمع بعد بليونيل فذهبت مسرعة الى مكان تجتمع فيه المركبات فركبت مركبة وأمرت سائقها أن يذهب بها الى الثكنة التى تقيم فيها فرسان الملك وهى تعلم أن ليونيل يبيت اكثر لياليه فى الثكنة

وهناك لقيت حارس الباب وقالت له انى أريد مقابلة الضابط ليونيل فى شأن خطير

قال ان الدخول محظور يا سيدتى ولكنك تستطعين أن تكتبى اليه

قالت لا حاجة الى الكتابة اذ يكفى أن تذكر له اسمى

فنادى الحارس أحد الجنود فقالت له

قل للقائد ليونيل ان مس ألن فالدن تريد أن تراه فى الحال

فانطلق الجندى وبعد هنيهة أقبل ليونيل فصاح صيحة فرح حين رآها وقالت فى نفسها انه لم يعلم شيئًا بعد

وكان ليونيل قد لقى عذابًا شديداً فى ذلك اليوم فانه ذهب الى أخيه مرتين فلم يجده ولكن المركيز أرسل له رسالة يقول فيها انى وقفت على أثر مس ألن فأقام كل يومه وهو يسير سير الهائمين بين منزل السير روبرت ومنزل أخيه وأقبل المساء فلم تعد ألن الى منزلها ولم يعد أخوه فبات شبه المجانين

وكانت واجباته تقضى عليه أن يبيت فى التكنة تلك الليلة فعاد اليها وجعل يتمعن فى أمره فتارة يثق بأخيه فيطمئن وتارة يعاوده الشك فتقتله الغيرة

وما زال على ذلك الى أن جاءه الجندى وأخبره بأن مس ألن تريد أن تراه فذهب الى لقائها وقلبه يكاد أن يخرج من صدره لفرحه وقال لها أهذا أنت

فمدت اليهِ يدها وهى فى المركبة فقطعها تقبيلاً وقالت له

نعم أنا هى وانك اذا لم تبادر الى نجدتى كنت من الهالكات فهل تستطيع التغيب عن التكنة

قال نعم فانى أنيب عنى أحد زملائى

قالت اذن افعل أيها الحبيب وأسرع فان الوقت لا يتسع للامهال

فعاد ليونيل الى التكنة فكتب رسالة الى صديق له من الضباط يسأله فيها أن ينوب عنه ورجع الى مس ألن فصعد الى المركبة بجانبها وقال لها

ماذا حدث أيتها الحبيبة فانك لا تعلمين مقدار ما لقيت من العذاب

فقبضت على ذراعه وقالت ليونيل أتحبنى

قال أتسألينى اذا كنت أحبك

– ماذا تفعل من أجلى

– خير ما عندى دمى وانى أسفكه فى سبيلك

– اذن فاعلم ان عمى وروجر قد تآمرا على اهلاكك فان عمى هو الذى اختطفنى كى يبعدنى عنك الى الأبد ويزوجنى بروجر

فاصفر وجهه من الغضب وقال انها خيانة سافلة

قالت أتريد أن اكون امرأتك يا ليونيل

– كيف تسألينى وأنت تعلمين ان هذا كل ما أرجوه فى الحياة

– اذن لنهرب ولنبرح لندرا فى هذه الليلة الى احدى القرى وهناك لا نعدم كاهنًا يعقد زواجنا أو أزوجونى بالرغم بروجر . . . ليونيل انى

أموت اذا أكرهت على الزواج . . . ليونيل انى لا أحب سواك

وكانت تضغط على يده وهى تقول له هــذا القول ضغطاً على قلبه حتى سحرته ووافقها على الهرب

فأمرت السائق أن يسير فانطلق بالعاشقين وخرجت المركبة من لندرا بينما كان السير روبرت قد دخل الى غرفة رقاده وعزم على أن يجتمع غداً بليونيل و يشفيه من حب ألن

* * *

مضى على ذلك ثلاثة أيام والسير روبرت مضطرب أشد الاضطراب فان ليونيل لم يظهر فى خلالها

وكان قد سأل عنه فى التكنة فعلم انهُ خرج بعد انتصاف الليل مع امرأة كانت تنتظره فى مركبة وان هذه المرأة تدعى مس ألن فالدن وانها سارت واياه فى تلك المركبة فلم يبق لديه شك انه هرب مع النورية

وكان قد أنبأ البوليس بأمرهما ولكن البوليس على مهارته فى لندرا لم يقف على أثر الهاربين فكاد يجن من يأسه لوثوقه ان ألن لا تعود الى لندرا إلا وهى زوجة ليونيل

وذلك ان فى انكلترا ولا سيما فى ذلك العهد كان الزواج سهلاً فلو ذهب عاشقان الى دير كاهن وسألاه أن يعقد زواجهما لفعل دون اعتراض فكان هــذا الخاطر يعذب السير روبرت عذاباً شديداً لأنهُ كان قد آلى على نفسه قضاء أمرين أحدهما ان لا يدع ربيبته تتزوج

بليونيل لأنهُ من الأشراف وثانيهما أن يكره روجر على أن يرد ثروته لأخيه ليونيل ابن اللورد الشرعى

وفيما هو فى منزله يتأهب للذهاب الى مدير البوليس دخل اليه خادم قال له ان رجلا يلبس ملابس التجار يريد ان يقابلك

فأذن له فدخل فقـــال روبرت فى نفسه يخال لى انى عرفت هذا الرجل

أما الرجل فانهُ انحنى أمامه مسلماً وقال له ألا ان سيدى يعرفنى دون شك

قال اذكر انى رأيتك ولكن لا أذكر أين

قال لقد تشرفت بلقائك يا سيدى فى الهند

– فى الهنـــد

– نعم وكان ذلك مرتين أحدهما فى الطريق من شاندرناجور الى كلكوتا والثانية فى خمارة عند باب تلك العاصمة

– أأنت هو

– نعم أنا هو ناثانيال والد توبسى الذى جلدوه خمسين سوطاً لأنه طلب أن ترد اليه ابنته

فقطب حاجبيه وقال له والآن ماذا تريد أتريد مالاً

قال ان تجارتى رابحة باذن الله وأنا اشتغل هنا منذ خمسة عشر عاماً ما شكوت فيها إلا يوم جلدونى فان هذا الشعب الخامل لا يفتأ ينتصر

للظالم على المظلوم وقد أبوا ان يصدقوا ان مس ألن الحسناء انما هى ابنتى

– أظن انك لم تأت الى هنا الا لتقص علىّ تاريخ حياتك

– كلا دون شك

– اذن ماذا تريد

– انى أصبحت شيخاً كما ترى وأنا الآن غنى وليس لى وريث فاريد أن ترد إلىّ ابنتى

– انى لا أعترضك فان ابنتك قد أساءت الىّ بعد احسانى

– لا عجب فقد كانت أمها على شاكلتها

– وقد طردتها من عندى

– لقد عرفت ذلك أيضاً من سيدى

– اذا كنت قد عرفت ذلك فلماذا أتيت الىّ

– اصغ إلىّ يا سيدى فانى أعرف أموراً أخرى أيضاً

– ألعلك تعرف أين هى

– نعم

– تكلم

– رفقاً يا سيدى ولنبدأ بوضع شروطنا اذا أردت

فأدرك أن لهجة العنف لا تفيد مع هذا الرجل فقال له برفق قل فانى مصغ اليك

قال أن توبسى ليست فى لندرا فقد هربت مع فتى جميل يهمك أمره وهى ستتزوج به

– كلا أن هذا لا يكون

– أنك تستطيع منع هذا الزواج اذا تدخلت فى شأنه وأما اذا لم تتنازل الى التدخل فان الزواج كائن لا محالة

– أرى أيها الرجل أنك تعلم أين هما وانك تريد أن تبيعنى هذا السر

– لقد قلت لك يا سيدى انى لست فى حاجة الى المال

– إذن ماذا تريد

– أن ليونيل أحب بنتى حباً عظيماً حتى أنه لم يعد يصغى إلا لصوت قلبه ولا يستطيع منع هذا الزواج غير رجل واحد

– وهذا الرجل

– هو أنا ولكنك أنكرت ولا تزال تنكر لسوء الحظ انى ابو توبسى

– سأعترف بهذه الحقيقة

– أن اعترافك وحده لم يعد كافياً الآن

– ماذا يجب أن أفعل أيضاً

– يجب أن تذهب بى الى الملك

فلم يتمالك السير روبرت عن الضحك فقال له النوَرى نعم يجب أن تذهب بى الى القصر فتقدمنى للملك وتعترف أمامه بانى والد توبسى ثم تلتمس من جلالتـه أن يصدر أمراً برد ابنتى الىَّ ومتى صار هذا الأمر فى يدى منعت الزواج

فكره السير روبرت آن يقول آمام الملك بانه جهل فتاة نوَرية ابن أخيه وقال له أن هذا محال

قال اذا كان ذلك فليتفضل مولاى بمذرتى لازعاجه و يأذن لى بالانصراف

- بل ابق وقل لى أين هى الفتاة

- انى لا أخبرك إلا بهذا الشرط فاما أن ترضى به واما أن ترضى بأن تتزوج ليونيل

- كلا أن ذلك لا يكون وأنا فى قيد الحياة

وقد أدرك السير روبرت أنه لم يبق له حيلة مع هذا الرجل وانه اذا أبى موافقته تزوجت تلك النورية بليونيل أى بالمركيز اسبرتهون الحقيقى فرأى أنه لا بد له من الامتثال وقال ليكن فسأذهب بك الى الملك

ثم أمر الخادم أن يعـد مركبته فقال له ناثانيل لقد أصبت يا سيدى فان توبسى لا تعرف أن تكون سيدة عظيمة وهى ستكون فى مخزنى على خير حال

***

كان السير روبرت فالدن يعد من عظماء الرجال فى لندرا وطالما اهتز منبر البرلمان لبلاغته ومن كانت له هذه المنزلة بين قومه على ما هو فيه من شرف النسب لا يطول وقوفه فى أبواب الملوك

وقد وصل الى سراى الملك فوجـد كثيرين من الناس فى الردهة

ينتظرون بجازع الصبر صدور الاذن لهم بمقابلة جلالته فلم يكد يذكر اسمه للحاجب حتى صدر الأمر بادخاله قبل جميع المنتظرين

وكان الملك جالساً وحــده فى قاعته فلما دخل اليه السير روبرت دهش إذ رأي وراءه رجلا بملابس التجار

فأدرك سر دهشته و بدأ الحديث فقال

أن ملوك الانكليز من بدء عهدهم الى عهد جلالتكم لم يرق لهم مثل أن يقضوا بأنفسهم بالحق

قال هو ذاك

قال مولاى أن هــذا الرجل الذى تراه يضطرب بحضرة جلالتكم إنما هو أب منكود أنكرته ابنته وهو يلتمس من حلالتكم ردها اليه

وعند ذلك بسط له حكاية تو بسى بالتفصيل وكيف أنه أخذها ور باها الى أن رأى ما كان من فساد أخلاقها فاضطر الى التخلى عنها وان أباها يطلبها الآن ولكنها تنكره وتأبى أن تعود اليه وانه يلتمس من جلالة الملك أن يصدر أمره الكريم برد الفتاة الى أبيها

وقد وجد الملك هذا الملتمس حقاً فنادى رئيس حراسه وأراه ناثانيل ثم قال له

اذهب مع هــذا الرحل ورد ابنته اليه باسم الملك واذا أصرت على الانكار بانها ليست بنته فقل لها ان السير روبرت فالدن شهد بذلك وان الملك وثق بهذه الشهادة

فانحنى رئيس الحراس و بينما كان السير روبرت يحاول الانصراف دخل الى القاعة الملكية المركيز روجر من باب آخر غير الباب العام فان الملك كان قد أذن له بالدخول اليه متى شاء بصفته قائد فرقته الأكبر

ولم يظهر على المركيز شيء من علائم الانذهال حين رأى ناثانيال فى قاعة الملك خلافاً للسير روبرت فانه ارتعش حين رأى المركيز يحييه بيده

أما المركيز فانه انحى أمام الملك وقال مولاى أن فرقة الفرسان معسكرة فى السراى وقد جئت أسأل مولاى أن يعين كلمة السر التى يعينها بنفسه كل يوم

فأشار اليه الملك اشارة مفادها اصبر الى أن نكون وحدنا

وحاول السير روبرت الانصراف ولكن المركيز أوقفه باشارة وقال للملك

مولاى انى أعد نفسى سعيداً بلقاء السير روبرت فى حضرة جلالتكم لأنى سألتمس أن أقول لكم أقوالاً تهمه

قال قل أيها المركيز

قال مولاى يوجد فى فرقتى ضابط يدعى ليونيل أظن أن السير روبرت وصيه

وان هذا الضابط يا سيدى قد ارتكب خطأ عظيماً فانه ترك الفرقة دون اذن وهرب مع فتاة أفاقة محتالة خدع بها وسيتزوجها اذا لم يحل أمر جلالتكم دون هذا الزواج

وظهرت على الملك علائم الاشمئزاز ومضى المركيز فى حديثه فقال أن هذه الفتاة كانت تدعو نفسها مس ألن فالدن والحقيقة أنها بنت هذا الرجل الواقف بحضرة جلالتكم ويدعى ناثانيال

فجمل الملك ينظر اليهما وقال المركيز

أن وجودهما فى قاعة جلالتكم يدل على أن جلالتكم قد أصدرتم أمركم بهذا الشأن

قال هو ذاك

قال اذا حرج ناثانيال التمست من جلالتكم أن تأذنوا لى بمقابلة بحضور السير روبرت

فقطب السير روبرت حاجبيه اذ لم يكن يعلم مراد المركيز وأشار الملك الى رئيس حراسه فأخرج ناثانيال وبقى روبرت والمركيز

وكان الملك مصابا بمرض قضى عليه بأن يكون ضيق الأخلاق فلو لم يكن يعطف عطفاً خاصاً على روجر لما صبر على بطئه فى بيان مراده الى هذا الحد ولكنه نظر اليه وقال له برفق

قل أيها المركيز ما تريد قوله

قال مولاى انى مخبر جلالتكم ستدهشون له لو لم يكن السير روبرت حاضراً فيثبته

ثم التفت الى روبرت وقال ألم تكن يا سيدى صديق والدى المرحوم اللورد اسبرتهون

قال نعم

قال وانك تعلم أن ابى صدق بامرأته اللادى سيسل وشايات كاذبة فأبعدها عنه مع ولدها الثانى وان خوفها كان عظيماً على ولدها إذ كانت تخشى أن ينتقم منهما فأوهمته ان ولده الثانى ميت

فقال الملك كيف ذلك أهو حى ألك أخ

قال نعم يا مولاى فهو ضابط فى فرقتى وانى التمس له العفو من جلالتكم فهو ذلك العاشق المفتون الذى هام بتلك المحتالة وهرب واياها

قال انه ما زال أخاك أيها المركيز فقد عفونا عنه وأعطيناه أجازة ثلاثة أشهر

ثم رفع يده مسلماً اشارة الى انتهاء المقابلة فانحنى الاثنان وانصرفا

فلما وصلا الى الردهة قال له السير روبرت لى كلمة أقولها لك أيها المركيز

قال لك ان تقول أربعًا اذا أردت

قال انى أريد محادثتك اليوم ملياً فهل تريد ان تعين لى موعداً للقاء

فأشار المركيز الى الحديقة وقال له انها خالية وليس فيها أحد فهلم بنا اليها

قال ليكن ما تريد

ونزل الاثنان الى الحديقة وجلسا تحت شجرة غضة فبدأ السير روبرت الحديث فقال

انى تغيبت عن لندرا أيها المركيز مدة اسبوعين

فأجابهُ بجفاء قائلاً نعم وقد عرفت ايضاً انك سافرت على اثر جلسة سرية عقدت فى نادى هرمين كما اظن

قال أعرفت ذلك

فأجابهُ بعظمة قائلاً نعم وقد عرفت انك اتفقت مع مس ألن على اختطاف امرأة نوَرية تدعى سينتيا وكانت تقول انها أمى

– انك ما زلت قد بدأت أنت سرد هــذه الحوادث فقد هانت علىَّ مهمتى

– كيف ذلك

– ان هذه المرأة التى تقول انها أمك والتى أخذها عمال مستشفى بلدام بحجة انها هاربة منه لم توجد فيه

– انى اعرف ذلك فقد عهدت الى الطبيب بلتون معالجتها

– ألعلك تعتقد انها مجنونة

– نعم وانك سافرت منذ اسبوعين الى ايكوسيا واجتمعت بكثيرين من اعضاء مجلس اللوردية . . . خابرتهم بشأن نفى طائفة النوَر

– هو ذاك فانى أريد طرد النوَر من انكلترا وهى خير طريقة لاكراه المزورين على الجلاء

– ولكن هذه الطائفة لا تنكر أصلها

– أتعتقد ذلك

– اصغ الىَّ يا سير روبرت فلا حاجة الى المعميات بيننا فانى اعلم ماذا تفتكر

– ماذا

– انك تحسبنى ابناً غير شرعى للورد اسبرتهون وان أمى هى سينتيا ولكنى فى عيون الملك والنبلاء والناس المركيز روجر وقائد فرقة فرسان الملك وانى لا أقول لك اذا كنت مخطئاً أو مصيباً فى اعتقادك فان من كان مثلى لا يتدانى الى تبرئة نفسه

– ولكن ماذا تقول اذا أثبت اعتقادى بالبراهين

– ان براهينك ضرب من المحال ولكن اصغ الىَّ فانك معروف باخلاصك للادى سيسل وبأنك تحب ولدها كأنه ولدك

– هو ذاك ولذلك أردت أن ارد له ميراث أبيه فابتسم روجر وقال أليس من العجيب أن تكون شيخاً وان اكون فتى فتثور حدتك واسكن ألا تريد أن تصغى الىَّ بسكينة

– انى مصغ

– أقول انك اذا كنت تحب ليونيل حقيقة فلا تخاطر بمستقبله فقد شاطرته أموالى

فقاطعه قائلاً انك لو كنت ابن اللورد الشرعى . . . .

فبرقت عينا المركيز وقال انى أمنعك عن أن تشك بولدى الى أن تبرهن لانكلترا بجملتها على صحة ما تقول

فهاج ثائره وقال انى أعلم كيف اكرهك على الاعتراف

فأجابهُ قائلاً كفاك هياجاً فاننا اذا تبارزنا قتلتك لا محالة فتحرم يونيل من وصيه وحاميه الوحيد واعلم انى فتى ويقال بأنى باسل وان نكلترا على وشك اثارة الحرب ألا يجوز ان أقتــل فى غمارها وأنا فى طليعة فرقتى

– ولكنى لا أشير على ليونيل أن ينتظر هذه الصدفة

– وأنا أرى انهُ لا ســبيل الى الاتفاق بيننا وانك تريد الخصام فليكن ما أردت

– ليكن

– ولكنك مخطىء يا سير روبرت

– لا يخطئ من يعمل بما يوحيه اليه الواجب

– اذن أنت تريد الخصام

– نعم

– وستطلب الى البرلمان نفى طائفة النوَر

– هذا لا ريب فيه

– وأنا سأدافع عنها . . . الى اللقاء

ثم حياه وانصرف

فوقف روبرت مطرقاً مفكراً يقول فى نفسه ان هذا الرجل شديد فكيف السبيل الى اكراهه على الاعتراف ومع ذلك فلا بد للحقيقة أن تظهر وأن يحل الولد الشرعى محل اللقيط

وقد ترك الحديقة وانصرف فلم يسر بضع خطوات حتى التقى بالطبيب بولتون فحياه الطبيب وقال له

انى كنت أحسبك فى ايكوسيا أيها الصديق

قال لقد كنت فيها وعدت أمس

– انى رأيتك خارجاً من قاعة الملك فهل أصبحت من الحاشية

– كلا ولكنى أدخل الى الملك حين احتاج الى مقابلته واسأل العدل

– ألعلهم أساءوا اليك

– كلا بل أساءوا الى رجل كانوا يحسبونه ميتاً وهو حى يرزق

– انى أعلم ما تعنيه فانك تريد بهذا الرجل ليونيل ابن اللورد اسبرتهون الثانى

– بل وريثه الوحيد بعد موت أخيه المركيز

– أيها الصديق أسألك المعذرة لأنى لم أنتبه الى حالتك العقلية حين رأيتك وأنت تعلم انى طبيب

فقبض روبرت على ذراعه فهزه بعنف وقال له انك تعلم يقيناً بأنى لست من المجانين

– وأنا أريد أن أعتقد هذا الاعتقاد إلا اذا عدت الى مباحثتى فى هذه الشؤون فانى التقيت الآن بالمركيز روجر وأنت تقول أنه ميت

– ليس هو بالمركيز روجر بل هو ابن سينيتيا

– أأنت تصدق وشايات توبسى التى جعلتها ابنة أخيك

فنظر اليه محدقاً وقال له أنه يجب أن تكون وقفاً على هذه الحقيقة اكثر من سواك فقد كنت طبيب اللورد الخاص

ـ لا شك انى أعرفها

ـ إذن تكلم

ـ أتريد

ـ بل التمس منك أن تقول الحقيقة

ـ إذن فاعلم أيها الصديق أنك على وشك الجنون وان خير ما تفعله هو أن تعد أمتعتك وتسافر الى اوربا فان السفر مفيد فى هذه الحالات

ثم حياه وانصرف فضرب السير روبرت الأرض برجله مغضباً وقال أن جميع الناس من حزبه فليس لى به حيلة

***

ولنعد الآن الى ألن وليونيل فانهما خرجا من لندرا الى إحدى القرى فباتا فيها وعند الصباح سألها ليونيل قائلاً الى أين نذهب

قالت أن عمى وروجر سيطوفان انكلترا للبحث عنا وخير ما أراه أن نذهب الى منزل أمك فى ايكوسيا وهناك ندعو كاهناً من إحدى القرى فيعقد زواجنا ثم نعود ولا خوف علينا من أحد

فوافقها الى ما أرادت وسافرا الى هوتغور فأقاما كل يومهما مختبئين فى أحد فنادقها

وفى اليوم التالى أرادا استئناف السفر فقال له صاحب الفندق أن

الخيل لا تعود قبل ساعتين فاضطر العاشقان الى الصبر ساعتين مرت مهما مرور عامين وكان ليونيل يخرج من حين الى حين الى الطريق مفتقداً قدوم الخيل

وفى خلال ذلك كانت ألن مختلية فى الغرفة تسمع حديث الخدم فى الردهة فسمعت أحـدهما يقول للآخر انى لم أرَ لورداً كهذا اللورد الذى مرّ بنا

فأجابه رفيقه الحق أنه أشبه بالاسبانيين منه بالهنود فان شعره الأسود يشبه جانح الغراب ولون وجهه يشبه الزيتون

فاضطربت ألن لهذا القول إذ ذكرت جان دى فرانس وعاد ليونيل اليها فأخبرها بقدوم الجياد وسافرا الى ايكوسيا

وهناك دعا ليونيل اليه أحد الكهنة وسأله أن يزوجهما فى الغد فوافقه الكاهن ولكنه اعترض على أن يكون الزواج فى الغد بحجة أن ذلك اليوم يوم جمعة أى اليوم الذى صلب فيه المسيح واتفقوا على أن يكون الزواج يوم السبت

وفى ذلك اليوم ذهب ليونيل وألن الى الكنيسة فى الساعة المعينة وكان فيها بعض أهل القرية حضروا للصلاة ودخل فى أثرهما ثمانية رجال غرباء كان أربعة منهم بملابس التجار وأربعة متشحون بوشاحات تخفى ملابسهم

حتى اذا انتهت الصلاة وأراد الكاهن أن يبدأ حفلة الأكليل وقف فى باب الهيكل وقال

أيها الناس انى سأروج ليونيل دى اسبرتهون من مس ألن فالدن فهل يوجد من يعترض على هذا الزواج

فأجابه صوت قائلاً أنا

وقد دنا هذا الرجل من الكاهن فاضطربت ألن إذ عرفت أن هذا الرجل أبوها ناثانيل وقال له الكاهن لماذا تريد الاعتراض ومن أنت

قال انى والد هذه الفتاة وهؤلاء هم شهودى

وعند ذلك دنا الثلاثة الذين كانوا معه فقالوا نعم نشهد أنه أبوها

فصاحت ألن صيحة قنوط إذ رأت أن هؤلاء الثلاثة كانوا جان دى فرانس وشمشون والمركيز روجر وصاح ليونيل بصوت يتهدج بالغضب قائلاً روجر

فقالت مس ألن أن هؤلاء الشهود كاذبون

فتقدم عندئذ واحد من الأربعة الذين كانوا يخفون ملابسهم وأزاح الوشاح وظهرت ملابسه العسكرية وقال انى اعترض باسم الملك على هذا الزواج وأدعو توبسى باسم الملك أن تذهب مع أبيها ناثانيل

فهجم ليونيل على أخيه وقال أيها الشقى ماذا فعلت

فوضع المركيز يده على كتف أخيه وقال له بملء السكينة

انى أنقذتك من العار فان مس ألن تدعى توبسى وهى نوَرية وابنة هذا النورى وقد طردها السير روبرت فعادت لك حتى كادت أن ترميك فى فخها

فأطرق ليونيل برأسه وسقطت دمعتان من عينيه الى الأرض

## القسم الحادى عشر

# عثمان والبرنس دى غال

بعد شهر من الحوادث التى تقدم بيانها خرج رجلان من سراى سانت جيمس أى القصر الملكى وجعلا يسيران فى شوارع لندرا وكانت الليلة حالكة والضباب كثيفاً والبرد قارصاً فقال أحد الرجلين لرفيقه

أظن يا مولاى أننا نستطيع المخاطرة هذه الليلة

قال وأنا أرى رأيك يا دلتون فان مدائنىّ لا يفتكرون بى هذه الليلة – ولكنى أرجوك أن تكون حكيماً فلا تلقبنى بلقب السمو ولا تدعنى بيا مولاى بل أدعنى جورج

ثم تأبط ذراعه دون كلفة وقال له

انى لا أجد مناخاً أقبح من مناخ بلادنا فما هذا الضباب الدائم وما هذا البرد الذى لا يحتمل

قال الحق أن مناخها شديد

قال وان شرائعها أشد فانى لا أرى هؤلاء الناس يحترموننى و ينحنون أمامى حتى أحمل احترامهم على محمل التهكم وأى احترام هذا فان الملك لا يحق له الخروج من لندرا إلا باذن خاص من البرلمان وولى عهده لا تحفظ له خدمة إلا حين يكون فى سانت جيمس أو فى البرلمان فمتى خرج منهما بات فرداً من أفراد الرعية يحق لدائنيه أن يقبضوا عليه اينما وجدوه

قال انى اعترف أن هــذه الشرائع شديدة على الأسرة المالكة

فتنهد وقال هل يسمح ملك فرنسا ان تسرى هذه الشرائع على أسرته ولكن أبى شديد الضعف كثير الميل الى العامة فانه ما تقاضى عنده شريف وعامى الا حكم على الشريف

وهو يقول أنه يقتدى بذلك باجداده حين كانوا فى هولندا فانه يدعى أنهم كانوا يخضعون لشرائع البلاد قبل رعاياهم

قال أية فائدة يا مولاى من التشكوى فلا دواء لهذا الداء إلا الصبر فاصبر الى أن تتيح الأقدار لسموك أن تجلس على عرش أبيك

قال اسكت وكفى تدعونى بهذه الألقاب أتريد أن أبيت الليلة فى السجن

***

كان هذان الرجلان البرنس دى غال ولىّ العهد فى ذلك الحين وسكرتيره

ولا بد لنا أن نوضح بالايجاز سبب هذه المحادثة الغريبة بينهما وذلك أن البرنس دى غال كان معروفاً بفساد السيرة وله عيوب كثيرة أخصها المقامرة فكان يلعب حتى خسر كل ما لديه فلجأ الى المرابين وقد كثرت ديونه وكثر مطله حتى وصلت شكوى الدائنين الى أبيه الملك

واتفق أن جريئاً من أعضاء البرلمان وضع على منضدة الرئيس كثيراً من العرائض

وكانت هذه العرائض شكاوى قدمها نحو ثلاثين مرابيا . يشكون من سمو ولى العهد أنه لم يفِ ديونهم وأنه طردهم أقبح طرد حين طالبوه بالسداد

فتلا الرئيس هــذه العرائض على الأعضاء واضطرب المجلس فقدم عريضة بهذا الصدد الى الملك

وعند ذلك أمر الملك المجلس أن يصدر قراراً مفاده أن ولى العهد يعتبر لدى دائنيه كسائر أفراد الرعية وانه يحق لكل دائن أن يحاكمه وان يسجنه اذا امتنع عن وفاء دينه كما يعاملون سائر الناس

ثم نظر الى ولده وقال له

أنك عضو فى مجلس اللوردية بحق ولادتك وانك تقيم فى قصر سانت جيمس بصفتك ولى عهدى فاذا استدنت ديونًا جديدة فان مدائنيك لا يستطيعون القبض عليك فى سانت جيمس ولا فى مجلس اللوردية ولكنهم اذا لقوك خارجهما حق لهم أن يقبضوا عليك وقد أنذرتك فتدبر

فوعد البرنس أباه أن يسير سير العاقلين وأنه لا يتجاوز بنفقاته الميزانية المعينة له

ولكن وعده لم يقترن بالوفاء فلم يمض عام حتى تراكمت عليه الديون وقد أبى أبوه أن يفى دينه وأمر المجلس بتنفيذ قراره فلم يعد ولى العهد يستطيع الخروج من قصر سانت جيمس إلا متحذراً متنكراً ولا يذهب

الى البرلمان لا فى مركبة ملكية يخفرها الفرسان

والآن فقد عرف القراء سبب شكوى ولى العهد من البرد والضباب فانه لم يكن يستطيع الخروج فى رائعة النهار والتمتع بنور الشمس

وكان يسير مع كاتم أسراره دلتون فى تلك الليلة وكلاهما يشكوان فقال له دلتون

أف لهذا البرد ما أثقله

قال أنه مهما يكن من ثقله فهو أخف عندى من الدائنين وأرجو أن يكونوا الليلة فى أسرتهم فلا يخطر لهم أن يتبعونى

– هذا ممكن

– أتظن أنه لم يرنا أحد حين خروجنا من القصر

– انى لم أر أحداً يا مولاى

– انك تطمئننى

– أتأذن لى يا مولاى أن أسألك سؤالاً

– قل

– أخرجت فى هــذه الليلة الباردة لاستنشاق الهواء أم أن لك غاية أخرى

– بل لغاية أخرى فقد أصبحت من المشاق

– ومتى كنت من أهل الزهد يا مولاى فانك كل يوم من الغرام فى شأن

– ولكن غرامى اليوم لا يقاس به غرام

ألعلنا ذاهبان لانشاد الاهازيج تحت مشرف منزل التى تحبها

– ليس هنالك مشرف

– أن لجميع القصور فى لندرا مشارف

– وهى ليس لها قصر

– إذن أنها من نساء التجار

– بل هى دونهن مقاماً

– أنك تدهشنى يا مولاى فمن هى هذه الساحرة

– لا شك أنها ساحرة كما تقول بدليل أنها فتنتنى بنظرة . أتريد أن أصفها لك

– تفضل يا مولاى

– أنها شقراء الشعر سوداء العينين لا تتجاوز ثمانية عشر ربيعاً وهى تلبس ملابس أهل القرى ولكنها خلقت كما اشتهيت فلو رأتها دوقة لسرى الى قلبها الحسد وتمنت أن تكون فى مكانها وعلى الجملة فهى جوهرة مكنونة

– أين وجدت هذه الجوهرة يا مولاى

– ان لهذا اللقاء حكاية

– دون شك فقد كنت ذاهباً منذ ثلاثة أيام الى البرلمان فمررت من هنا حيث نحن الآن

وأنت تعلم انى حين اكون ذاهباً الى البرلمان لا اكترث للدائنين إذ لا يستطيعون ايقاف مركبتى والحراس محدقون بها

وقد فتحت النافذة وجعلت ابتسم للناس الذين كانوا يحيوننى من الجانبين

وفيما أنا على ذلك رأيت تلك الفتاة التى وصفتها لك وقد وقفت تنظر الىّ والى مركبتى فابتسمت لها وأرسلت اليها قبلة فى الهواء بيدى فاحمر وجهها حياء وانصرفت مسرعة

وكان يصحبنى خادم ذكى رأى ما كان فاندفع فى أثرها وأخبرنى فى هذا الصباح عن كل ما عرفه من شأنها

– أين تقيم يا مولاى

– أنها تقيم فى شارع لا يخطر لأحد انى أذهب اليه ثم ضحك وقال أنها تقيم فى وينغ

– هو ذاك يا مولاى فان داثنيك لا يمكن أن يخطر لهم انك تتجول عند انتصاف الليل وفى مثل هذه الليلة الباردة فى شارع لا يقيم فيه غير الرعاع واللصوص

– إذن اسرع الخطى فانى أريد أن أصل الى هذه الحسناء التى فتنتنى فحك دلتون أذنه ووقف موقف المتردد فقال له البرنس وهو يضحك ألعلك تأنف من الذهاب الى وينغ

قال كلا يا مولاى ولكنى لا أرى من الحكمة أن تخاطر بنفسك فى هذا الشارع الذى لا يقيم فيه غير قطاع الطرق والبحارة السكارى وفوق ذلك فان هذه الفتاة لا بد أن يكون لها أب أو اخوة أو عشيق

ـ كلا فانها تقيم فى بيت صغير مع أختها المريضة وعمتها العجوز كما أنبأنى خادمى وانى متقلد حسامى تحت وشاحى وأظن انى أحسن استخدامه عند مسيس الحاجة

ـ اسكت اسكت يا مولاى

ـ ماذا

ـ أظن أنهم يتبعوننا

ـ ماذا تقول

ـ انى أسمع منذ بضع دقائق وقع خطوات من ورائنا وهى متناسبة مع خطواتنا

فوضع البرنس يده على قبضة حسامه ووقف مصغيًا فسمع حديثًا لم يتبينه إذ كان يصل الى مسمعه شبه الهمس فقال

أنهما رجلان يتحدثان فى شؤونهما فلنهتم نحن فى شأننا

ومشى فتبعه دلتون وهما يصغيان فيسمعان وقع خطوات الرجلين فقال البرنس

لقد بدأت أن أضجر منهما فقف الى أن يمرا ونرى ما يكون

ولكنهما حين وقفا وقف الرجلان فمشى البرنس اليهما وهو لا يراهما لتلبد الضباب الى أن لاح له أشباح سوداء فصاح بهم دلتون قائلاً

أنكم اذا كنتم من قطاع الطرق فقد اخطأتم بتعقبنا فاننا لا نملك غير سيفين صقيلين

فأجيب بضحك الساخر ورأى أن الاثنين أصبحا ستة فتراجع الى الوراء وقال للبرنس

جرد حسامك يا مولاى فقد طوقونا

فامتشق حسامه وصاح بهم قائلاً الى الوراء

ولكنهم أجابوه بالضحك ثم سمع صفيراً خاصاً ورأى الأشباح محدقة به فعاد الى الانذار والوعيد

وعند ذلك قال له واحد منهم بلهجة المتهكم لقد عرفناك يا مولاى ونحن كثيرون فخير لك التسليم اذا كنت من العاقلين

فانقض البرنس بحسامه على الرجل الذى كلمه وتراجع الأشباح كأنهم ذعروا فاندفع البرنس فى أثرهم

ولكنه لم يسر ثلاث خطوات حتى عثرت رجله بشىء لم يره فوقع على الأرض وأفلت الحسام من يده

وكان دلتون سقط مثله فانقضوا عليهما وقيدوا أيديهما

وعند ذلك أدرك البرنس أن هـذا الرجل الذى كان يتهكم عليه إنما كان من ضباط البوليس التجارى الذى كان يعهد اليه الدائنون القبض على المديونين وارسالهم الى السجن

وقد توهج البرنس من الغضب وقال لهم ويلكم أيها الأشقياء فسنقطع رؤوسكم جزاء لكم

فأجابه الضابط قائلا أن رأسى يا صاحب السمو الملكى ثابت بين كتفى لا خوف عليه

قال ويحك أيها الوقح أتعرفنى وتجسر . . .

قال لست أنا الذى يجسر يامولاى على هذه الجرأة القبيحة وانما هو البرلمان أما أنا فانى من أخلص رعايا جلالة الملك

فحسب البرنس أنه يستطيع اغواءه بالمال فدفع اليـه كيسه وقال خذ هذا

فهز الضابط الكيس كأنه يريد أن يعلم مقدار ما فيـه من الدنانير ثم قال له

إن سموك مخطىء يا مولاى

قال ماذا تعنى

ـ أعنى أن هذا الكيس لا يوجد فيه اكثر من عشرين دينار ومقدار الدين الذى على سموكم يبلغ ستة آلاف جنيه وهو المبلغ الذى اضطررت من أجله أن أكمن لكم قرب السراى واقبض عليكم بالرغم عنى

ـ تباً لك من خائن

ـ كلا لست بخائن يا مولاى فقد كنت عالماً أنكم عازمون على الخروج فى هذه الليلة من السراى

ـ انى سأشنقك أيها الوقح

ـ أن الحبل المعد لشنقى لم ينسج بعد

ـ ومتى صرت ملكا

ـ أن جلالة أبيك فى أتم عافية وهو أصغر منى سناً فمتى ارتقيت الى

العرش كنت أنا من أهل القبور فلا خوف عليّ من عقابك

– والآن فليأذن لى مولاى أن أقول له أن البرد قارص وانه يجدر به أن يعود

– عد بى الى سانت جيمس

– كلا يا مولاى

– إذن الى أين

– الى السجن التجارى يا مولاى

فارتعد البرنس لهذه الاهانة ومضى الضابط فى حديثه فقال

انى كنت واثقاً من القبض على سموكم فى هـذه الليلة فأنبأت مدير السجن فأعد لكم غرفة جديرة بسموكم

فطاش صوابه من الغضب وقال أيها اللص أنك لم تظفر بى بعد

ثم حاول أن يقطع وثاقه فلم يستطع

وعند ذلك سمع وقع خطوات عسكرية فجعل يصيح مستغيثاً و يقول اليّ . . . اليّ

فأسرع صاحب الخطوات وقال من هذا الذى يستنجد

فقال البرنس أنا هو البرنس دى غال تجاسروا على أن يمدوا أيديهم اليّ

فدنا الرجل وظهرت علائم الدهشة على الضابط حين رأى هذا الرجل فقد كان طويل القامة يلبس ملابس البحارة ولكن نبل هيأته كان يدل على انهُ متنكر بهذه الملابس

أما هذا الرجل فانهُ انحنى بملء الاحترام أمام البرنس ثم نظر الى الضابط وقال له

ويحك كيف جرأت هذه الجرأة على ولى العهد

فتمتم الضابط قائلاً الرئيس ثم أجاب الرجل قائلاً

أرجو معذرتى فقد امتثلت للأمر الصادر الىّ

قال ليس لك أن تتلقى الأوامر إلاّ منى وانى آمرك الآن أن تركع عند قدمى سموه فانهُ قد يعفو عنك بعد رجائى

فركع الضابط ممتثلاً وجعل يعتذر بلسان يتلعثم والبرنس مندهش مما يراه

ثم أمره الرجل أن ينصرف برجاله فأسرع بالامتثال وانحنى الرجل أمام البرنس وقال له

ما كنت أتمنى يا مولاى ألا ان اكون مررت بهذا المكان قبل أن يتجاسر هؤلاء الأشقياء

وكان البرنس قد ثاب من دهشته الأولى ولكنه لبث معجباً بهذا الرجل فقال له

من أنت أيها السيد فقد رأيت ضابط البوليس التجارى يضطرب أمامك وهو لا يضطرب أمام أحد

قال ذلك انهُ مدين لى بجميل

فقال له دلتون

ولكنك كنت تكلمهُ بلهجة السيادة وسمعته يناديك متمما بلقب الرئيس

قال ذلك انى كنت شبه رئيسه

فقال له البرنس

انى لا أدعك تنصرف قبل أن أعرف اسمك فانى أريد ان اظهر لك امتنانى فى الغد على مشهد من النبلاء

قال لا حاجة الى ذلك يا مولاى فانى ما عملت إلاّ ما يجب علىَّ ويكفينى رضاك

انما التمس من سموكم أن يأذن لى برفقته الى سراى سانت جيمس

ولكن البرنس ذكر حين زال عنه هــذا الخطر الغرض الذى كان قادماً من أجله فقال له

انى لا أريد العودة الى السراى

قال ان سموكم قد يكون مخطئاً

قال انى عاشق وأريد أن أرى من أحب

فابتسم الرجل وقال انى عارف بذلك يا مولاى

فزاد اندهاش البرنس ومضى الرجل فى حديثه فقال

الكم رأيتم يا مولاى منذ يومين فتاة شقراء تلبس ملابس عامة الشعب

— هو ذاك

— وان هــذه الفتاة هى أخت المرأة التى أحبها فاذا كنتم تريدون

يا مولاى مراعاة من أنقذكم من هذا الموقف . . .

فلم يدعه البرنس يتمم حديثه وقال له

كفى فانى لا أعود الى التفكير بها مهما كلفنى ذلك من العناء فانى مدين لك وأنا من دم ملكى فاعلم انى اتعهد لك بأنى لا أحاول اغواء هذه الفتاة

– اشكركم يا مولاى

– والآن ولم يبق لى غاية من مواصلة السير فقد رضيت اقتراحك فعد بى الى السراى

– انى ممتثل لأوامر سموكم

وسار الثلاثة عائدين الى القصر الملكى فقال له البرنس

أتعلم أيها الصديق ان لك من السلطة النافذة ما لم ينل بعضه ابن الملك

فابتسم الرجل وقال

أتحسب يا مولاى ان لى هذه السلطة

– دون شك

– ليس على سموكم إلاّ أن يثق بى فيستطيع بعد ذلك الطواف فى الشوارع حين يشاء وكما يشاء

– أحق ما تقول

– نعم يا مولاى

– كيف ذلك والدائنون يراقبوننى ليل نهار أيدعوننى أسير دون اعتراض

– نعم يا مولاى

– اذن أنت من السحرة

– ربما

– اذا كان ذلك فهبنى شيئاً من القوة وثق انى لست ممن ينكرون الجميل

– أتثق بى يا مولاى

– كل الثقة

– اذن تفضل بالذهاب معى

وكانوا قد اجتاروا فى تلك الساعة جسر لندرا وعطفوا الى الشوارع الكبرى الجميلة فكان الرجل يسير فى الطليعة مسرعاً والبرنس ودلتون يتبعانه

وبعد ربع ساعة وصلوا الى منزل جميل حسن الرواء فوقف الرجل وقال لقد وصلنا

ثم قرع الباب ففتحته امرأة عجوز وانحنت أمام الرجل بملء الاحترام وقال البرنس فى نفسه

لا شك انهُ نبيل متنكر

ثم دخل دلتون فى أثره الى المنزل فاجتازوا رواقاً ثم صعدوا سلماً ففتح الرجل الباب وادخلهما الى قاعة كان يدل فرشها انها غرفة اشغال

وقد قدم كرسياً للبرنس ولبث واقفاً أمامه باحترام فضحك البرنس وقال له

لقد قلت لنا انك ساحر ولكنى لا أجد فى هــذه الغرفة ما يحمل على الرعب

قال ان الطريقة التى سأرشد مولاى اليها تشبه السحر لبساطتها

قال ما هى

قال ان الدائن يشبه الكلب الهائج فاذا أعطيته لقمة سكت هياجه

قال ان الطريقة سهلة كما تقول ولكن تنفيذها صعب فانى لا أستطيع ان أعطى الدائنين شيئاً

ففتح الرجل درجاً وأخرج منه غلافاً محشواً بالأوراق فقال له

هذه هى قوائم حسابك يا مولاى

فوقف البرنس منذهلاً وقال له الرجل

وان هذه القوائم معلم عليها بالوصول من أصحابها

– ولكن . . .

– هذه هى يا مولاى فتفضل وانظر فيها

فافتقدها فوجد عليها تواقيع أصحابها فخيل له انه فى حلم وقال له

هل لك ان توضح لى هذا المعمى

قال ان حله سهل يا مولاى فقد وفوا جميع دائنيك ما خلا الذى كان يطالبك هذه الليلة وسيوفى حقه غداً

– من الذى وفى عنى هذا الدين

– المخلصون لسموك يا مولاى

– ربما كنت أنت

– نعم يا مولاى

– اذن من أنت

– ان اسمى لا يدل على شىء يا مولاى

– ولكنى أريد ان أعرفه

– فانحنى الرجل وقال

– انى أدعى عثمان

– أأنت هو النا باب عثمان الذى جعلك جاك روجر وريثه الوحيد

– نعم يا مولاى

– وأنت الذى وفيت دينى

فانحنى عثمان وقال له البرنس اذن أنت من كبار الأغنياء

– لست أنا الغنى يا مولاى بل طائفة أتولى زعامتها

– ما هى هـــذه الطائفة

– هذا الذى يستحيل ان أقوله لسموكم

– ولكني أريد أن أعلم

– ليس هذا بسرى يا مولاى

– أتعلم انى مدين لك بستة آلاف جنيه

– كلا يا مولاى فلست مدينًا لى بشىء

فوقف البرنس وقد بدت عليه علائم الأنفة

انه لو وفى البرلمان ديونى لقبلت وأما ان تفيها طائفة سرية فلا

– أإذا أتيت يامولاى الى سراى سانت جيمس والتمست مقابلة سموكم أتأذن لى بالمقابلة

– دون شك

– اذن سأزور سموكم فى يوم لا أستطيع أن أعينه الآن وأطلب مكافأتى عن هذه الخدمة اليسيرة التى تشرفت بتقديمها لمولاى

فقطب البرنس حاجبيه وأدرك عثمان خوفه من هذا القيد فقال

اطمئن يا مولاى فلا اطلب ما يمس بالشرف والواجب

قال اذن ابق هذه القوائم عندك فانى أريد ان أبقى مدينك الى ان أفى هذا الوعد الذى أعدك به اليوم

فانحنى عثمان وقال

لم يبق لى يا مولاى غير ملتمس التمسه من سموكم

– ما هو

– هو أن تتفضلوا بكتمان ما كان بيننا

– إنى أعدك بالكتمان

ثم التفت الى كاتم أسراره وقال له أسمعت يا دلتون

فانحنى دلتون وقال عثمان مخاطباً البرنس

والآن هل يريد مولاى أن يعود الى السراى

قال نعم

فقرع عثمان جرساً ودخل شمشون فقال عثمان للبرنس أن هذا الرجل يمثلني يا مولاى فى شوارع لندرا وانكم تستطيعون أن تسيروا الى حيث تشاؤون حين يكون فى خدمتكم

ولما وصل البرنس الى السراى ودخل الى غرفته دهش دهشاً عظيما إذ رأى على منضدة جميع قوائم الحساب التى رآها عند عثمان فقد وصلت قبله الى غرفته مع أنه لم يقف فى الطريق حين خروجه من منزل عثمان وقال فى نفسه لم يبق شك فى أن هذا الرجل من السحرة

وقد صعد الى سريره وحاول الرقاد ولكنه لم يغمض له جفن الى الصباح وهو يناجي نفسه بهذا السؤال ويقول

ترى ماذا يريد منى هــذا الرجل مقابل الدين الذى وفاه عنى وهو ستة آلاف جنيه

ولما أشرق الصباح قام الى منضدة وكتب ما يأتى

من البرنس دى غال الى النا باب عثمان

« أيها السيد

أنك أنقذتنى من الدائنين ورددت الىّ القوائم ولكنى لا أزال مديناً لك فاعتبر هذا الاعتراف سنداً علىّ بذلك الدين »

ثم نادى دلتون وأمره أن يذهب بالرسالة الى المنزل الذى اجتمعا فيه بعثمان وانتزع من أصبعه خاتماً كان منقوشاً عليه شعار الأسرة المالكة وقال له أعطه الرسالة وهذا الخاتم على سبيل التذكار

فخرج دلتون وعاد بعد ساعة وهو يحمل الرسالة والخاتم

فقال له البرنس ما هذا

قال ألعلك واثق يا مولاى اننا لم نكن أمس حالمين وان ما جرى لنا كان فى اليقظة

– وأنت

– لست واثقاً

– كيف ذلك

– ذلك انى بحثت أدق بحث فى ذلك الشارع عن المنزل وعن النابابِ عثمان فلم أقف على أثر

– أن الرجل قد يختفى وأما المنزل . . .

– لم أجدهما

– أنا أجدهما

ثم تأبط ذراع دلتون وخرج واياه فى رائعة النهار فطاف جميع شوارع لندرا دون أن يقف على أثر لذلك المنزل فجعل دلتون يضحك و يقول أرأيت يا مولاى اننا كنا حالمين

قال أريد أن أوافقك على اعتقادك ولكن ذلك محال فقد لقيت فى طريقى كثيراً من الدائنين فكانوا ينحنون أمامى بملء الاحترام مما يدل أنهم قبضوا ديونهم

وعاد البرنس الى السراى فلبث بضعة أيام وهو منذهل أشد الانذهال مما اتفق له

ثم تناسى هذه الحادثة وكاد أن ينسى عثمان

و بعد اسبوع دعاه أبوه الملك اليه وقال له يظهر أن نصائحى قد أثرت فيك

قال ماذا تعنى جلالتك

قال لقد علمت أنك وفيت ديونك

قال نعم يا مولاى

فمد اليه يده فصافحه وهو يقول

اذا كان ذلك فانى أعود الى صداقتك وأزيد راتبك أربعة آلاف جنيه فى العام

فانحنى البرنس أمامه شاكراً وهو يقول فى نفسه لا شك ان عثمان سحر أبى وأنعم علىّ هذا الانعام

ثم قال له الملك أنك ما زلت أصبحت من العاقلين فانى آذن لك بحضور المجلس الخاص الذى حرمتك من حضور جلساته

قال لقد أغدقت علىّ نعمك يا مولاى فانك تسمح لى أن اهتم بشؤون المملكة

قال أنك تعرف السير روبرت فالدن أحد أعضاء مجلس البرلمان أليس كذلك

قال نعم

قال خذ هذه الورقة التى قدمها الينا وأقرأها فأخذ البرنس الورقة وقرأ ما يأتى

مولاي

التمس من جلالتكم أن تأذنوا لى بمقابلة خاصة يحضرها سمو البرنس دي غال واثنان من أعاظم النبلاء لشأن خطير يمس شرف جميع نبلاء الانكليز

فلما قرأها قال له أبوه ما عساه يريد السير روبرت

قال أنه يا مولاي مشهور بغرابة اطواره واظن انه يهتم بالصيد والاسفار اكثر من اهتمامه بالسياسة

ومع ذلك فان جلالتكم قد عودتم الاشراف ان لا ترفضوا لهم مقابلة وسنرى ما يريد

قال اذن اكتب له اننا سنستقبله غداً فى الساعة التاسعة من المساء فى قاعتنا الخاصة وسيحضر هذه المقابلة ولى عهدنا واثنان من الأشراف كما قال

فأخذ البرنس قلماً وكتب ما يأتى :

ان جلالة الملك جورج الثالث قد تفضل واذن للسير روبرت فالدن أن يتشرف بمقابلته فى الساعة التاسعة من مساء غد فى القاعة الخاصة

جورج

برنس دى غال

وقد أقام البرنس مدة يتحدث مع أبيه ثم دعاه أبوه الى مناولة الطعام معه فذهب البرنس الى قاعاته الخاصة كى يتأهب للجلوس على مائدة

الملك فقدكان من مصطلحاتهم أن لا يجلس ولى العهد على مائدة الملك إلاّ وهو مرتد بملابس قائد الفرسان العام

وبينما كان غلمانه يعطرونهُ ويلبسونه حانت منهُ التفاتة الى المنضدة فرأى رسالة مختومة ففضها وقرأ فيها ما يأتى :

« نلتمس من البرنس دى غال أن يمر بقاعة أشغاله حين ينتهى من لبس ثيابه »

فألقى هذه الرسالة فى النار وبعد أن فرغ من لباسه ذهب الى قاعة أشغاله فصاح صيحة دهش

ذلك انه رأى النا باب عثمان بجانب المستوقد وهو على أتم السكينة

## القسم الثانى عشر

# الرحيل

فى اليوم التالى أى فى اليوم الذى عينه الملك لمقابلة السير رو برت فالدن ركب رو برت مركبتـه وذهب لزيارة اللادى سيسلى قبل موعد الملك بساعة فانها لم تكن أشهرت أمرها بعد

وكان ليونيل قد برح به الوجد فنه على أنفته ونفوره من الزواج بنورية كان لا يزال يحب تو بسى وقد أمرضه هـذا الحب حتى أوشك أن يشرف على الموت

فلما دخل رو برت كان ليونيل نائماً فسأل أمه عنه فقالت له ان الطبيب يبشرنا بقرب شفائه ولكنه أول من أمس كاد أن ينتحر

– كيف ذلك

– انهُ أراد أن يلقى بنفسه من النافذة ولو لم يتفق دخول روجر فى تلك الساعة و يمنعه عن قصده لقضى عليـه ولكنه سكن بعد ذلك وذهب يأسه بذهاب الحمى

فقطب رو برت حاجبيه عند ذكر روجر وقال انى أتيتك لأحدثك بشأن المركيز روجر

– ولدى

– المركيز روجر

– انى مصغية اليك

– انى لم أرك بعد ذهابى الى قصر اسبرتهون وقد اتصل بى ان المركيز روجر يريد أن يعترف علناً بأن ليونيل اخوه وان يشاطره ثروته

– هو ذاك فكيف تشكك الآن بولده

– بل لم يبق سبيل الى الشك

– تريد انهُ ولدى أليس كذلك

– كلا انه ليس ولدك وقد ثبت لى ذلك بالبرهان

– ما هو برهانك

– لقد لقيت العبد الذى كان يحرس ولدك روجر حين كان خادماً عند اللورد اسبرتهون وهو يثبت ان ولدك لسعته حية وهو فى مهده فمات وكان ذلك فى اليوم الذى قتلت فيه السير جاك

– رباه ماذا أسمع ألا يمكن ان يكون هذا الرجل كاذباً

– كلا بل انه يقول الحق

– واذا لم يكن ولدى فعلى ماذا عزمت

– على أن ألتمس من الملك أن يجعل ليونيل مركيزاً بدلاً منهُ

– وروجر

– يعود الى طائفة النوَر التى خرج منها

– كلا ان ذلك لا يكون فانهُ اذا لم يكن ولدى فانى أحبه كأنهُ ولدى وكفى انهُ كاد ان يقتــل ليونيل فلما سمع صوتى ألقى حسامه الى الأرض

– تمعنى فانك تسيئين الى ليونيل وتحرمينه من لقبه

– ان ليونيل نفسه لا يريد حرمان من يدعوه بأخيه

– ولكنه ليس كذلك بل هو مزور

– ليس هو الذى ارتكب هذا التزوير وفوق ذلك فانهُ اذا لم يكن لدى فهو ابن اللورد

فنظر اليها بحزن وقال فى نفسه لا أرى أحداً غيرى يسمع صوت لواجب ثم نهض فودعها وقال

أرى يا سيدتى انه يجب أن أعمل قصدى

قالت ماذا تريد أن تعمل

قال واجباتى

وقد تركها وانصرف الى دكان كان يجتمع فيه العبيد الذين يطلبون الاستخدام فنادى واحداً منهم وهو أحد العبدين اللذين كانا فى خدمة اللورد اسبرتهون فى الهند وقال له هل أنت متأهب

قال نعم يا مولاى

– أتقول ما قلته لى أمام الملك

– نعم يا مولاى

– اذن أنت واثق ان المركيز الحقيقى قد مات

– كل الثقة فقد أخبرتك كيف أن الطبيب بولتون أخذه من مهده وهو ميت بموافقة اللورد وكيف أنه عاد فى الليلة نفسها بطفل حى يشبهه

فوضعه فى مهده وكيف أن هذا الطبيب رشانى بمبلغ عظيم من المال حين علم بأنى رأيته وأمرنى أن أسافر الى سنجابور

– أتعيد كل هذه الأقوال أمام الملك

– نعم

– اذن تعال معى

فصعد العبد الى جانب السائق وسارت المركبة الى قصر الملك فلما أراد السير روبرت الدخول اعترضه حاجب قائلاً الدخول ممنوع

قال ان الملك أرسل الىَّ كتاباً يأمرنى فيه بالحضور

– ألعلك لم تعلم يا مولاى بماذا حدث

– ماذا

– ان الملك أصيب بالليل بعارض جنون وقد تولى البرنس دى غال مكانه ادارة المملكة

فاغتم السير روبرت وحاول الانصراف وعند ذلك جاءه ضابط فقال له أأنت السير روبرت يا مولاى

قال نعم

قال تعال فقد أمر سمو البرنس ان ندخلك اليه

فأمر العبد أن ينتظر فى الردهة ودخل وحده الى القاعة الملكية فابتسم له البرنس دى غال وقال انك التمست مقابلة جلالة الملك فأمرنى ان أتولى مقابلتك عنه لأنه مريض

ثم انك التمست ان تكون هذه المقابلة بحضور شاهدين من أشراف المملكة فاخترت شريفين من خيرة رجال بلاطنا

ثم قرع جرساً فدخل كاتم أسراره دلتون فأشار البرنس اليه وقال مخاطباً السير روبرت

هذا أحد الشاهدين وهو اللورد ارشيبالد دلتون كاتم أسراره وان أحد أجداده قاتل بجانب الملك غيليوم الفاتح

فانحنى السير روبرت امامه وقرع الملك الجرس أيضاً وقال وهـذا شريف آخر لا سبيل الى الشك بشرفه و بسالته

وعند ذلك فتح الباب ودخل المركيز روجر دي اسبرتهون وهو بملابس التشريفات الكبرى

فتراجع السير روبرت كأنما هوة قد فتحت امامه

أما المركيز فانه حياه وجلس الى يمين البرنس كما جلس دلتون عن يساره فنظر البرنس الى السير روبرت وقال له تكلم فاننا مصغون اليك

فبذل السير روبرت جهداً عنيفاً حتى تمكن من ضبط نفسه ونظر نظرة منكرة الى المركيز ثم انحنى امام البرنس وقال

ان طائفة يا مولاى قد جاءت الى انكلترا منذ عشرين عاماً وهى طامعة بالمناصب وتنذر بأن تحل محل ابناء البلاد فيها

قال أوضح ما تقول فمن هذه الطائفة

قال انها طائفة النوَر يا مولاى

فضحك البرنس وقال

لقد كنت أحسب ان أعمال هذه الطائفة مقصورة على التجول فى الشوارع والرقص فى الطرقات

– كلا يا مولاى إذ يوجد واحد منهم من كبار الجوهريين

– حسنا

– ويوجد واحد منهم من الصيارفة

– وبعد ذلك

– وآخر من القضاة

– لم أجد الى الآن موضع الضرر

– وأخيراً فان واحداً منهم يجلس مع النواب فى مجلس اللوردية

– ما هذا القول ألعلك فقدت صوابك

– كلا يا مولاى بل انى أقول الحق

– ألديك برهان على ما تقول

– دون شك

– إذن أنت تعتقد انه يوجد نورى بين أعضاء اللوردية

– هو ذاك

– انك تروى لنا حادثاً جللا فكيف يكون هذا الانتحار

– انه ابن أحد اللوردية ولكن أمه النورية ولدته سفاحاً فحل محل ولده الشرعى

– انك اذا استطعت أن تبرهن لى عن ذلك طردت جميع النورية من المملكة

– وانى التمس منك ان تأذن لى بتقديم هذا البرهان

– ولكنى أريد قبل ذلك أن تذكر لى اسم هذا المنتحل

– انه يدعى روجر دى اسبرتهون وهو على يمينك يا مولاى

أما روجر فانه لم يبد عليه شيء من علائم الاضطراب بل انه نظر الى البرنس وقال له بملء السكينة

انى أرى يا مولاى ما يراه سموكم وهو ان السير روبرت فالدن قد فقد صوابه

ومع ذلك فانه اذا استطاع ان يبرهن انى نورى رضيت أن أطرد مع طائفتى

فأجابه البرنس قائلا

لا شك ان السير روبرت اغتر بأقوال تلك النورية المجنونة التى أتتك يوم عودتك من أميركا فذكرت ولدها الميت وادعت انها أمك

فقال السير روبرت انها كانت تقول الحق يا مولاى

– هات برهانك

– أتأذن لى يا مولاى ان أدخل رجلا كان فى خدمة اللورد اسبرتهون حين كان حاكم الهند فهو يثبت انه روجر الحقيقى أى ان ابن اللورد الشرعى قد مات

– أين هو هذا الرجل

– فى الردهة يا مولاى

فاصدر البرنس أمره بادخال العبد ولكنه قبل أن يدخل أزيحت ستارة بجانب الباب وظهر رجل كان مختبئاً وراءها وهو بملابس فرسان الملك فنظر الى العبد نظرة منكرة ثم رفع سبابته على فمه يأمره بالتكتم ودخل وراء الستارة

وقد ارتجف العبد حين رأى هذا الرجل واصفر وجهه الاسود ثم أطرق برأسه اطراق المستسلم للقضاء ودخل فقال له البرنس

ماذا تدعى أيها الرجل

– ألينيو

– أكنت فى خدمة اللورد اسبرتهون فى الهند

– نعم يا مولاى

– أكان له ولد

– نعم يا مولاى

– وهذا الولد مات

– لا أعلم

فتوهجت عينا السير روبرت من الغضب لهذا الجواب غير المنتظر وقال له

ويحك أيها الشقى ألم تقل لى انه . . .

قال لقد قلت لك يا سيدى أن حية لسعته وأنه كان مريضاً

– بل قلت لى أنه مات

– لا أعلم ياسيدى اذا كان قد مات فقد طردونى من القصر فى اليوم نفسه وكان الطفل لا يزال فى قيد الحياة

فاصفر وجه السير روبرت ووضع يده على جبهته فابتسم البرنس وقال لروجر

اطمئن أيها المركيز فقد ثبت لنا الآن جنون السير روبرت فالدن

ولما خرج العبد من القاعة الملكية انصرف وهو يقول

لقد كذبت ولكنى اضطررت الى الكذب فان هـذا الرجل الذى أمرنى بالكتمان قد أنقذنى مرة فى الهند من الخناقين فلم أجد بداً من طاعته

أما هذا الرجل فقد كان جان دى فرانس

***

بعد ذلك بأسبوعين كان المركيز روجر مريضاً فى سريره وقد اشتد به المرض حتى خشى عليه من الموت

وذلك أنه بينما كان ساهراً ذات ليلة فى نادى الحسان أصيب بدوار شديد فجائى وسقط بين يدى الناباب عثمان

وقد حملوه الى قصره وجاؤوه بالطبيب بولتون فتولى معالجته

وكان قبل ذلك بأسبوع أعلن أن ليونيل أخوه واستأذن البرنس دى غال واستصدر أمراً من البرلمان فاشرك أخاه بثروته ولقبه فانتقل مع أمه الى قصر المركيز

فلما جاء الطبيب بولتون وفحص المركيز قال انه مصاب بحمى هندية وأنها حمى خطيرة ولكنه غير قانط من شفائها

وقد اضطربت لندرا لمرض المركيز فان انتصاراته الأخيرة حببته الى جميع الناس ولا سيما حين ذاع بينهم انه لم يجر على نظام اللوردية وأنه ساوى نفسه

ففي تلك الليلة أي بعد أسبوعين من مرضه كان مرضه يحول الى غيبوبة فلم يكن يعود اليه صوابه الا فى النادر

وكان الطبيب بولتون واللادى سيسلى وليونيل واقفين بجانب سريره وقد فتح عينيه ونظر اليهم فأسرعت اللادى اليه وأخذت يده بين يديها وقالت له بملء الحنو

ولدى . . . كيف أنت . . . ألم تعرفنى

وقبل ليونيل جبينه وقال له وأنا ألست بأخيك

فبرقت عينا روجر وفتح فمه يحاول الكلام ولكنه ما لبث أن سقط برأسه على الوسادة وعاد الى الغيبوبة

فصاحت أم ليونيل قائلة رباه انقذه مما هو فيه

وأمسك ليونيل يده وجعل يغسلها بدموعه فنظر الطبيب الى اللادى وقال لها بصوت منخفض

أن مرضه شديد

قالت انك ستشفيه أليس كذلك

قال لا أستطيع أن أجزم بشفائه وا أسفاه

فجعلت تشهق بالبكاء فقال الطبيب

أن الموقف خطير يا سيدتى ولا بد لى من أن أقول لك الحقيقة فى هذا الموقف

— ر باه ماذا تر يد أن تقول لى

— أن روجر ليس بولدك

— انى عارفة بذلك ولكننى أحبه كأنه ولدى فانه كريم شريف

ثم بسطت يديها الى السماء وقالت ر باه خذ حياتى واجعلنى فداء هذا الفتى الكريم فقد كان يحبنى و يحترمنى حب الأبناء للأمهات

وركع ليونيل وقال أيها الأخ العزيز انى لا أعلم اذا كان بطن واحد قد حملنا ولكننى أعلم أن أبانا واحد وانك أليق منى بارث لقبه المجيد

فانهضه بولتون وقال له اذن أتوافق اذا قدرت السلامة لروجر أن يكون هو المركيز الحقيقى وتكون أنت ثانى أنجال اللورد اسبرتهون

قال انقذه أيها الطبيب وانى اقسم بالله أن لا أقول كلمة فى حياتى تدل انى واقف على الحقيقة

قال اذن سافرغ مجهودى فى سبيل شفائه فدعونى ابقى وحدى معه

فخرج ليونيل وأمه وعيونهما غارقة بالدموع وذهب بولتون فاقفل الباب من الداخل وعاد الى المركيز وقد فتح عينيه واستوى جالساً فى سر يره وعاد اليه هداه فقال له بولتون أسمعت الحديث

قال نعم وقد أيقنت الآن أنهما جديران بفضيحتى

ثم نظر الى شعار اسرة اسبرتهون المنقوش فوق المستوقد والى صور أعضاء تلك الأسرة المعلقة على الجدران فقال يخاطبها

أيتها الرسوم الكريمة اصفحى عن ابن النورية اللقيط لحلوله زمنًا محل الابن الشرعى ولاقامته فى قصر لا يحق له الاقامة فيه

يا آل اسبرتهون انى لا يحق لى أن أتسمى باسمكم وان كانت دماؤكم تجول فى عروق فسأرجع سيفكم القديم الى من يعرف أن يتقلده وسأرجع ثروتكم العظيمة الى من يعرف كيف ينفقها فى سبيل مجدكم

ثم التفت الى الطبيب وقال له

أيها الصديق القديم انى فعلت الآن واجباتى فهات الشراب الذى أعددته فانى أشربه بملء الارتياح ودون خوف

فذهب بولتون الى منضدته فأخذ كأسًا من الفضة وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة فافرغ ما كان فيها فى تلك الكأس وجاء بها الى روجر

فأخذ روجر الكأس وهو يتبسم وشرب ما فيها جرعة واحدة وقال ما هذه النهاية فليحفظ الله المركيز ليونيل دى اسبرتهون من كل كيد

ثم انقلب على سريره وقد أطبقت عيناه واصفر وجهه و بردت يداه

وذهب بولتون ففتح الباب وخرج الى حيث كان ليونيل وأمه فقال له بصوت يتهدج من الحزن

أن قضاء الله لا يرد يا سيدى الكولونيل فأنت الآن المركيز دى اسبرتهون وستجلس فى مجلس اللوردية

وفى اليوم التالى غصت ردهات قصر اسبرتهون بالمركبات وغصت قاعاته الرحبة باللوردية واشراف الانكليز فان المركيز روحر دى اسبرتهون وقائد فرسان الملك قد ادركته الوفاة

وكانوا قد وضعوه فى القاعة الكبرى وأقبل الأشراف يودعون جثته

وكان البرنس دى غال نفسه قد حضر مع جميع بطانته وسمعه الناس يقول حين انصرافه

أن الملك فقد بفقده أبسل قواده وأنا فقدت خير صديق

و بعد انصراف البرنس أقفلت أبواب القصر فقد انتهى عرض الجثة

وعند ذلك قال النا باب عثمان لليونيل

يجب أن تخرج من هذه القاعة يا سيدى المركيز

قال أأترك أخي كلا . . . كلا

قال ان هذا لا بد منه فقد دنا وضع الجثة فى التابوت وعادة الانكليز أنهم لا يدعون أهل الميت يحضرون هذا المشهد الذريع

فأكب ليونيل على وجه روجر ليعانقه و يغسله بدموعه فنهض عثمان وأخرجه من القاعة

وعاد اليها فأشار الى الكاهن أن ينصرف فخرج ولبث عثمان وحده أمام روجر وهو يتحقق فى وجهه و يقول

انى أعددت لك مستقبلاً عظيماً ولكنك أبيت

وعند ذلك فتح الباب ودخل منه الطبيب بولتون ووراءه رجلان

يحملان التابوت وهما شمشون وذلك النوَرى حارس مقبرة سانت جيل

فوضع عثمان أصبعه على فمه اشارة الى السكوت وسأله بصوت منخفض قائلاً

أ أعددت المعدات

قال نعم فان تشييع الجنازة سيكون عند هبوط الليل وسندخل التابوت الى مدفن العائلة وجميع حراس المقبرة من رجالنا

ـ أ أنت واثق من الدواء الذى أعددته

ـ نعم ولكن لا يستطيع سواى استعماله

ـ واذا اتفق أنك مت هذه الليلة

ـ يلبث روجر ميتاً الى أن يستفيق يوم الحشر فى وادى يهوشافاط

فارتعد عثمان وقال له الطبيب

ولكن المحنى فسأبقى حياً الى انتصاف الليل وان أبواب القبر المقفلة على المركيز روجر ستفتح فيخرج منها أميرى ملك النور وهو فى أتم عافية

قال اذن افعل فعالك واذكر أنك ضمنت حياته

قال لا تخف واذهب فى شأنك

فذهب جان ونقل شمشون ورفيقه روجر الى التابوت وأقفلاه

فقال لهما الطبيب

اذهبا الآن الى المقبرة ولا تبرحاها واذكرا

فقال شمشون اطمئن فاننا لا ننسى

ثم انصرفا فأخرج بولتون زجاجة صغيرة من جيبه وقال

انى أرتعد حين أفتكر أن حياة روجر فى هذه الزجاجة وانى اذا مت . . .

ولكنه قبل أن يتم جملته اضطرب وجعل العرق البارد يسيل من وجهه فانه رأى وجه رجل قد ارتسم فى مرآة كانت بجانبه ولم يدر من أين دخل فان الباب كان مقفلاً

أما الرجل فانه مشى الى بولتون وقال له

انك أخطأت أيها الطبيب بابعادك الخدم وأهل الميت وجان دى فرانس عنك

فتوقع بولتون خطراً عظيما وقال

السير روبرت فالدن

قال نعم أنا هو فانك اتخذت كل أسباب الاحتياط . لكنك نسيت أن تقفل بالمفتاح هذا الباب

فوضع الطبيب يده على قبضة حسامه وجرد السير روبرت حسامه ببطء وقال

لك الخيار الآن بين أن تعطينى هذه الزجاجة و بين ان تموت فانى لا أريد أن يعود روجر الى الحياة فى هذه الليلة

وقد مشى بحسامه الى الطبيب فجرى بينهما قتال عنيف لم تكن يسمع فى خلاله غير صوت أنفاسهما

وكان بولتون يقاتله وهو يرتعد خوفاً على روجر و يقول فى نفسه

انه اذا قتلني مات روجر

فكان هذا الخاطر يشدوه فى القتال ولكن السير روبرت كان من أشهر رجال السيف وقد عول على قتل بولتون وكسر الزجاجة

وفيما هما يتقاتلان صاح بولتون صيحة يأس هائلة فان حسامه قد انكسر وشعر برأس حسام السير روبرت على صدره وسمعه يقول

انى لست من الذين يقتلون الناس غيلة ولكن اقسم بالله انك اذا لم تعطني الزجاجة قتلتك دون اشفاق

فتراجع بولتون الى الوراء واحتمى وراء كرسى كبير وهو يقول

من لى بسيف . . . رباه لا تقض بموت هذا البرىء

وعند ذلك فتح الباب الذى دخل منه السير روبرت بعنف ودخلت منه توبسى ربيبة السير روبرت وهى تحمل سيفاً فاسرعت باعطائه الى الطبيب وهى تقول

وأنا أيضاً لا أريد أن يموت روجر فقد أنقذنى من الموت وأنا أحبه

فأخذ السيف من يدها وعاد الاثنان الى القتال بأشد عنف

***

وفى الساعة الثامنة من المساء احتفل بتشييع جنازة المركيز روجر دى اسبرتهون الى مقبرة سانت جيل حيث كان لأسرة اسبرتهون ضريح خاص

وقد مشى فى ذلك الموكب المهيب جميع نبلاء انكلترا وكان يتقدمهم

اثنان مكشوفا الرأس أحدهما ليونيل الذى أصبح الآن مركيزاً والثانى أعظم نبيل بعد الملك وهو البرنس دى غال

وكان النابابب عثمان يسير بين أعضاء نادى الحسان وهو حزين القلب كاسف البال

ووراء الجميع الطبيب بولتون أما السير روبرت فالدن فلم يره أحد بين جموع المشيعين

وقد وضعوا التابوت على بلاطة عند مدخل الضريح وجعل كل من المشيعين يقف فى دوره عند التابوت فينحنى وينصرف الى أن جاء دور الطبيب فانحنى أمامه وقال بصوت منخفض

رحمك الله يا سير روبرت فالدن

ذلك انه كان قد قتله ووضعه فى التابوت بدلاً من روجر

* * *

وكان رجل واقفاً وراء شجرة كبيرة وهو متشح برداء كبير وقد قنع وجهه بقناع كثيف فلم يفته شيء من تفاصيل هذه الحفلة

وقد مر الناس به فكان يراهم من وراء مكمنه ولا يرونه فرأى ليونيل يسير وهو يشهق بالبكاء ورأى عثمان يسير وهو مطرق الرأس ورأى البرنس دى غار يسير والى جانبه الدوق دى سومرست وسمع هذا الدوق يقول للبرنس

هل تصدقون سموكم ما أشيع من أن المركيز دى اسبرتهون كان من النور

فأجابه البرنس قائلاً

لا أعلم اذا كان البرنس نوريا ولكن الذى أعلمه أنه لو كان النور مثلهم لجعلتهم كلهم حين أصير ملكا من الأشراف

فقال الرجل المقنع فى نفسه

انك شرفتنى أعظم تشريف وسأخدم عرشك بدمى

ولما انصرف الناس خرج الرجل المقنع من مكمنه فوجد عند باب المقبرة فارسين كان أحدهما يمسك عنان جواد أدهم فترجلا عند وصوله وقدما له الجواد ثم انحنيا بملء الاحترام وقالا له

أيها الملك ان رعاياك ينتظرون أوامرك

أما هذا الرجل فقد كان روجر فان بولتون كان قد رد اليه الحياة بعد أن سقاه ذلك المخدر وبعد أن قتل السير روبرت ووضعه فى نفسه فتقنع وشهد جنازة نفسه مع المشيعين

## الخاتمـــه

كان البحر هادئاً وسفينة النور تتأهب للسفر بتلك الطائفة الى غير هذه البلاد

وكان عند الشاطىء خلق كثير من تلك الطائفة و بينهم أميرى ملك النور أى روجر وجان دى فرانس وشمشون وجميع رجال الطائفة ونسائها وأولادها وقد أحدقوا جميعهم بملكهم الجديد بعد جان فاسترعى مسمعهم ووقف بينهم فقال

أيها الاخوان انى جمعتكم هنا لأن ساعة الرحيل قد دنت وسترفع سفينتنا مراسيها

أيها الاخوأن ان الله الهنا واله جميع الناس قد وضع كلا من مخلوقاته فى الموضع الذى خصه به فقال للنسر انك ستحلق فى الفضاء وتحلق بجناحيك وتجعل الهواء مملكتك

وقال للرجل أنك ستنشىء المدن وتؤسس الممالك

ولكنه قال للنورى أنك ابن البرية وأن هواء الحرية كان عاصفاً حين مولدك فكانت الرمال تثور على خيمتك والرياح تقتلع أطنابهـــا وأنت بعيد عن المدن القرى

غير انى منحتك نظر النسر النافذ وقوة الجواد العربى السريع وجرأة الأسد الهصور وأردت أن تكون ذلك السائح الأبدى تطوف البلاد

وبجوب الفيافى وأنت امن مطمئن وجعلت مواطنك الدنيا وحدود بلادك من القطب الى القطب فدع الناس العاديين يشتغلون ببناء المدن وتعيين الحدود وانشاء الممالك أما أنت فمدنك المضارب ومملكتك لا حد لها

أيها الاخوان أنه اذا وجـد بينكم من ألذ عيش الحضارة وأنف من عيشنا عيش التشرد وأراد أن يبقى فى هذه البلاد فليقف فانى لا اكره أحداً على الذهاب معنا

فلم يقف واحد منهم بل هتفوا جميعهم بصوت واحد ارتج له الفضاء قائلين

ليحيي أميرى . . ليحيي ملكنا

قال اذن لنسافر

ثم أخذ مشعلاً من يد شمشون فلوح به ثلاث مرات وقال هذه هى الاشارة التى اتفقت عليها مع ربان السفينة

ولم يكد ينتهى من اشارته حتى أجابه ربان السفينـــة باشارة مثلها وارسل القارب لنقلهم اليها

وعند ذلك سمعوا وقع حوافر جواد يركض ولم تكن غير هنيهة حتى وصل ذلك الجواد ورأوا عليه امرأة

وقد نزلت تلك المرأة عن جوادها وقالت

انى نورية مثلكم وأريد أن أسافر معكم

فصاح جان واميرى وشمشون قائلين توبسى

فقالت لاميرى نعم انا هى توبسى التى كانت تدعى مس الن ولو أخبروك بأنى أنا التى أعطيت السيف لبولتون فأنقذك لرضيت أن أكون منكم وأنا أسافر معكم

قال نعم لقد علمت وستسافرين معنا

فنهضت عند ذلك امرأة وقالت بصوت مرتفع ولكنى أنا لا أريد

وقد مشت اليها والخنجر مجرد بيدها فضج الجميع اذ رأوا أن تلك المرأة التى كان يحبها جان أصدق حب وهى التى أطلقت ألن النار عليها فأصابتها بجرح كاد يقتلها

أما تلك المرأة فانها دنت من أميرى وقالت له أنك ملكنا الآن ولابد للملوك من العدل

قال انى سأحكم بالعدل

قالت انى أدعى اليبسى وهـذه المرأة عدوتى اللدودة وقد أصابتنى برصاصة لا يزال أثرها فى كتفى فالتمس طردها من الطائفة أو قبولها بمبارزتى

فقالت ألن لقد رضيت المبارزة

فاضطرب جان وقال انى لا أريد

ولكن أميرى أسكته وقال لتوبسى أتقولين أنك ترضين مبارزتها

فجردت ألن خنجرها وقالت نعم ولكن بشرط أن لا ينتهى قتال بالموت وأن لا يعترضنا أحد فيه

فأطرق جان برأسه وجعل أميرى ينظر الى هاتين المرأتين اللتين

بلغتا من الجمال بقدر ما بلغتا من الحقد ثم قال لقد أذنت بقتالكما

فصاحتا صيحة فرح وقال جان ماذا فعلت يا أميرى فقال له شمشون لا يحق لك أن تعترض الآن فان اليبسى كانت البادئة

ولم ينقضّ المتبارزتان كما يتبادر الى الأذهان بل وقفت كل منهما والخنجر مجرد بيمينها ويدها اليسرى الى الأمام كترس تذود به عن صدرها وهى تنظر الى خصيمتها كما تنظر الضوارى الى الفريسة وتتأهب للانقضاض فقالت اليبسى

انى اكرهك لأنك أردت قتل جان دى فرانس وهو شبه معبودى

فأجابتها توبسى أما أنا فلا اكرهك ولكنى أحتقرك وأريد أن أجعلك سلماً أرقى به الى حيث أشاء

فهلع قلب جان من خوفه على حبيبته وركض يريد أن يحول دون القتال ولكن شمشون أوقفه فى مكانه وقال له أن الملك أمر أن لا يعترض أحد قتالهما فلا تكن أول العابثين بأمره يا جان

ونشب القتال بين الفريقين ولكن توبسى احتالت على اليبسى فألقتها الى الأرض وركعت فوق صدرها ورفعت يدها بالخنجر وهمت أن تغمده فى قلبها فبسط جان يديه الى أميرى وقال له رحماك العفو العفو

فالتفتت اليه توبسى وقالت أنك تسأل العفو

وقالت انى أعفو ولكن بشرط

ثم نظرت الى أميرى وهى لا تزال راكعة على صدر خصيمتها وقالت له

انى كنت طامعة وشرائعنا لا تحرم الاطماع وتجيز الانتقام و بعد فانى أصلحت ما أفسدته أليس كذلك

قال نعم

قالت انى يحق لى أن أغمــد خنجرى فى صدرها فاذا عفوت عنها فبماذا تكافئنى

فهاج فى صدر روجر حبه القديم وقال انىّ أجعلكْ ملكةَ

فنهضت تو بسى نهوض المنتصر وألقت بخنجرها الى الأرض فأمسك أميرى بيدها وقال للجميع انحنوا أمامها فانها زوجتى وملكتكمْ

فكادت تسقط بين يديه لفرحها وقالت له بصوت خافت

أنك تعلم يقيناً انى بت أحبك أصدق حبّ بعد أن أنقذتنى فاعلم أن حبك لا ينتزع من صذرى حتى بعد الموت

***

وعند الفجر كانت السفينة تخترق عباب البحر وهى تحمل النور وأموالهم

تمت

# كتب ادبية اخلاقية واجتماعية

| ص | | |
|---|---|---|
| ٦ | ابتسامات ودموع | ميّ زيادة |
| ٣ | الاجتماعيات ـ مجموعة مقالات أدبية اجتماعية | أوليفيا عبد الشهيد |
| ١٥ | الأدب والدين عند قدماء المصريين | انطون ذكرى |
| ٤ | آراء الدكتور شبلى شميل | الدكتور شبلى شميل |
| ٨ | أزجال نظير | خليل نظير |
| ١٥ | أصول الفلسفة المجلد الاول يشمل الجزءين الاول والثانى | امين بك واصف |
| ١٠ | أصول الفلسفة الجزء الثالث | امين بك واصف |
| ١٢ | « « « الرابع | امين بك واصف |
| ٦ | الامير وهو تاريخ الامارات العربية فى القرون الوسطى | محمد لطفى جمعه |
| ٨ | أوراق متناثرة | سليم عبد الأحد |
| ٦ | أين الانسان | الشيخ طنطاوى جوهرى |
| ١٤ | باحثة البادية | ميّ زياده |
| ٣ | البيان والاعراب عما فى أرض مصر من الاعراب | ابرهيم رمزى |
| ٢٨ | تاريخ التربية | مصطفى بك امين |
| ٧,٥ | تفصيل وخياطة الملابس | رزق عبد الله |
| ٦ | ثمرة الحياة | حسن بك رياض |
| ١٥ | جبل الدروز | حنا أبى راشد |
| ٤ | جوامع الكلم | احمد فتحى باشا زغلول |

| ص | | |
|---|---|---|
| ١٢ | حاضر المصريين او سر تأخرهم | محمد عمر |
| ٦٠ | حاضر العالم الاسلامى جزءان | عجاج نويهض |
| ٨ | حافظ السلام | نسيم نوفل |
| ٢٠ | خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع | على باشا أبو الفتوح |
| ٤ | رسالة من امير الى سلطان | احمد فتحى باشا زغلول |
| ٢ | رسالة المعاطس لابن جلا | الدكتور شبلى شميل |
| ٥ | رسائل غرام بين نساء شهيرات ورجال عظام | سليم عبد الأحد |
| ٥ | روح الاعتدال | وسيله محمد |
| ١٠ | الزراعة القديمة المصرية | شكرى صادق |
| ١٠ | سر تطور الامم | احمد فتحى باشا زغلول |
| ١٠ | سعادة الزوجين ٣ أجزاء ثمن الجزء | على فكرى |
| ٦,٥ | سبل النجاح ٣ أجزاء ثمن الجزء | على فكرى |
| ٤ | شكوى وآمال | الدكتور شبلى شميل |
| ١٥ | الشهاب الراصد (رداً على كتاب الشعر الجاهلى) | محمد لطفى جمعه |
| ٣ | الصحائف السود | ولى الدين باك يكن |
| ٢ | صدى صوت المصريين فى أوربا | الشيخ طنطاوى جوهرى |
| ٢٠ | الطيور والحيوانات الداجنة الجزء الأول | الصاغ محمد مدبولى صفا |
| ٨ | العراضة فى الحكاية السلجوقية باللغة التركية | اليزدى |
| ١٢ | عظة وذكرى | الدكتور محمد عبد الحميد بك |
| ١٦ | علم النفس وآثاره فى التربية والتعليم | الشيخ على الجارم ومصطفى بك امين |

| ص | | |
|---|---|---|
| ١٠ | الغرور | حافظ نجيب |
| ١٨ | الفخرى فى الآداب السلطانية (طبعة منقحة) | عوض بك ابراهيم والشيخ على الحارم |
| ١٢٠ | فلسفة النشوء والارتقاء جزءان | الدكتور شبلى شميل |
| ١٠ | كيف تعيش ماية سنة | نجيب المندراوى |
| ١٠ | محاسن الطبيعة | وديع البستانى |
| ١,٠ | محاضرة فى التربية والأخلاق | حافظ نجيب |
| ١٠ | مذكرات هندنبورج جزءان | منصفان |
| ٣ | المرأة فى الجاهلية | حبيب الزيات الدمشقى |
| ٥ | المراسلات الرسمية البريطانية السياسية | |
| ١٠ | المعلوم والمجهول ثان | ولى الدين بك يكن |
| ٨ | معنى الحياة | وديع البستانى |
| ٨ | المكاتبات الفكرية | على فكرى |
| ١٨ | منهل الوراد فى علم الانتقاد جزءان بغلاف | قسطاكى الحمصى |
| ٥٠ | الموجز فى علم الاقتصاد ٥ أجزاء | حافظ بك ابراهيم وخليل بك مطران |
| ٦ | الناشئة | حافظ نجيب |
| ٤٠ | نجعة الرائد وشرعة الوارد فى المترادف والمتوارد جزآن | الشيخ ابراهيم اليازجى |
| ٤ | هدية الالياذة | |

# روايات وقصص

| ص | | |
|---|---|---|
| ٥ | ابنة المركيز | طانيوس عبده |
| ٥ | أسرار الثورة الروسية | الدكتور خليل بك سعادة |
| ٤ | أنا أو ابن العصر | اميل بولاد |
| ١٨ | الثورة الفرنساوية ٤ أجزاء | فرح أنطون |
| ١٠ | جان جراى أو ضحية الانتقام جزءان | الشيخ بولس مسعد |
| ٧ | جناية أوربا على نفسها والعالم | احمد فهمى |
| ٥ | حب فى ثورة | نقولا حداد |
| ٢,٥ | حديث ليلة | نجيب حداد |
| ٥ | الحقيبة الزرقاء | نقولاد حداد |
| ٥ | سر كلومير | الدكتور محمد عبد الحميد بك |
| ٦ | سيد بلانترى | |
| ٤ | الشركسية الحسناء | خليل بك سعد |
| ١٠ | شفاء العائلات من ادران الموبقات | اسكندر ابراهيم يوسف |
| ٦ | الصديق المجهول | نقولا حداد |
| ٥ | عشق المرحوم مصطفى باشا كامل | ا . ف . |
| ٤ | على مسرح التمثيل | اسماعيل عبد المنعم |
| ٢٠ | غرائب الاتفاق ٤ أجزاء | شاكر شقير |
| ٦ | فتاة مصر | الدكتور يعقوب صروف |

| ص | | |
|---|---|---|
| ٨ | فرخ النسر | يوسف البستانى |
| ٢ | فتاة الاسكندرية | الأب قسطندى الباشا |
| ٢ | الفضيلة | محمد طاهر حقى |
| ٨ | القائدين | نجيب المشعلانى |
| ٤ | القضاء السرى | قيصر شميل |
| ٢,٥ | كاريولانوس أو عروس الأحزان | شكرى صادق |
| ٥ | مارى دى مدسيس | نجيب مندراوى |
| ١٠ | المال المال المال أو فضائح البورصة | استرمويال |
| ٢ | هوكر المحتال الأميركى | نقولا حداد |
| ٥ | يا غندور أو العاشق الجميل | ا . ى . ح |
| ١٨ | يد القاتل جزءان فى مجلد واحد | وديع حريرى |

# روايات تمثيلية

| صـ | | |
|---|---|---|
| ٢ | أبطال الحرية | انطون بك الجميل |
| ٤ | الأيمان | صالح جودت بك |
| ٤ | السموأل أو وفاء العرب | انطون بك الجميل |
| ٣ | الشعب والقيصر | جورج طنوس |
| ٤ | عطيل | خليل مطران |
| ٥ | لويس الحادى عشر | الياس فياض |
| ٦ | المروءة والوفاء | الشيخ خليل اليازجى |
| ٥ | وفاء الغانيات | محمد توفيق فهمى |

